

الإسهامات
الإيطالية
في دراسة مص في عص

بأشاه
علي

مجموعة مقالات مختارة لباحثين إيطاليين

ترجمة: عماد البغدادى



المشروع القومي لترجمة المركز القومي للدراسات والبحوث

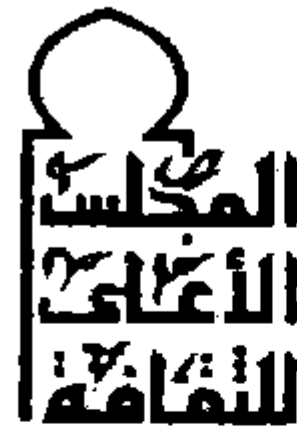
972

المشروع القومي للترجمة

**الإسهامات الإيطالية
في دراسة مصر الحديثة
في عصر محمد علي باشا**

**مجموعة مقالات
مختارة لباحثين إيطاليين**

ترجمة: عماد البغدادي



٢٠٠٥

المشروع القومي للترجمة
إشراف: جابر عصفور

- العدد: ٩٧٢
- الإسهامات الإيطالية
- في دراسة مصر الحديثة في عصر محمد علي باشا
- عماد البغدادي
- الطبعة الأولى ٢٠٠٥

هذه ترجمة لمجموعة مقالات مختارة

هذه الترجمة صادرة بالتعاون مع المعهد الثقافي الإيطالي بجمهورية مصر العربية



حقوق الترجمة والنشر بالعربية محفوظة للمجلس الأعلى للثقافة
شارع الجبلية بالأوبرا - الجزيرة - القاهرة ت: ٧٣٥٢٣٩٦ فاكس: ٧٣٥٨٠٨٤
EL Gabalaya st. Opera House, El Gezira, Cairo
TEL: 7352396 Fax: 7358084

تهدف إصدارات المشروع القومي للترجمة إلى تقديم مختلف الاتجاهات والمذاهب الفكرية للقارئ العربي وتعريفه بها، والأفكار التي تتضمنها هي اجتهادات أصحابها في ثقافتهم ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلس الأعلى للثقافة.

المحتويات

- الإسهامات الإيطالية في دراسة مصر الحديثة في عصر محمد علي باشا
(بقلم: أنطونيو بليتييري).....7
- إصلاحات محمد علي الصحية في مصر في النصف الأول من القرن التاسع
عشر (بقلم جوزيبي رستيفو).....25
- مشكلات تاريخية. بعض الملاحظات بشأن "الصبغة المصرية" (بقلم بيانكا
ماريا وسكارتشا أموري).....39
- الطريق المصري للصحة في عهد محمد علي ١٨٠٥-١٨٤٩ (بقلم سلفاتورى
سبيتسيالى).....63
- لمحات عن أصول القضية المصرية (بقلم برونو ألييتى).....85
- الشرق الحديث: الوثائق الدبلوماسية المتعلقة بمحمد علي وأرشيات الدولة
الإيطالية (بقلم أنجلو سان ماركو).....113
- حول ترجمتين عربيتين لرواية "الأمير" لماكيا فيللى (بقلم ماريا ناللينو)....129
- القضية المصرية من عام ١٧٩٨ إلى عام ١٨٤١ (بقلم كارلو جيليو).....149

الإسهامات الإيطالية في دراسة مصر الحديثة في عصر محمد علي باشا

مذكرة تهيئية

أنطونيو بلينيري

إن تجميع مقالات لباحثين إيطاليين، لكتاب مترجم إلى العربية، ينشر كإسهام مناسب ومقبول في الاحتفال بمؤتمر القاهرة حول "حكم محمد علي"، الذي تنظمه وزارة الثقافة المصرية ليس بالأمر السهل، عندما يكون المؤلف بعمله مؤرخاً للدول العربية ومتخصصاً في الدراسات الإسلامية. فالوقت قصير من ناحية، ومن الناحية الأخرى، هناك ضرورة عرض مجموعة من النصوص ذات القيمة الثقافية المعروفة عالمياً للجمهور العربي والمصري. وعلاوة على ذلك فإنني أذكر أنه ليس من السهل اختيار بضعة مقالات، دون أن نقابل بعض المصاعب، بحجة أن المقالات تمثل عن جدارة الإسهام الإيطالي في دراسة مصر الحديثة في عصر محمد علي. وقد قبلت في الوقت نفسه إعداد هذه المبادرة بالنشر، مع علمي بأن العملية ستكون أكثر تعقيداً مما نتخيل، على اعتبار أن تاريخ مصر الحديث وحكم محمد علي يطرح، حتى على المعدل البسيط لمجموعة من النصوص، مشكلات ذات طبيعة تاريخية وتتعلق بالتناول المنهجي لا تزال حتى اليوم محور نقاش محتدم في المجال العربي^(١). الأسباب متعددة. فمحمد علي، كما كان يؤكد أومبرتو ريتسيتانو في كتابه "تاريخ العرب"، كان "محور الاهتمام السياسي للقوى الأوروبية الحريصة على التخفيف من جموحه الإمبريالي، الذي يعتبر بحق الباعث الحقيقي لمصر، وصانع مصر الحديثة"^(٢). ثانياً: أن إسهامات الباحثين الإيطاليين (بشأن حكم محمد علي) هائلة من ناحية الكم، ولكن البعض فقط هو الذي له قيمة حقيقية لها قدرها،

كما كان يؤكد ريتسيتانو^(٣) في مواضع أخرى. وأذكر هنا المستعرب الصقلي الكبير الذي مات في باليرمو في ١٩٨٠، وأستاذ المدرسة الصقلية رحمه الله، وليس آخرين، لأن الجميع يجمعون على أهمية إسهامه كمستعرب والموجه لتعريف إيطاليا، مع باحثين آخرين لامعين، الجوانب المهمة في تاريخ وأدب مصر الحديثة والمعاصرة والوجود الإيطالي في وادي النيل^(٤).

وعلى الرغم من هذا فإنني أمل أن تكون النتيجة مقبولة. وأعتذر من الآن عن الانحياز للاختيار الذي قمت به.

ولكنني واثق من أن الأصدقاء العرب والزملاء الإيطاليين سيتفهمون الأسباب التي فضلت من أجلها بعض المقالات لمؤلفين عاشوا في الماضي القريب وباحثين أحياء لهم نشاطهم. وهي مقالات مختارة لانسجامها ولاتجاهها لتعميق الجوانب المهمة وغير المستكشفة أحيانا. وقد أخذت في الحسبان النقاش التاريخي كما أشرت، الذي تطور منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر حول شخصية وعمل باشا مصر، مع اهتمام خاص بالحدثة والتجدد و/أو عملية التفرنج. وقد شجعت على هذه العمليات إصلاحات محمد علي في مصر وكانت لها تأثيرات مهمة في كل الشرق الأدنى العربي.

وقد تميز عمل محمد علي بأنه يهدف لتجديد النظام في مجمله، طبقا لأساليب مبتكرة أحيانا، وجريئة غالبا^(٥). والتشابه مع بطرس الأول ملك روسيا يمكن أن يبدو مفتعلا، ولكن مؤرخا شهيدا ماركسي النزعة، مثل فلاديمير لوتسكي، كان يقول: "إن (إصلاحات) محمد علي كان لها طابع تقدمي على الرغم من أنها كانت تمثل عبئا على الشعب"^(٦). وهناك آخرون بيرزون تغلب شخصية باشا القاهرة، التي تعتبر، كما يقول بيتر مانسفيلد، معروفة للجمهور العريض: "تكوين نادر لجندى وزعيم سياسي عبقرى حتى وإن كان أميا تقريبا، فقد كان الذكاء الحاد يسمح له باستيعاب المستجدات وتحليل الأهمية. وقد كان جريئا وطموحا بتفاخر وقادرا على القيام بفظائع رهيبة، ولم يكن محمد علي يعتبر نفسه مصريا ولا

عربيا، ولم يتحدث أبدا العربية"^(٧). وهذه الملحوظة لمانسفياذ ربما تتأثر برؤية الشيخ المصرى عبد الرحمن الجبرتى، الشاهد على الأحداث الواقعة بين مغامرة نابليون فى مصر ونائب السلطان العثمانى فى القاهرة. وفى عمل الجبرتى، الذى كان معروفا بعدم تقاطعه الشديد مع حاكم القاهرة الألبانى الأصل، ترسم صورة ذكية بالفعل لمحمد على، ولكنه يصور على أنه متآمر ومتغطرس أحيانا^(٨). وإذا كانت أخبار العصر الذى كان يعيش فيه محمد على تعنى بالحياة الاجتماعية الطبيعية للقاهرة ومراكز حضرية أخرى فى مصر، دون توضيح الانفصال عن الماضى، بالتركيز على مسارات ثابتة من التاريخ الإسلامى والأجناس الأدبية المرتبطة به، كما فى حالة الجبرتى المذكور^(٩)، فإن الإنتاج العربى والمصرى اللاحق، بداية من النصف الثانى من القرن التاسع عشر، يبدأ عملية تأمل ونقاش لا يزال البعض يشعر به وكأنه يحدث الآن. ويجدر بنا أن نشير بعض الإشارات القصيرة لبعض الجوانب الأساسية فى هذا النقاش ذى الطابع التاريخى المنهجى، لخدمة هذه المذكرة التمهيدية.

إن رأى المؤرخين المصريين فى نهاية القرن التاسع عشر يمكن أن يعتبر معروفا حتى وإن كانت هناك بعض الآراء القوية داخل الإنتاج المصرى نفسه. وهذه هى حالة محمد فريد بك، مؤلف كتاب قيم عن تاريخ الدولة العثمانية. وفى سياق دراسة قوية ومهمة مخصصة لسياسة محمد على، كان يصف باشا القاهرة بأنه "الرجل العظيم"^(١٠)، ولذا فإننى أعتبر ملحوظة المؤرخ الدمشقى نعمان القسائلى أكثر أهمية، حيثما كتب فى ١٨٧٩ يقول: "فى عام ١٨٣١، بدأت أحداث مهمة وكبيرة فى سوريا نتج عنها نقل البلاد للحكم المصرى ودخول أضواء الحضارة"^(١١) وفى رأى المسيحى الأرثوذكسى القسائلى نجد فكرتين متحدتين، وهما فكرتا الحكم والتقدم، اللتان ميزتا النقاش العربى فى الفترة اللاحقة. أى عندما أوضح المتقنون العرب بمزيد من الاقتناع، طبقا لأساليب الفهم لأفكار وطنية مشتقة من الثقافة الأوروبية، معنى العروبة والعملية التاريخية لوحد العرب. وهذا لا يزال فى الوقت نفسه فى عمل وفكر سورى، هو محمد كرد على، الذى أشير إليه.

فالدمشقي كُرد علي، مؤسس الأكاديمية العلمية العربية في دمشق، شخصية مثقفة معروفة جدا في مصر، حيث عاش في القاهرة لسنوات طويلة. وقد عاش علي اتصال وعمل مع رجال الثقافة والعلم المصريين والسوريين الكبار الذين عاشوا بين نهاية القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين: من محمد عبده إلى رشيد رضا، ومن الكواكبي إلى قاسم أمين، وهذه بعض الشخصيات اللامعة التي اعتادت المشاركة في المجالس السياسية - الثقافية في حدائق الأزبكية. وفي مقالة قصيرة كتبت عشية تأسيس الجامعة العربية في القاهرة، كتب محمد كرد علي يقول إن: "الوحدة العربية كانت علي وشك التحقق في الأزمنة الحديثة في ثلاث مناسبات، أفشلتها إنجلترا! المرة الأولى في زمن ابن سعود في بدايات القرن التاسع عشر، والمرة الثانية في فترة محمد علي العظيم الذي كان قد وصل أثناء الحرب ضد العثمانيين حتى قلب تركيا، والثالثة أثناء الحرب الكبرى، عندما وعدت إنجلترا شريف قلة بحكم العرب"^(١٢).

وكما يمكن أن نلاحظ، ربما كان دور محمد علي هو إعادة بناء وحدة آسيا العربية، ولا يهم ما إذا كان هذا بمعرفة الباب العالي وبالاتفاق معه أم لا. وقد تعرض الإيطالي أمبرتو ريتسيتانو أيضا لسحر هذه الرؤية وكتب يقول إن محمد علي بعد ١٨٣١ كان عنده الطموح لبناء إمبراطورية عربية شاسعة منفصلة عن تركيا. ومن هنا جاء غزو سوريا الذي قوبل بحماس كبير من السوريين الذين كانوا يؤيدون إعادة تكوين وحدة سوريا ومصر. وأضاف يقول إن العملية فشلت لتدخل بعض القوى الأوروبية التي رأت أن من المناسب في ١٨٤٠ وقف الأهداف التوسعية للباشا المصري^(١٣).

والرؤية المصرية المعاصرة في إعادة طرح الموضوعات الموضحة عاليه في المجال العربي بصورة عامة، تضيف جانب الوطنية وخصوصية دور مصر في الإطار الإقليمي والعربي. ولكن قد يكون من غير اللائق الاعتقاد أن الرؤية التي تأكدت على ضفاف النيل في السنوات التي سبقت ثورة ٢٦ يوليو ترجع فقط

لمصالح تأكيد الشرعية للأسرة الحاكمة في مصر حتى أوائل القرن العشرين. وهناك دراسات عديدة ومهمة عن الموضوع ولقاءات بحثية مهمة أجريت للتذكير والتدبر في عمل محمد علي وابنه إبراهيم^(١٤). ويكفي الجميع ذكر الكتاب الشهير الذي أصبح الآن من كلاسيكيات التاريخ المصري، لعبد الرحمن الرافعي. فهنا تبحث شخصية وعمل محمد علي في إطار الوطنية المصرية و/أو "تحقيق الاستقلال القومي". وحتى الحروب التي خاضها الباشا المصري في شبه الجزيرة العربية وفي بلاد الشام ينظر إليها في هذا السياق المذهبي^(١٥). وبالنظر إلى الإشكالية المعقدة التي أشرنا إليها هنا باختصار، أردنا في الوقت نفسه افتتاح هذا الكتاب بإسهام حديث لـ بيانكا ماريا سكارتشا أموري، وهي متخصصة مرموقة في العلوم الإسلامية ومؤرخة للإسلام في جامعة روما - لاسابيينتا. ويبدو مقال سكارتشا أموري من هذه الزاوية مهما جدا، حيث إنه يضع مشكلة الهوية و/أو "الصبغة المصرية" في علاقة مرجعية بسياسة محمد علي وقراءة بعض الإنتاج العربي المعاصر، مثل عمل الجبرتي المذكور. ولا بد من الانطلاق من قراءة الوثائق والمصادر التاريخية الثقافية، وتحليل النصوص بهدف التدبر الهادئ والصارم من الناحية المنهجية، كما تبين الباحثة الإيطالية، والمقالان التاليان اللذان يحملان طابعا تاريخيا وسياسيا. والمقال الأقدم هو "القضية المصرية من ١٧٩٨ إلى ١٨٤١" لكارلو جيليو المعروف بدراساته في التاريخ السياسي الاستعماري، والثاني مأخوذ عن الفصل الأول من مذكرة "تاريخ مصر" لـ برونو ألييتي، الموظف الكبير في وزارة الخارجية، الذي سلمنا صورة لتاريخ هذا البلد العربي، بداية من الفترة التالية لمحمد علي، يزاوج فيه المؤلف بين التحليل الدقيق، والقدرة على التلخيص والتركيب المتين، كما قال ريتسيتانو^(١٦) في تعليقه. ولا يهم بعد ذلك أن يكون الإنسان منحازا كما هو الحال مثلا في المؤلف المهم والأساسي للمصري جمال الدين الشيال، الذي يقترح منذ مقالاته الأولى مفتاحا للقراءة، في تلاحم تام مع دراسة المصادر والوثائق الأرشيفية. ويمكن أن نعتبر كتابه الجميل "تاريخ الترجمة والحركة الثقافية في عصر محمد علي من الكلاسيكيات إلى الآن"^(١٧).

ويرى الشيال أن الخاصية المميزة لعمل محمد على كانت التوجه لأوروبا ليأخذ ما كان مفيدا لتحديث وتقوية سلطته وكان مرتبطا بتقاليد وأعراف آبائه والعثمانيين أكثر مما كان عليه العثمانيون أنفسهم في تلك الفترة. ويضيف الشيال أن محمد على اختار لعمله هذا سبيلا وسطا، وفي المدارس الجديدة استخدم طلبة ومدرسين قادمين من مؤسسات قديمة مثل الأزهر.

وخلص إلى أن الباشا الكبير في القاهرة "بدأ في مصر عهدا جديدا وبفضل كل الأدوات المستخدمة" حاول محمد على وضع الغرب في مصر لتحقيق الإصلاحات كما كان معتادا في الغرب نفسه، ولكنه لم يقد بأى جهد لى ينقل مصر إلى الغرب، بل إنه اتجه للحفاظ على روحانيتها وتقاليدها"^(١٨).

وتمهد الآراء التي عبر عنها الشيال للجانب الثاني، الذي أوليناه أهمية خاصة في اختيار المقالات الإيطالية لهذا الكتاب؛ وهو جانب الإصلاحات في عهد محمد على، ونقل المعارف الحديثة من أوروبا وأساليب تلقي هذه المعارف في المجال المصري والإقليمي، وبالتالي العلاقات المعقدة والمحفوفة بالمشاكل مع الدول الأوروبية. وبمناسبة هذا الموضوع الأخير، لم يكن من الممكن أن يغيب في هذه المجموعة من الدراسات مقال للمؤرخ أنجلو سان ماركو بعنوان "الوثائق الدبلوماسية المتعلقة بحكم محمد على وأرشيقات الدولة الإيطالية". وتعتبر عملية التجميع والتحليل التي قام بها سان ماركو للوثائق الإيطالية المتعلقة بالعلاقات الدبلوماسية إسهاما على جانب كبير من الأهمية لمعرفة تاريخ مصر في فترة محمد على وفي القرن التاسع عشر بصفة عامة. وقد تلقى سان ماركو من الملك فؤاد تكليفا ملزما باستكمال الدراسة ونشر الوثائق الدبلوماسية الإيطالية المتعلقة بحكم باشا القاهرة، والتي كان جمعها قد بدأه المستعرب والمتخصص في الدراسات التركية أوجينيو جريفيني الذي استدعى إلى القاهرة كأمين مكتبة في القصر الملكي والمعروف بعد ذلك بأوجينيو جريفيني بك"^(١٩).

وعمل سان ماركو مهم، وكان من أثر الوثائق التي جمعت تشجيع صياغة

تصورات وتقديرات تاريخية جديدة. وقد منع اندلاع الحرب العالمية الثانية وموت الباحث الإيطالي للأسف استكمال العمل^(٢٠). وعلى الرغم من أنه غير مكتمل، فإنه يظل أداة أساسية لمعرفة الأحداث التي حدثت في زمن محمد علي، ويكفي أن نشير، على سبيل المثال، إلى الجزء من العمل، وهو المتعلق بغزو سوريا. وي طرح سان ماركو في هذا الجزء وثائق مهمة معظمها تقارير بالمراسلة للقناصل ورجال الأعمال المرتبطين بالنمسا مثل مراسلات الإيطالي جوزيبي أتشيريبي (١٧٧٣ - ١٨٤٥) قنصل النمسا في مصر، إلى مترنيخ من الإسكندرية، والتي تتناول العمليات العسكرية وحالة الجيش العثماني والجيش المصري وشخصية محمد علي نفسه، كرجل خشن ومتعجرف، ومهتم فقط بمصالحه ومصالح عائلته (انظر "خطاب القنصل أتشيريبي للسفير البابوي أوتفيلس"، في ٥ يوليو ١٨٣٢، من الإسكندرية، ص ١٩-٢٣). وموضوع البحث في هذا الجزء هو أيضا موضوع وجود المدربين العسكريين الإيطاليين في هذا المعسكر وذاك، أو المصري والعثماني. والتقييم الذي يستخلص من تحليل الإصلاحات المتفرجة، طبقا للوثائق الإيطالية التي جمعها سان ماركو هو أن هذه الإصلاحات ربما مست النخب في السلطة والدوائر العسكرية، مما شجع في نهاية المطاف المؤسسة الحاكمة فقط. ولكن الشعب المصري ربما عانى من التجنيد الإجباري، والحرب الطويلة والسياسة الضريبية الثقيلة. وكان الشباب القبطي نفسه، كما تذكر تقارير مهمة، مضطرا لأول مرة للتجنيد، ليس لواجبات عسكرية ولكن للدعم اللوجيستي ولمهام متواضعة.

وفي تقرير لـ دي روسيتي إلى فوسومبروني، من الإسكندرية في ١٨ أغسطس ١٨٣٢، كتب يقول: "إن هذا الباشا يستعد من جانبه للدفاع، مما سيلحق بملكه الضرر الهائل الذي سيفرغ بلده من أفضل السواعد، تاركاً بذلك الزراعة التي يستمد منها وحدها موارد، بهجوم عسكري مفاجئ، وفي حملة لا يمكن أن تكون مواتية لهم. وإذا استطاع الحصول على تسوية، فإنه سينتصر في قضيته، ولكن مع حرب طويلة ستضعف مصداقيته وتغيب، وقد أنهكت شعبه المعاناة

والأعباء، ومن السهل أن يتمرد عليه جيشه الذي لا يعرف إلى أين سيخرج به، والتجارة الأوروبية، إذا لم تجد أمنا كاملا، فإنها لن تخاطر برعوس أموالها ولا بالأموال السائلة لشراء هذه المنتجات، ولا في سلع لا يريد أحد المغامرة بها في مخاطر الهزيمة. وهذا الارتياح الطبيعي سيكون قاتلا لماليات هذا الباشا، إذا لم يوقف التطور السريع هذه الحرب، ولكن يبدو أن من العبث الأمل في ذلك. إن هذا الصراع يمكن أن يصبح سريعا أوروبيا، وربما في هذه الحالة سيجد الباشا الخلاص في السياسة المختلفة لدول أوروبا المهيمنة (ص ١٤٧-١٤٩). وهناك علاوة على ذلك بعض الآراء المهمة المتعلقة بعمل إبراهيم باشا في حملة سوريا، كما في خطاب أكوراتي الطويل لـ أوتفيلس من الإسكندرية ٢٦ يونيو-٢٧ يوليو ١٨٣٢، الذي كتب يقول فيه: "في كل النقاط التي زارها الكاتب في سوريا، وجد ما يؤكد رأيه بأن المسلمين يطيعون الحكومة الجديدة فقط بفضل أعمال العنف، التي يمارسها إبراهيم، الذي لم يضع السلطان في طريقه أي عقبة، دون عقاب، ضد كل أولئك الذين يعلنون معارضتهم لمحمد علي" (ص ٣٥) ويمكن الاعتراض بأن بعض القناصل الإيطاليين في خدمة النمسا كانوا منحازين ويخدمون سياسة الدولة التي كانوا يمثلونها. ولكن يبقى الاهتمام الكبير بعمل سان ماركو المهم، الذي يظل للأسف غير معروف للمؤرخين المعاصرين أنفسهم في إيطاليا.

ولا شك في أن الدور الذي لعبه الإيطاليون في تحديد العمل الإصلاحي للباشا المصري، منذ اللحظات الأولى لتعزيز سلطة محمد علي، يعتبر دورا بارزا. وإذا أردت الحديث عن دور الرحالة الإيطاليين وعلماء الآثار أو الباحثين عن الآثار والباحثين بصفة عامة في مصر منذ الأيام الأولى للقرن التاسع عشر قد لا يكفينا كتاب بأكمله. وأذكر هنا الشخصية المعقدة والمهمة لجوفاني باتيستا بيلنتسوني من بادوفا. فقد وصل إلى القاهرة في ١٨١٥ وتعاون مع ألمع علماء الآثار الموجودين آنذاك في وادي النيل، وبعد العودة إلى أوروبا في ١٨١٩ نشط للتعريف بروائع مصر القديمة. وعلى الرغم من حبه لمصر فقد اضطر لترك البلد العربي، ولكن يبدو أنه قد قال قبل ذلك كلمات مريرة إزاء "بعض الأوروبيين الموجودين في مصر، الذين يمثل مسلكهم وعقليتهم عارا على الجنس البشري"^(٢١). وقد دخل

جيرولامو سيجاتو، القادم من مدينة بيللونو، بعد أن وصل إلى مصر في ١٨١٨، في دائرة المتخصصين الأوروبيين، الذين استدعاهم محمد علي لبناء قناة ملاحية لتجنب القناطر الثانية، وقد كانت الإقامة في مصر بعد ذلك مهمة جدا لجوفاني باتيستا بروكي، وهو عالم في التاريخ الطبيعي، ولد في باسانو في ١٧٧٢، ونستخلص من عمله الضخم، المشار إليه فيما بعد، أخبارا مهمة عن حقبة محمد علي. ومن ناحية أخرى يذكرنا الشيال نفسه بمدى أهمية دور الإيطاليين. فمنذ السنوات الأولى من حكم محمد علي، ما كتب الباحث المصري، توجه إلى إيطاليا، علاوة على إنجلترا وفرنسا.

وتأكيدًا لما يقوله، يحكى الشيال الدور الذي قام به عثمان نور الدين، المساعد الوثيق للباشا المصري في الدعم المقدم لتعليم الإيطالية في القاهرة والعلاقات مع إيطاليا. وقد رأس عثمان نور الدين الوفد المصري المبعوث إلى إيطاليا من قبل محمد علي في ١٨٠٩ ومن هنا إلى فرنسا^(٢٢)، للقيام بمهمة إعادة بناء المطبعة التي كانت قد أغلقت، وقد حدث هذا بعد أن ترك الفرنسيون مصر، وكان المستشرق مارسيل المسنول عن المطبعة قد نقل إلى باريس كل مواد الطباعة المستوردة من إيطاليا إلى تلك الدولة. وكان نابليون في نهاية القرن الثامن عشر قد حصل بالفعل على الأحرف العربية من "مطبعة الدعاية في روما"، التي جند منها العاملون الفنيون الذين كانوا يعملون تحت رئاسة مارسيل. وقد كانوا من العمال المتخصصين مثل جوفاني جورتي وجوفاني رينو، المسمى بـ "الشرقي"، ومؤلفين أمثال كاميللو روجا ونيكولو روزيللي وفرنشيسكو ماكاتي، وطباعين، مثل جوزيبي دي دومينيتشيس، ولويجي بيليجريني وفيليتش أنسيلوني. وكانت المطبعة موجودة في الإسكندرية في بيت نائب قنصل فينيسيا. ولم يكن من قبيل الصدفة أن أول عمل يصدر في مصر كان مقالة طبية إيطالية" وصف التهاب العين في مصر مع الطريقة العلاجية لأنطونيو بافاريزي، طبيب الجيش الفرنسي في الشرق"، والمطبوع في القاهرة في العام الثامن من الجمهورية الفرنسية^(٢٣). وقد أشرف نور الدين علاوة على ذلك على تأسيس مدارس كانت تدرس فيها اللغة الإيطالية واجتهد

لتشجيع ترجمة نصوص إيطالية إلى العربية والتركية. وكانت اللغة الإيطالية تدرس في مدارس بولاق وقصر العيني، وبعد ذلك في مدرسة المهندسخانة في بولاق وفي بعض المدارس العسكرية^(٢٤). وعلاوة على ذلك جلب من إيطاليا مدرسين ومدرسين عسكريين واشترى آلات للطباعة^(٢٥)، وكتباً مفيدة تطرح على الجمهور المصري من خلال عمل المترجمين المصريين والسوريين – اللبنانيين بصفة خاصة، الخبراء في التركية والعربية. كان عثمان نور الدين شخصية مهمة، وبعد أن زالت حظوته بعد ١٨٣٠ بسبب معارضته لحروب محمد علي ضد الباب العالي، شجع أيضا وجود الأطباء الإيطاليين في مدارس الطب وفي المستشفيات العسكرية. وهذه الأخيرة جوانب مهمة، خصصت لها هنا مساحة كبيرة مع دراستين للصقاليين رستيفو وسبتسيالي.

ولم يكن المدرسون الأجانب الفرنسيون والإيطاليون والإسبان يعرفون سوى لغتهم ولكن التلاميذ كانوا يعرفون فقط العربية، وهو سبب جعل من الضروري تأسيس وظيفة المترجم الوسيط بين المدرس والطالب. وفي مدارس الزراعة والهندسة الحديثة، التي أسست في تلك الفترة، كانت تدرس الإيطالية والعربية والفارسية والتركية، علاوة على الفرنسية. وفي ١٨١٥ أسس مكتب المهندسخانة في القلعة. وهنا أيضا، علاوة على العربية والتركية كان يوسع الكثير من الطلبة اختيار دراسة الإيطالية. وفي مدرسة الهندسة الثانية، المؤسسة في ١٨١٩، كان يدرس السيد كوستا، بينما كان يدرس بالعربية والإيطالية تحت إدارة السيد توديري^(٢٦). وعلاوة على الشيال، تعد شهادة بروكي المذكور حاسمة. فقد وصل بروكي بالفعل إلى مصر في ١٨٢٢، وبقي فيها لخدمة الباشا في القاهرة حتى الوفاة التي وقعت في الخرطوم في ٢٣ سبتمبر ١٨٢٦. ويقول رجل العلم والرحالة الإيطالي إن المكابس الخاصة بالطباعة كانت مستوردة من ميلانو والورق من ليفورنو؛ وفي مرحلة أولى كان الحبر أيضا مستوردا من إيطاليا، قبل أن ينتج في مصر. والشئ نفسه يقال عن الأحرف العربية والتركية والإيطالية واليونانية أيضا المصنوعة في ميلانو^(٢٧). وفي أوائل ١٨٣٥ أسست في القاهرة مدرسة الألسن باسم مدرسة الترجمة، وكان يرأسها الشيخ الإصلاحى المعروف رفاعة

الطهطاوى^(٢٨). وقد تطلب تأسيس المدارس الجديدة أيضا شراء كتب الأدب والتاريخ باللغة الفرنسية غالبا من أوروبا، وقد شجع هذا نشاط الترجمة فى قطاعات الطب والرياضيات والهندسة والعلوم العسكرية والعلوم الاجتماعية والأدب والتاريخ والفكر السياسى. وعلى الرغم من أن الإيطالية منذ تلك اللحظة تركت المجال للفرنسية والإنجليزية، إلا أن الاهتمام باللغة الإيطالية استمر فى البقاء حيا. وكانت الترجمة عن اللغات الأوروبية، كما يذكر الشيال، من بين الخصائص الرئيسية لسياسة محمد على. ومن بين المطبوعات والترجمات الأولى نذكر طباعة قاموس إيطالى - عربى فى مطبعة بولاق فى ١٨٢٢، من إعداد السورى، الأب أنطون رفاعة الزاخور^(٢٩)، الذى أعد أيضا الترجمة العربية لرواية "الأمير" لماكيافيللى فى ١٨٢٤-١٨٢٥^(٣٠). وفى ١٨٣٤ ترجم أخيرا إلى التركية "تاريخ إيطاليا" لـ "بوتا"، ولكن عن الفرنسية^(٣١). وقد فرضت عملية الترجمة، كما فى حالة الأمير لماكيافيللى وتاريخ إيطاليا لـ "بوتا" مشكلات كبيرة على المترجمين الذين لم يتمكنوا فى مقاطع عديدة من ترجمة فكر المؤلفين بصورة صحيحة. ويشير مقال ماريا ناللينو المهم الذى اختير لهذا الكتاب إلى الإشكاليات المرتبطة بالترجمة، والاستخدام غير الدقيق غالبا للكلمات والمفاهيم. والشيال نفسه يشير إشارات كثيرة لمقال ناللينو، وأنا واثق من أن الترجمة العربية للمقال نفسه ستلقى تقدير الباحثين العرب والمصريين.

وأختتم هذه المذكرة التمهيدية القصيرة بالأمل فى أن يلقى هذا الإسهام الإيطالى الصغير والجزئى تشجيعا وأن يعتبر أداة لمزيد من الدراسات المتعمقة. وأود أن أشكر الصديق أنجلو جويه، الملحق الثقافى فى المعهد الثقافى الإيطالى فى القاهرة للمساندة التى قدمها لتحقيق المبادرة. ولا بد أن أشكر علاوة على ذلك إدارة المجلة العلمية الإيطالية المرموقة "الشرق الحديث"، التى نقلنا عنها بعض المقالات المجموعة هنا، ومعد كتاب "الترجمة والتجديد فى مصر (١٧٩٨-١٩٩٨)"، وأعمال المؤتمر الذى نظمته فى ميلانو جمعية دراسات الشرق الأوسط. وقد أخذت عن هذا الكتاب (ميلانو، ٢٠٠٠) مقالات سكاريتشا أمورييتى ورستيفو وسبتسيالى.

هوامش

- (١) من المفيد أن نرى من هذا المنظور المقالة الأخيرة للباحث المصري محمد عفيفي، عرب وعثمانيون، رؤية مغايرة، دار الشروق، القاهرة..
 - (٢) أ. ريتستاتو، تاريخ العرب، دار نشر مانفريدي، باليرمو ١٩٧١، ص ٢٤٢، ٢٤٦.
 - (٣) أ. ريتستاتو، "Ali studi di storia araba" في *Ali studi sul vicino oriente in Italia dal 1921 al 1970* المجلد الثاني، ص ٢٧-٦٧، ص ٦٣
 - (٤) إن إسهام أمبرتو ريتسيتاتو، المولود في مصر ١٩١٣، والمعروف والمحبوب جدا في هذا البلد وفي العالم العربي بصفة عامة يعتبر بلا شك هاما ومنوعا في مجال النشاط الجامعي، ونشر اللغة، والثقافة الإيطالية في مصر والدراسات العربية الإسلامية في المجال المصري، والتي كرس لها المستعرب الصقلي جانبا هاما من أعماله في شبابه في الأربعينيات والخمسينيات من القرن العشرين. وقد نشر العديد من المقالات في المجلة الإيطالية *Oriente Moderno* وفي مجالات مصرية هامة. وقد يطول بنا الحديث إذا ذكرنا مقالات ريتسيتاتو في تلك الفترة، وأذكر على سبيل المثال، "studi di storia islamica in Egitto (1940-1952)" في *O M*، العدد ٣٣، ١٩٥٣ (ص ص ٤٤٢-٥٦)؛ "lingua e cultura italiana in Egitto" في *Paninae institutionis binquarum*، القاهرة ١٩٥٥.
- “un secolo di giornalismo italiano in Egitto (1845- 1945)
- في *Cahiers d'histoire Egyptienne*، السلسلة ٨، الملزمة ٢-٣، مايو ١٩٥٦ (ص ١٢٩-١٥٤)

(٥) جدير بالذكر أن ألبرت حوراني (storia die popoli arabi, da maometto ai nostri giorni, A histoy of the arab ١٩٩٢ ميلانو، موندادوري، موندادوري، 19991) people, 19991)

يخصص نبذات قصيرة لمحمد علي، مدرجا عمله الاصلاحى فى الإطار الأعم لسياسة التحديث التى بدأها العثمانيون منذ عصر سليم الثالث أولا ومحمود الثانى بعد ذلك، بعد ١٨٢٠. ويوضح أنه كون حوله جماعته المسيطرة العثمانية المحلية المؤلفة من الأتراك والمماليك، وجيش حديث ونخبة من الموظفين والمتعلمين جيدا، واستخدمهم لفرض السيطرة على الإدارة وتحصيل الضرائب فى كل البلاد، ليمدها إلى أبعد من ذلك حتى السودان وسوريا والجزيرة العربية".

(٦) وقد اضاف قائلا: "كارل ماركس (فى New york daily tubrne ٢٥ يوليو ١٨٥٣) قيم ايجابيا إصلاح محمد على الذى كان يصفه بأنه الرجل الوحيد الذى يستطيع استبدال رأس حقيقى بعمامة توضع على الرأس" (المجلد السادس. لوتسكى، storia moderno die paesi arabi ترجمة ايطالية، دار نشر تيتى، ميلانو ١٩٧٥، ص ٧٠)

(٧) بيتر مانسفيد، storia del medio Oriente، ترجمة ايطالية، SEI تورينو ١٩٩٣/ A history of the Middle East، ص ٥٤. وجدير بالذكر ان تناول المؤرخين الإيطاليين والأوروبيين الرئيسية غير المتخصصين يشير إلى عمل محمد على فى إطار سياسة القوى الأوروبية الرئيسية وما يسمى بقضية الشرق. ولكن يتضح الاهتمام الضئيل بالواقع الإسلامى الإقليمى والسياسة الإجتماعية لباشا القاهرة.

(٨) راجع عبد الرحمن الجبرتى، تاريخ عجائب الآثار فى التراجم والأخبار، المجلد الثانى، طبعة دار الفارس، بيروت، بدون تاريخ، المجلد الثانى، فى مواضع متفرقة. وبصفة عامة انظر تناول أحداث السنتين ١٢١٨ و ١٢١٩ من الهجرة (١٨٠٤- ١٨٠٥ ميلادية)، اللتين يرسم فيهما المؤلف، كمتفرج كبير، إجراءات وصول محمد على للسلطة.

(٩) يجدر بنا أن نذكر رحلة الحج التي قام بها الشاب عبد القادر الجزائري الذي كان يصاحب الأب محيي الدين في ١٨٢٥. راجع "الحاج مصطفى التهامي، صراط الأمير عبد القادر وجهاده"، إعداد يحيى بو عزيز، دار الغرب الإسلامي، بيروت. الطبعة الأولى، ١٩٩٥. الجزء المخصص للمرور بمصر يتضح أنه قصير ولكنه عرض هام للحياة اليومية في الإسكندرية والقاهرة، من الناحية الدينية والثقافية. عند العودة من مكة وصل الجزائريان إلى القاهرة (قاهر مصر) في أيام مولد النبي. وفي هذه المناسبة، يلقي الضوء على جو العيد، والعديد من الأضواء المضاءة في كل مكان وخاصة في منطقة الحسين، وفي المساجد وقبر الإمام الشافعي. ويتضح علاوة على ذلك أن الفرحة كانت قد زادت للتزامن مع الفيضان السنوي للنيل (ص ١٢١).

(١٠) راجع محمد فريد بك، "تاريخ الدولة العثمانية"، دار الجيل، طبعة بيروت، ١٩٧٧، ص ١٩٢. وجدير بالذكر ان محمد فريد، في رسم عهد محمد علي، كان يؤكد على ان مصر جزء من الإمبراطورية العثمانية (ص ٢٣٣).

(١١) راجع نعمان قساطيلي، "الروضة الغناء في دمشق الفيحاء"، دار الرائد العربي، الطبعة الثانية، بيروت ١٩٨٢ / الطبعة الأولى ١٨٧٩، ص ٨٧

(١٢) راجع "القول في الوحدة العربية"، في محمد كرد علي، "أقوالنا وأفعالنا"، القاهرة، ١٩٤٦، ص ص ٣٣٩ - ٣٤٨.

(١٣) أ. ريتسيتاتو، تاريخ العرب، المرجع المذكور، ص ص ٢٤٢ - ٢٤٨: الصحوة" (ص ٢٤٥)

(١٤) بالنسبة للقاءات التي نظمت في مصر، انظر ذكرى البطل الفاتح إبراهيم باشا ١٨٤٨ - ١٩٤٨، أعمال المؤتمر الذي نظّمته الجمعية الملكية للدراسات التاريخية في القاهرة بمناسبة الذكرى المئوية لوفاة ابن محمد علي، مكتبة مدبولي، القاهرة ١٩٩٨. وفي خطاب الافتتاح أكد عبد الرازق أحمد السنهوري باشا بوضوح قائلاً:

"إذا لم يكن إبراهيم عربى المولد، فإنه عربى النشأة والموطن، عربى اللغة والعاطفة، عربى المجلد والعظمة، أتى مصر طفلا فغيرت شمسها دمه فجرى عربيا" راجع كلمة الافتتاح، ص.و) ومؤخرا، فى ١٩٩٩، جرى فى القاهرة لقاء للدراسات حول محمد على بمناسبة الذكرى الـ ١٥٠ لوفاته. راجع رؤوف عباس (إعداد)، "إصلاح أم تحديث. مصر فى عصر محمد على". ندوة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية بمناسبة مرور ١٥٠ عاما على رحيل محمد على باشا الكبير، ٩-١١ مارس ١٩٩٩، القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٠

(١٥) عبد الرحمن الرافعى، عصر محمد على، الطبعة الثانية، القاهرة، دار المعارف ١٩٨٩ / الطبعة الأولى، ١٩٣٠. وهناك صورة لها مغزاهما فى ص ٥٦٥ من الكتاب تصور إبراهيم باشا مع التعليق التالى: قائد الجيوش المصرية فى حروب الاستقلال (١٧٨٩-١٨٤٧).

(١٦) أ. ريتسيتاتو... un secolo di... المرجع المذكور، ص ٦٥. ولكننا لم ندرج فقرات مأخوذة عن الصقلي المرموق أ. فيرزى، "تكوين مصر الحديثة والإسهام الإيطالى فى نهضتها السياسية والحضارية فجر البعث المصرى" (١٧٦٠-١٨٤٠)، مسينا ١٩٣٨.

(١٧) القاهرة، دار الفكر العربى، ١٩٥١.

(١٨) نفس المرجع ص ص ٦-٧ و ١٠ وليس من قبيل الصدفة أن عنوان المقدمة هو "النقل عن الغرب وسيلة محمد على للإصلاح"، (ص ٥)

(١٩) أ. ريتسيتاتو، un secolo di، المرجع المذكور، ص ٦٣.

(٢٠) يجدر بنا ان نذكر بعض أعمال أنجلو سان ماركو،

Il regno di Mohamed Ali nei dowmenti diplomatici italiani inediti

المجلد الأول (lugilo 1801- lugilo 1804)، القاهرة، القاهرة
١٩٣٠؛ المجلد الثانى؛

"gensì e primo svolgimento della crisi egiziana orientale del 1831- 1833
(gennaio 1831- gennaio 1832)"

روما ١٩٣١؛ المجلد التاسع

la presa di san giovanni d'Acri (febbraio- giugno 1832)"

روما ١٩٣٢؛ المجلد العاشر،

"la conquista egiziana della siria (luglio – Ottobre 1832)"
الجمعية الملكية للجغرافيا في مصر، مطبوعات خاصة تحت رعاية صاحب الجلالة فؤاد الأول،
مطبوع في روما عن طريق مؤسسة الدولة للطباعة للجمعية الملكية للجغرافيا في
مصر، ١٩٣٢. ولنفس المؤلف،

"l'impronta del giornale di viaggio di g.b brocchi per la conoscenza
della'Egitto e del sudan"

مقتطف من الـ bulletin de la societe royal de geographie d'Egypte

الكتاب السادس عشر، القاهرة ١٩٢٣؛

Il contributo degli italiani ai progressi scientifici e pratici dell
medicina in Egitto sotto regno di Mohammed Ali

بالتعاون مع أ. فيروتس بك، القاهرة ١٩٢٨؛

il viaggio di Mohammed Ali al Sudan (15 ottobre 1838- 15 marzo
1839)

القاهرة ١٩٢٩؛

La marina egiziana sotto Mohammed Ali, il contributo italiano

القاهرة ١٩٣١.

(٢١) راجع ج. لوكيتا، "in Egitto e lungo il nilo"

فى، stosia di vragoviatosi italiani، الكتا، ميلانو ١٩٨٦ مجلة افرقيا، صص
١٠٦-١٣٣، ص ١٢٤.

(٢٢) الشيال، تاريخ اليرجمة...، المرجع المذكور، الفصل الأول "عثمان نور الدين اول
مبعوث مصرى الى أوروبا"، صص ٩٥-١٠١.

(٢٣) ا. ريتسيتانو، un secolo di...، المرجع المذكور، ص ١٣١.

(٢٤) للحصول على هذه الأخبار، راجع الشيال، "تاريخ الترجمة..."، المرجع المذكور،
صص ١٢-١٣.

(٢٥) فى الفترة من ١٨١١-١٨٢١، ارسل نيقوك مابيكى إلى ايطاليا لتعليم تقنيات
الطباعة، ولا ننسى أول جريدة ايطالية كانت "lo spettatose egiviano"
(الإسكندرية ١٨٤٥) بمبادرة شخص يدعى كاستيلنوفو. راجع ا. ريتسيتانو، un
secolo di...، المرجع المذكور، ص ١٣٤-١٣٥.

(٢٦) الشيال، تاريخ الترجمة...، المرجع المذكور، ص ١٨-٢٥.

(٢٧) راجع ج. ب. بروكى،

Giornale della osservazioni fatte ne' viaggi in Egitto, nella siria e nella
nubia، مجلدات، باسانو ١٨٤١-١٨٤٣، المجلد الأول، ص ٢٧-٣٥.

(٢٨) الشيال، تاريخ الترجمة...، المرجع المذكور، ص ٣٩.

(٢٩) نفس المرجع، ص ٧١.

(٣٠) نفس المرجع، المذكور، ص ٨٠، القاموس كان عنوانه قاموس ايطالى-عربى،
إعداد الأب انطون رفائيل زاخور، مكان الطباعة بولاق ١٢٣٤، ١٨٢٢. والعنوان
العربى للأمير هو "الأمير فى علم التاريخ والسياسة والتدبير، ترجمة للأمير
لماكيافيلى، إعداد الأب أنطون رفائيل زاخور من الإيطالية إلى العربية (مخطوط
مؤلف الترجمة محفوظ لدى دار الكتب المصرية رقم ٤٣٥. سنوات الترجمة التى

أرادها محمد علي ١٨٢٤-١٨٢٥، المجلد الأول (توجد ترجمة ثانية من إعداد محمد لطفى جمعة، مطبوعة في القاهرة في ١٩١٢. ويبدو أن الترجمة لقيت تشجيعا في إطار الاهتمام بالعلوم السياسية. ويجب أن نذكر إعادة اكتشاف مقدمة ابن خلدون التي يقوم بها الشيال أنها اعتبرت في ذلك الزمن، أكثر ليبرالية من عمل ماكيافيللي نفسه. والـ"بروكي" أيضا يتحدث عن قاموس إيطالي عربي ألفه د. رفائيلي، أستاذ اللغة العربية في بولاق والعارف الممتاز باللغة الإيطالية، مضيفا أن د. رفائيلي يرجع له الفضل في الترجمة العربية لكتاب الأمير لكتاب الأمير لماكيافيللي (المرجع المذكور، المجلد الثاني، ص ٣٦٩ - ٣٧٠).

(٣١) تاريخ إيطاليا، ترجمة تاريخ إيطاليا لـ "بوتا"، 'عداد عبد الله أفندي عزيز ابن خليل وحسن أفندي. ترجمة عن الفرنسية Histoire d'Italie، الكتاب الأول، إلى التركية. مطبعة سراي رأس التين، الإسكندرية، ١٢٤٩، ١٨٣٤. الثمن ٣٠ قرشا. مجلدان: الأول، ١٣١ صفحة، والثاني ١٥٤.

إصلاحات محمد علي الصحية في مصر في النصف الأول من القرن التاسع عشر

جوزيبي رستيفو

بدأت الحركة الأولى الإصلاحية في المجال الصحي في ١٨٢٧^(١). وكان محركها هو الباشا محمد علي، في إطار تقوية سلطته وتحديث مصر بدءاً بالقوات المسلحة. وقد صاحب إنشاء جيش من نموذج جديد، يقوم على التجنيد، تشجيع وتنمية الصادرات المصرية في السوق العالمي. وكلا التجديدين يلفتان الانتباه لحالة الصحة العامة في مصر، وعلاوة على ذلك فرضت أوبئة الكوليرا العنيفة في ١٨٣١ والطاعون في ١٨٣٤-١٨٣٥ ضرورة تجنب تكرار هذه الكوارث "القومية"^(٢).

وكانت البلاد في ظروف صعبة، وفي نظر الأوروبيين عند حد الألم. ففي ١٨٤٦، بعد تسعة عشر عاماً من بداية الإصلاح تظهر القاهرة لدكتور في أكاديمية الطب في باريس بـ ٢٠٠ ألف من السكان معظمهم فقراء و"قبيحون"، ومكدسون في بيوت مركبة كل منها على الآخر. مع قليل من الهواء بين الشوارع الضيقة غير المرصوفة. ومن النيل يؤخذ الطين المختلط بأجسام الحيوانات المتعفنة لبناء جدران البيوت والماء للوضوء اليومي. وفي العاصمة المصرية يوجد ٢٥ من ٣٥ مقبرة داخل الأحياء السكنية، والموتى لا يدفنون على أعماق كبيرة، طبقاً للعادات المحلية.

والقاهرة هي المنطقة الأولى التي تظهر فيها ويبلغ عن حمى الضنك، التي تسمى في الإيطالية الحمى المكسرة للعظام. وفي ١٧٧٩ أعطت المدينة المصرية إشارة البدء للتعاقب السريع لحالات ظهور هذا المرض، الذي يضاف للآلام اليومية

مثل التيفود والجدرى والتهاب العين والدوسنتاريا. أى أن الموقف مأساوى، إذا أخذنا فى الاعتبار الوجود المكثف للفلاحين الذين يعيشون حياة بائسة ويرتدون ملابس رثة^(٣). وتظهر القاهرة زحاما زائدا بصفة خاصة فى فترة الحج إلى مكة، فهى نقطة مرور إجبارية كل عام لـ ١٠-١٥ ألف مسلم محملين بالبضائع والأثاث، والقادمين من ثلاثة اتجاهات كبيرة. وإذا كان أحد هذه الاتجاهات مصابا فإن العدوى تصبح فى غاية السهولة.

وكانت الإسكندرية أيضا نقطة مرور إجبارية للحجاج فى ذهابهم وعودتهم من مكة؛ وفى الوقت نفسه كانت الإسكندرية هى الميناء المرجعى على البحر الأحمر، وعلاوة على ذلك هى نقطة التقاطع لمحور الشمال - الجنوب مع إسطنبول ومحور الشرق - الغرب مع المغرب من ناحية وسوريا من الناحية الأخرى. ولكن هناك محور آخر، "أطول" تقع عليه المدينة، وهو المحور الذى يربط الهند بإنجلترا، بمساء يبدأ من بومباى إلى السويس ومن هنا إلى القاهرة والإسكندرية لكى يستأنف بعد ذلك إلى مالطة، وإلى مرسيليا وإنجلترا. وفى الثلاثينيات من القرن التاسع عشر كان هذا الطريق فى أوج تطوره، فهو مندرج فى الإطار الكبير للإمبريالية البريطانية والتطور التكنولوجى لنظام النقل داخلها^(٤).

ومع بناء الميناء الغربى، بإلهام من محمد على، ستصبح الإسكندرية العاصمة البحرية للبلاد. وفى خمسين عاما سيتزايد عدد سكانها بصورة مذهلة^(٥). وفى النصف الثانى من القرن الثامن عشر يصل عدد السكان فى المدينة مما يقرب من ٢٠ ألف نسمة فى ١٧٥٠ إلى رقم يقدر ما بين ٥ و ٨ آلاف نسمة. ولكن بداية من ١٨٢٠ نجعل سياسة محمد على الجديدة منها محور الاتصال مع أوروبا، و"الصينية الدوارة" نحو البحر المتوسط، والقاعدة العسكرية والبحرية، ونقطة القيادة العسكرية؛ ويصل عدد السكان إلى ٦٠ ألف نسمة فى ١٨٣٥ طبقا للقنصل الفرنسى ديليسبس^(٦).

وقد كان نموا يتعرض كثيرا للعرقلة، بسبب تكرار الأوبئة؛ وفى مقدمتها

أوبئة الطاعون. وعلاوة على ذلك فإن تدفق العديد من آلاف الأشخاص من البحر والبر إلى الإسكندرية يخلق موقفا محفوفا بالمخاطر الوبائية المستمرة. وقد حاول محمد علي مواجهة هذا الموقف الدرامي بتأسيس أول مجلس للصحة في الإسكندرية في ١٨٢٧، وأتبعه في العام التالي بتحويل بعض المخازن الكبيرة في شبه جزيرة عزبة البرج بالقرب من دمياط إلى مراكز للحجر الصحي، وفي هذه الهيئة تطبق تعليمات جهاز الحجر الصحي، على الطراز الأوروبي باتباع الاتجاه العام لسياسة الباشا المصري. وفي الواقع وطبقا لـ "بانزاك" كان محمد علي قد وافق بالفعل منذ ١٨١٥ على محاربة الطاعون بمختلف الوسائل^(٧)؛ ومع ذلك فإن التحول الحقيقي يحدث في بدايات الثلاثينيات، بعد أن ينجح محمد علي نفسه في أن يكسب لصفه علماء الدين، دكاترة الشريعة الإسلامية.

ويرجع آخر ظهور للطاعون في مصر، قبل واقعة دمياط في ١٨٣١، التي اكتشفت على الفور وأوقفت، يرجع في الحقيقة لعام ١٨٢٤ / ١٨٢٥. فكان الطاعون قد ظهر في السنوات ١٧٨٣، ١٧٨٥، ١٧٨٨، ١٧٩٠، ١٧٩٤، ١٧٩٦ / ١٧٩٧، ١٨٠٠: ١٨٠٣، ١٨١٠: ١٨١٢، ١٨١٥، ١٨١٨. وبعد عامي ١٨٢٤، و ١٨٢٥ كانت هناك حالات ظهور في ١٨٢٨ و ١٨٣١^(٨)، وفي ١٨٣١، بعد اندلاع الحرب الصريحة بين الباشا والسلطان، قام الجيش المصري بغزو سوريا، بقيادة ابن محمد علي. وقد أصيبت هذه المنطقة بعد ذلك على الفور بالطاعون، الذي نزل في بيروت مع سفينة رحلت في ١٣ نوفمبر من القسطنطينية "الملوثة" ووصل إلى الإسكندرية. وبعد أن تقرر لها هنا حجر صحي لمدة ١٩ يوما، مات فيها أربعة من الركاب البالغ عددهم ٩٥ راكبا، وقد أقنع تشخيص الطاعون الذي قام به الدكتور الإيطالي فرانثيسكو جراسي لجنة الصحة بإبعاد السفينة، التي تتجه بمقدمتها جنوب بيروت بقيادة القبطان حسين. وتصاب سوريا التي لم يمسه الطاعون في الوقت نفسه وتهدد العدوى بالوصول إلى أكرى، التي كانت تحت حصار إبراهيم باشا.

وعند هذه النقطة يتعين على الجيشين المشاركين في الخلاف على سان

جوفانى داكرى للدفاع عن أنفسهم ضد عدو مشترك ثالث رهيب: الوباء. ويسارع الجيش المصرى بقيادة إبراهيم بإحاطة نفسه بسياج صحى للدفاع عن نفسه ضد هجمات الطاعون. ويستدعى الباشا تقنية أوروبية، وينجح هكذا فى إنقاذ قواته المسلحة ولا ينجح بالطبع فى السيطرة على تحركات الحجاج إلى الأرض السورية.

ويواصل جانب من أولئك الذين نزلوا من السفينة الملعونة بقيادة الكابتن حسين الطريق إلى مصر على سفينة أخرى، تتجه صوب دمياط، وهنا على الرغم من الأوامر الصحية الصادرة، يستقبل المحافظ خليل بك البعض منهم فى مسكنه. وكان من نتائج هذا التهور فقدان ثمانية أشخاص من عائلة المحافظ نفسه، بينما سقط العديد من الضحايا من مختلف العائلات فى المدينة.

وسرعان ما تقرر لجنة الصحة فى الإسكندرية إرسال الدكتور فراشيسكو جراسى إلى دمياط وهو واحد من الأوروبيين الذين وصلوا إلى البلاد بناء على استدعاء من محمد على ومقيم فى الإسكندرية منذ ١٨٢٤. ويمتلك الطبيب الإيطالى الموظف فى المستشفى الأوروبى السكندرى تحت تصرفه عددا من السلطات الواسعة يمد من خلالها سياجا صحيا حول المدينة والقرى المجاورة ويبدأ سلسلة من الإجراءات من بينها فصل الأصحاء عن المصابين والتدخين وحرق المتعلقات الشخصية للمصابين بالطاعون. ويحتجز الطاعون داخل السياج وتكون النتيجة إيجابية من ناحية الصحة العامة، وفى ثلاثة أشهر، بين يونيو وأغسطس ١٨٣٢ يموت فقط ٣٠٠ من السكان يبلغ تعدادهم ٢٠ ألف نسمة.

وعلى الرغم من النجاح الطيب للمعركة ضد هذه النوبة من وباء الطاعون، يظل عام ١٨٣١ فى الوقت نفسه عاما كارثيا بالنسبة لمصر بسبب الكوليرا، "قالزيارة" الأولى لها تضرب البلاد بعنف شديد حتى إنها ظهرت من أشد الأوبئة فى التاريخ المصرى.

وفى بحر شهرين يقتل المرض ما يقرب من ١٥٠ ألف شخص، وفى ٢٨ يوما فقط تقتل من ٢٥٠ ألفا وهم سكان القاهرة عددا كبيرا يبلغ ٣٦ ألف ضحية؛

وفى ٤٠ يوما ١٢ ألفا فى الإسكندرية. وفى تلك المناسبة يحاول مكتب الصحة فى الإسكندرية، المؤلف من القناصلة العموميين لإنجلترا وفرنسا والنمسا وتوسكانا وروسيا مواجهة الكوليرا بالإجراءات نفسها المستخدمة لمواجهة الطاعون. ولا تتجح العملية؛ وتعترف جلسة للمكتب الصحى به بأمانة قبل أن يحل نفسه بقليل^(٩).

وعلى الرغم من هذه الانتكاسة، تخلف اللجنة الأولى فى العام التالى (١٨٣٢) لجنة صحية، مع الوجود المؤثر لقناصلة روسيا والسويد وإنجلترا الموجودين فى الإسكندرية. وكانوا هم الذين أشرفوا بالتناوب على تطبيق مواد الحجر الصحى، التى تبينت فعاليتها فى الوقت الذى ترسو فيه فى ١٨ سبتمبر سفينة شراعية نمساوية قادمة من القسطنطينية وتتخذ اللجنة إجراءات مشددة لضمان سلامة الإسكندرية، بعد أن علمت أن السفينة التى يقودها القبطان ماركو سكاليارين نجا منها هذا الأخير فقط من إصابة الطاعون الذى راح ضحيته اثنان فى أثناء الرحلة.

وفى ٢٦ نوفمبر ١٨٣٣ تصل إلى الميناء السكندري سفينة من جزر إيونييه "ليونيداس" التى تحمل على متنها مائة من الركاب وبكتريا الطاعون. وعلى الرغم من إبعاد الحجاج فى الحجر الصحى فإن ٢٤ منهم يموتون. وفى أعقاب ذلك بعد اتخاذ إجراءات العزل أيضا بالنسبة للبضائع، يتم "فحص" عام للركاب واغتسال بالماء المشبع بكلوريد الكالسيوم. وهكذا يتم حصار الطاعون ويقضى عليه. ولكن التنظيم الصحى لا يزال يبدو غير مكتمل، ويعطى تعليمات محددة للرحلات البحرية القادمة، مع نتائج قيمة أيضا، ولكنه يهمل أن يأخذ فى الاعتبار الرحلات الداخلية. وبالتالى تتم هذه الرحلات حتى ١٨٤٢ حرة ومستقلة عن أى قيد صحى^(١٠).

وسوف يظهر المرض من جديد فى ١٨٣٤، بعد وصول سفينة شراعية يونانية قادمة من قبرص إلى الإسكندرية. وطبقا للرخصة الصحية كان لابد أن يكون على متنها فقط بعض حالات التيفود؛ ولكن بمجرد نزول وسكن المسافرين، يتفشى الطاعون فى الدير اليونانى الذى استضافهم. ولمواجهة الموقف الطارئ فى

الخط الأول كان هناك مرة أخرى الدكتور جراسى؛ وفي تقرير مسلم للقنصل الإنجليزي فى ١٨٣٩، يقول الطبيب الإيطالى إنه مقتنع بأن الطاعون المصرى ليس من أصل محلى، ولكنه قادم أيضا من الخارج^(١١). وبالتالي فإننا نفهم حساسيته إزاء الأحداث الوبائية التى تشمل، أو يكون حتى أبطالها من الأشخاص "الأجانب".

وبالتالى فإن جراسى يذهب على الفور، فى ذلك العام المشئوم ١٨٣٤، فى ٧ يوليو لتفتيش الدير اليونانى ويقرر وضعه تحت الحجر الصحى بعد أن أخبر بذلك لجنة الصحة. وللأسف تكون خمسة عشر يوما على رسو السفينة الشراعية اليونانية واستأنف رهبان الدير حياتهم المعتادة من الاتصالات وتبادل الزيارات.

وفى الوقت نفسه نعلم أن بعض ملابس سكرتير البطريرك، التى أصيب كلاهما بالطاعون، أرسلت إلى قرية قريبة لتغسل.

وفى هذه الرحلة بالذات المؤلفة من ١١٠ أشخاص، لا يتأخر الطاعون فى الظهور؛ وبالفعل تحدث ١٨ حالة وفاة فى ١٦ يوما ويحمل الضحايا علاماته. وتؤدى الإجراءات الصحية المطبقة فى القرية فقط إلى إنقاذ الباقين على قيد الحياة، فتطهر المياه بالدخان "وتعطر" المتعلقات الشخصية للسكان وممتلكاتهم القليلة، ولكن فى الوقت نفسه تكون قد حدثت فى السابق اتصالات بين القرية والمدينة، وتنتشر جرثومة الطاعون ويتفاقم الطاعون لعدة أشهر فى دلتا النيل وفى القاهرة. وعند هذه النقطة يتقرر إقامة سياج صحى حول الإسكندرية؛ وقد أخره - ويبدو أن هذا تكرر لقصص أوروبية قديمة - احتجاج التجار وافتراس الأطباء الذين يعانون فى عدم الرغبة فى الإعلان عن أن المرض السارى فى السكان هو الطاعون^(١٢).

وفى الخلاف الحاسم للطبقة التجارية هناك شىء جديد بالقياس لخمسين سنة قبل ذلك: أن مواقف التجار الأوربيين والسكندريين تتكامل بالتبادل.

فالفريق الأول، فى نهاية القرن الثامن عشر يبدو أنهم لا يزالون جالية صغيرة محددة حول قنصلية دولتهم، وجماعات تعيش حياة معزولة مع اتصالات نادرة مع السكان المحليين.

وعادة يتعلق الأمر بعشرة - خمسة عشر من التجار، المحاطين بعدد مماثل من المساعدين وبعض الحرفيين، وبعض الدكاترة والعديد من الموظفين فى القنصلية. ومن بين الأشخاص الذين كانوا على اتصال بهم هناك "الوسطاء" الأساسيين من الأوروبيين، من ناحية، والمستهلكين والمنتجين، من الناحية الأخرى؛ وهم غالبا من ممثلى الأقليات، مثل الأرمن والوانيين أو اليهود؛ وكانوا مستعدين حتى للإحلال محل التجار الغربيين عندما كان هؤلاء ينفون أنفسهم أثناء الأوبئة فى البلاد^(١٣).

وطوال القرن الثامن عشر لا يبدو أن الجاليات الأوروبية المعزولة والصغيرة لها أى دور فى إدارة الصحة العامة؛ والمجال الإصلاحى الذى فتحه محمد على فقط هو الذى سمح لهم باكتساب ثقل ما، وفى العشرينيات والثلاثينيات من القرن التاسع عشر تظهر الإسكندرية بجاليات أكثر عددا "من الأجانب" وأكثر اندماجا مع المجتمع المحلى، حتى إن هذا أدى إلى مقاومة مشتركة للإجراءات الصحية. ويمكن الحديث أيضا عن المقاومة أيضا عند "الناس العاديين"، السكان المصريين، حتى وإن لم تكن قائمة على النقاش بين أنصار نظرية العدوى. والمناوئين لها.

وعلاوة على ذلك يرفض السكان المصريون الخضوع للإجراءات المقترحة من الدكتور جراسى، الذى يتعين عليه فى ١٨٣٤ طلب مساعدة الجيش ويحصل عليها ببعض المشقة - لعزل مختلف القرى وإجبار السكان على أن يغمروا أنفسهم مع كل متعلقاتهم الشخصية فى النيل. وينظر كبير الأطباء الأوروبيين الموجودين فى مصر، كلوت بك، للإجراءات على أنه مفيد؛ ولكنه أدى بالتأكيد إلى غرق القمل المختبئ فى الأجساد والملابس.

وما يحدث داخل مدينة الإسكندرية يوجد شاهد مهم عليه هو الدكتور الإنجليزى جيمس ليدلو^(١٤). وعندما تأكد وجود المرض فى المدينة، وضع السكان الأوروبيون أنفسهم فى حجر صحى ذاتى؛ وأغلقوا على أنفسهم أبواب منازلهم ولم

يتسلموا شيئاً لا يخضع لعملية التدخين أو الخل والماء. وتتخذ لجنة الصحة إجراءات مشددة، مع الأمر بإغلاق المنازل التي يوجد فيها مصاب ونقل كل السكان إلى الحجر الصحي. ويروى الإنجليزي ليدلو وهو خائف كيف أن قسوة المكتب الصحي لم تتوقف أمام أبواب الفندق الأوروبي الذي يتردد عليه كثير من الأوروبيين؛ فبعد وصول خبر بوجود حالة مشتبه بها في الفندق، تحاصر قوة من الجنود المبنى ساعة الغذاء، وتفتش أربعين شخصا، وكثير منهم كانوا قد دخلوا قبل ذلك بقليل للغذاء. وعلى الرغم من الاحتجاجات ينقل الجميع إلى الحجر الصحي وهناك يحتجزون "للتطهير" لمدة أربعين يوما.

وعلى الرغم من قسوة الإجراءات الصحية المتخذة، وعلى الرغم من مراقبة جميع السفن القادمة من موانئ مشبوهة، فإن المرض انتشر وحمل معه خطا طويلا من الضحايا. وفي ١٨٣٧ فقط يتوقف الوباء، لكي يظهر من جديد في ١٨٤١. وتظهر هنا من جديد أيضا المقاومات القديمة لنظام الحجر الصحي، ولكن إصرار الباشا المصري لا يضعف أبدا.

وفي الثامن من ديسمبر ١٨٤٤ تعالج في مصر الحالة الأخيرة من الطاعون ومنذ تلك اللحظة يختفي المرض من البلاد.

وحتى إذا كان دور كلوت بك في واقعة الوباء المحددة في (١٨٣٤) - (١٨٣٧) يبدو سلبيا، فإن الفضل يرجع أيضا لوجوده ولنشاطه الذي يضع في الميدان جهازا متعددًا من المؤسسات الصحية المقدر لها أن تحارب الطاعون وأمراضا وبائية أخرى موجودة في مصر.

وهنا يبقى الطبيب الفرنسي الذي حصل على الجنسية المصرية، لمدة ٢٤ عاما، يتعاون خلالها مع الإرادة الإصلاحية لمحمد علي لإنشاء مجلس الصحة المصري، والمستشفى العسكري ومدرسة الطب في أبو زعبل (التي ستؤهل ٦٠٠ من مسئولى الصحة، ومنهم ١٢ تخرجوا في الجامعة في باريس)، ومدرسة اللغة الفرنسية مزودة بقاموس تقنى - علمى فرنسى - عربى.

وقد تعاقبت ثلاث بعثات من الطلبة: الأولى في ١٨١٣ إلى إيطاليا والثانية في ١٨١٨ إلى فرنسا والثالثة، أيضا في فرنسا، في ١٨٢٦ وتكونت من ٤٤ من الشباب بين ١٥ و ٣٧ عاما (ولكن بأغلبية كبيرة بين ١٨ و ٢٤ عاما). "وقد عاد فقط ثمانية دون تخصص محدد وحصل أربعة عشر على الليسانس في الآداب، و ٢٣ في مواد العلوم ومن بينهم الطهطاوى الذى يعد واحدا من أعظم الشخصيات في ذلك العصر"^(١٥).

ولا شك في التقدم الذى حققه الشباب المصريون في التعلم، بعد أن أشركهم محمد على في جهد التمكن من الأساليب الجديدة في الفنون والعلوم؛ ويبدو أن هناك تقدما هائلا أيضا في المجال اللغوى، على الرغم من رأى برنارد لويس المتشكك إلى حد ما في هذا الشأن.

ومن ناحية أخرى يعترف المؤرخ الفرنسى نفسه بوجود العديد من الترجمات لكتب أوروبية عن "موضوعات مفيدة بالطبع، مثل الجغرافيا والعلم الطبى". وفي هذا المجال بالذات تم جهد كبير، وهو العمل على ترجمة الأعمال العلمية الأوروبية الأساسية إلى العربية، لأنها لا غنى عنها أيضا في العملية التعليمية، التى يجب أن يتم فيها التدريس بالعربية (مع ما يصاحب ذلك من مصاعب ترجمة فورية تقريبا لدروس الأساتذة الأوروبيين في المقررات الدراسية العليا المصرية). وقد اعتبر محمد على باشا ترجمة "الأمير" لماكيافيللى مهمة أيضا؛ وهى ترجمة لم تطبع لأن الباشا خلص إلى أنه لم يتعلم منها شىء، ولكنها وصلت إلينا على شكل مخطوط، لتشهد على الجوانب المتباينة في شخصية الضابط الألبانى السابق. ويتجه النشاط المجدد للباشا المصرى إلى أرضية أرحب بكثير في المجال الصحى، حتى وإن كان هذا يستحق عناية خاصة^(١٦).

وهناك مستشفى عسكري ثان، في قصر العينى، ومستشفى مدنى فى الأزبكية، ومستشفى للتوليد ملحق بها مدرسة لأخصائيات التوليد، وحضانة للمتخلفين عقليا ومعهد للتطعيم ومتحف للتاريخ الطبيعى، وحديقة نباتية. وفي هذه

المؤسسات الجديدة يلاحظ أيضا إسهام الطبيب الفرنسي الأول والأهم الذي استدعاه محمد علي من جديد، الدكتور كلوت بك. ويقوم هذا الأخير بدوره باستدعاء أطباء فرنسيين آخرين، مثل الضابط السابق "شاما" الذي قابله في القاهرة جوستاف فلوبيير وماكسيم دو كامب، الذي لا يدخر في الوقت نفسه سخريته المنتقدة تجاهه. فالكاتب يؤكد بالفعل أن كلوت بك "نظم الخدمة الصحية في الجيش المصري بصورة سيئة وليست جيدة"^(١٧). وأخيرا - فيما يتعلق بأهم قطاع في مكافحة الطاعون - كان تدخل كلوت بك له مغزاه بصفة خاصة في تنظيم جهاز الحجر الصحي.

ويمكن أن توصف العمليات التي قام بها الطبيب الفرنسي اليوم بأنها "تعاون دولي"، ولكن كلوت بك لا يبدو بالضبط رائدا فيما يعرف اليوم بشخصية "المتعاون" بالمعنى المستخدم عادة هذه الأيام.

وقد عين محمد علي في ١٨٢٥ أنطوان كلوت، عضو كلية الطب في مونبلييه لتنظيم الخدمات الصحية في مصر. وقد وصل إلى البلاد بفضل العلاقة مع الباشا، ونجح في القيام بعمليات وتعامل مباشرة مع الأحداث والمؤسسات والناس.

وقد بنيت مستشفيات وعيادات وأدخل نظام الحجر الصحي لوقف وباء الطاعون، وأسست سلسلة من المدارس الطبية لتدريب الدكاترة المحليين، وظهر تحسن في ظروف حياة المصريين.

وقد قام محمد علي بتعيين كلوت بك مديرا مدنيا بدرجة عالية مع منحه لقب "بك"، ثم قام بترقيته قائدا عسكريا برتبة سردار (جنرال) وقد استمد سلطته من حظوته عند الأمير، وعند وفاة هذا الأخير فقد هذه الحظوة وتعين عليه الانسحاب، ولكن النتائج بقيت، وأهمها اختفاء الطاعون من البلاد^(١٨).

وهناك نتيجة أخرى كبيرة تحققت من خلالها الإصلاح الصحي الذي شجعه محمد علي: وهي وضع القواعد للوصول إلى اتفاق أساسي على الصعيد الدولي في مواجهة الأوبئة.

وعندما يقوم الباشا المصري في ١٨٢٧ بتكليف الممثلين القنصليين بالسيطرة على الأمراض المعدية، تتأسس أول هيئة دولية للتعاون الصحي^(١٩).

ويمكن القول، بعد قرن ونصف، إننا نسمع أول صوت لمنظمة الصحة العالمية الحالية في الإسكندرية في ذلك العام وبإرادة حاكم غير أوروبي. ويمكن أن نضيف أن القوى الغربية في تلك الفترة التاريخية لم تظهر ميلا للتعاون وقد شجعتها مبادرة محمد علي بصورة ما.

هوامش

- (١) هذا التاريخ الذي اقترحه فرارى ا.،
Della peste e dell amministrazione sanitaria
فينسيا، ١٨٤٠، فى المقدمة.
- (٢) كونكه ل.
Pullis in Nineteenth-century Egypt Health، بير كلى، مطبعة جامعة كاليفورنيا،
١٩٩٠، ص ٣. بالنسبة للاهتمام الذى اثاره فى الطاعون عام، ١٨٣٤-١٨٣٥، انظر
Sulla peste che offlinse l'Egitto l'anno 1835، نابولى، من مطبعة وزارة الدولة
للسئون الداخلية، ١٨٤١
- (٣) تفاصيل الموقف المصرى توجد فى أندريوتشى ا.
Considerate nei loro rapporti politico-souiali ed igienico-sanitari Delle
quarantine
فلورنسا، ١٨٦٩، ص ٢٩-٣١ و ٦٦. بالنسبة لحمى الضنك وهو مرض شبه استوائى،
تقله حشرة Aedes aegypti (بعوضة حمى الضنك) وبداية دورتها وحالات
ظهورها، انظر زينسره.
Rats, lice and History، بوسطن، شركة ليتيل براون، ١٩٤٥، ص ٨٥
- (٤) هيدريك د. ر.
AL servijis dell'impero. Tecnologia e imperialismo europesnell'Ottosento
بولونيا، المولينو، ١٩٨٤، ص ١٤٦.
- (٥) بانزاك د.
International and domestic maritime trade in the Ottoman Empire during
the 18th century
فى Jnt J. Middle East stud.، ٢٤، ١٩٩٢، ص ١٩٤، ١٩٥ و ١٩٩-٢٠٠.
- (٦) بانزاك د. Population et sante dans l'Empire Ottoman (xvllle-xxe siecles)

اسطنبول، ايزيس، ١٩٩٦، ص ٥٣-٥٤. للحصول على تقييم لنمو السكان المصريين خلال القرن التاسع عشر، والمميز في نصفى القرن، انظر للمؤلف نفسه

"The Population of Egypt in Nineteenth century"

Asian and African studies

فى (حيفا، إسرائيل)، المجلد ٢١، رقم ١، مارس ١٩٨٧، ص ١١-٣٢.

(٧) بانزك د. La peste l'Empire Ottoman 1700-185 لوفيم، بيترز، ١٩٨٥، ص ٤٥٨.

(٨) بيانات التقييم المصرى الأسود مأخوذة عن مكارتي ج.ا.

"Nineteenth century Egyptian Population"

فى Middle Eastern Studies عدد خاص عن اقتصاد الشرق الأوسط، المجلد ١٢، ١٩٧٦، ص ١٢، وهيرش أ.

Handbook of Geographical and Historical pathology

لندن، جمعية نيو سيندهام، ١٨٨٣، ص ٥٠٥

(٩) كونكه ل. Lives، المذكور، ص ٥١ و ٥٤.

فى ١٨٢٦ يعين جوزيه، أتشيريه، قنصلا عاما للنمسا، بعد أن انتقل علم الفجر إلى الإسكندرية، حيث سيبدأ أيضا كعالم للمصريات وهو ما سيحمله علم عبور البلاد علم فترات متتالية بحثا عن القطع التي تولى اليوم مجموعة أتشيريه التي تستضيفها قاعات قصر الشاي فى مانتوفا.

(١٠) أندريوتشى ا. Delle quarantene...، المذكور، ص ٤٨، ٦٦-٦٨ و ٧٧-٧٩.

(١١) الدكتور فرانشيسكو جراسيه، تقرير حول عدوى الطاعون موجه للسيد جون وينجفيلد لاركينج، قنصل صاحبة الجلالة البريطانية فى مصر والادرات التابعة لها، فى مكتب السجل العام وزارة الخارجية ٧٨ (المراسلات العمدة لتركيا)، المجلد ٣٧٦، ٩ مايو ١٨٣٩.

(١٢) أندريوتشى ا. Dell quarantene...، المذكور، ص ٨٠

(١٣) بانزك د.، grternational...، المذكور، ص ١٩٣.

(١٤) وثيقة ٦ أغسطس ١٨٣٨، المرسله من الدكتور ليدلاو إلى جون بولينج و المدرجة كخاتمة فى بورينج ج.

Sulstance of olservations on Oriental Plague and on Quarantines, as a

Mean of Arresting its progress

الموجهة للجمعية البريطانية للعلوم، المجتمعة في نيو كاسل، في أغسطس ١٨٣٨،
إدوين هـ، ويليام تيت، شارع الأمير؛ في، "Report on Egypt and Candia"، الملحق
ف.، لندن، ١٨٤٠، في PRO، وزارة الخارجية البريطانية ٧٨ (المراسلات العامة
لتركيا)، المجلد ٣٨١.

(١٥) فيرنت ج. EL glam y Europa، برشلونة إلأبير، ١٩٨٢، ص ص ١٦٥-١٦٦.

(١٦) لويس ب.، L'Europa e L'islam، روما-باري، لترتسا، ١٩٩٥، ص ص ٨٠-٨٣:
"التقدم في تعلم اللغات الأوربية كان بطيئا" (ص ٨٠). يمكن أن يقال عن محمد علم،
أنه من أكثر الشخصيات المختلف عليها في التاريخ المصري: فالبعض يعتبرونه
زعيمًا عظيمًا له مخططات طموحة لاستعادة مجد مصر القديمة، و آخرون يعتبرونه
الديكتاتور الوحيد بعد الألف الذي جاء لاستغلال البلاد وشعبها. ولكن لا شك في أن
مصر تحت قيادته، عرفت عهدا من "النهضة". وبالنسبة للجهد الذي بذل في مجال
التعليم والمجال الإصلاحى بصورة ألم، انظر شفيق غربال م.،

"La contrilution de mohamed ali à La solution de certains prollèmes
méditerranéens de son époque"

في، Annales du Centre Universitaire Méditerranéen (نيس)، ١٩٥٠-١٩٥١،
ص ص ٢٤-٢٥.

(١٧) دور كامب م. Attraverso L'Oriente con Flaubert، باليرمو، القرن العشرون،
١٩٨٦، ص ٩١.

(١٨) لايسون، La medicine coloniale. Mythes et réalités، باريس، سيجرز،
١٩٨٨، ص ص ٢٧١-٢٧٢. بالنسبة للسياسة العامة لمحمد على في القطاع انظر شو
س. ج.، History of the ottoman Empire and Modern turkey كامبردج،
مطبعة جامعة كامبردج، ١٩٧٧، المجلد ٢، ص ١١.

(١٩) كونكه ل.، Lives، المرجع المذكور، ص ٤.

مشكلات تاريخية بعض الملاحظات بشأن "الصبغة المصرية"

بيانكا ماريا
سكارتشا أموريتي

(١) إن أزمة القومية ظاهرة حالية ذات بعد عالمي. وهي تهم بصفة خاصة الدول العربية، ليس إلا بسبب استمرار قضايا قومية لم تحل وتشمل حتى الآن وبصورة ملحة بعضا منها؛ فتذكر على سبيل المثال القضية الفلسطينية والقضية الكردية. ومثل كل البلاد التي تعرضت بصورة أو بأخرى لأشكال من الاستعمار، وجد العالم العربي أيضا في القومية العربية المذهب القادر على تعبئة الجماهير بهدف البدء في تلك العملية من المشاركة الديمقراطية التي لا غنى عنها لتشجيع النهضة السياسية والاجتماعية والاقتصادية. إلا أن البعض في العالم العربي يشير بلفظ "القومية" إلى أفكار ومفاهيم مختلفة، حتى إنها تكون أحيانا متناقضة فيما بينها.

وقد كانت التجربة الواقعية - كفاح التحرير القومي، وإقامة دول قومية... إلخ، قد أعدت وصاحببتها عمليات تاريخية مختلفة تبعا للخيار المذهبي الذي كان يتعين أن تخدمه - وكانت هناك نقطة وحيدة مشتركة: ضرورة العودة للماضي بحثا عن عناصر مؤسسة للهوية القومية، المفهومة على أي حال .

وقد اتخذت مثل هذه العمليات في العالم العربي أهمية حاسمة، على الأقل بمعنى أنها بدت لجانب كبير من المتقنين المحليين أنسب للوفاء بدورهم في تشكيل الوعي القومي. ومن الطبيعي إذن أن يشتمل الوضع الحالي على مراجعة تاريخية

أكثر عمقا، كما يبدو لي، مما يحدث في التعاقب "الطبيعي" للتيارات والموضات^(١). ولا بد بالفعل أن نقيم كيف أن اتخاذ موقف بشأن الطوائف التحليلية العاملة على المستوى النظرى تتطوى أم لا على الصعيد العملى، على الانضمام لخيارات سياسية محددة.

وتظهر مصر كـ"حالة" نموذجية فى هذا الشأن لسلسلة من الأسباب. فهى من ناحية يمكنها، أكثر من بلدان عربية أخرى، أن توضح بالأمثلة أحد التناقضات التى كنا نشير إليها: الثنائية التى تمر بها وتميز كل القومية العربية، يوضح العروبة ضد الخصوصيات المحلية، و"المصرية" فى هذه الحالة، مع ما يرتبط بهذا من مشكلة الولاء الوطنى والتوافق المذهبى تجاه هذه المرجعية أو تلك ومن ناحية أخرى، هناك علاقة الاستغلال المتبادل - وهو لفظ له وزن غير سلبى بالضرورة - بين الطبقة الحاكمة والمتقنين الذين يعهد إليهم بواجب الوساطة فى الوفاق الشعبى، وغالبا ما طالب به البعض كهدف صريح فى كثير من أعمال المؤرخين المصريين طوال القرن التاسع عشر وفى جزء كبير من القرن العشرين.

وربما يكمن هنا أحد الأسباب التى أدت إلى وظيفة الزعامة المعترف بها لمصر تجاه باقى العالم العربى^(٢). وسواء أكان هذا هو السبب أو النتيجة فى الأمر، فهذا لا يهم كثيرا، فإن الحقيقة التى لا ريب فيها هى أن الإنتاج التاريخى المصرى واسع ورفيع المستوى.

ومع ذلك فإنه يتضح فى مصر، أكثر من أى مكان آخر أن دور المؤرخ تجاه الدائرة السياسية قد تغير اليوم.

فقد كان متحدثا باسم السياسى أو منافسا له حتى الستينيات^(٣)، وبداية من فشل الناصرية، أصبح المؤرخ، وهو الذى كان ممثلا مميزا حتى ذلك الحين للمتقف "الأصيل"، أصبح يتأثر بذلك التغريب المتزايد بين الثقافة والسياسة وهو ما يبدو اليوم مميزا لكل العالم العربى. والنشاط التاريخى يستمر^(٤)، ويبقى له مغزاه على صعيد تاريخ الأفكار وكإدانة لتلك المعاناة التى ينطلق منها، ولكنه لا يبدو

بالضرورة - على الأقل من وجهة نظري - كمؤشر للعمليات السياسية الجارية^(٥).

كل هذا يساعد في وضع إطار لمداخلتي. وبالربط بين أسماء وأعمال في فترات تاريخية مختلفة، ولكنها سابقة للعقود الأخيرة، أود توجيه الاهتمام لموضوعات تبدو لي حتى الآن متضاربة، ولكنها لا تزال ضرورية لفهم المصاعب التي تخوضها مصر وبصفة عامة الشرق الأدنى العربي. مع تحديد واحد، أن الملاحظات التالية هي فقط على سبيل ضرب المثل، دون ادعاء بالكمال ولا حتى بالإبداع في مجال إعادة قراءة المصادر.

(٢) إن نقطة الانطلاق يمكن أن تبدو مقبولة ظاهرياً؛ فالتاريخ الرمزي أو الجوهري الذي يشير إلى ميلاد مصر الحديثة هو ١٧٩٨ مع حملة نابليون بونابرت إلى مصر، أم ١٨٠٥ مع استيلاء محمد علي على السلطة؟ هذه نقطة مقبولة ظاهرياً، حيث إن الفارق الزمني محدود بين الحدثين، وعلى العكس من ذلك يبدو واضحاً جداً الترابط بين الحدثين أنفسهما.

والسؤال في الواقع ليس من باب الكسل لأنه ينطوي على موقف بشأن القومية الفرعية أو العربية أو المصرية.

والإجابة بصورة أو بأخرى تعني إخضاع دخول مصر مرحلة تاريخية جديدة لدافع خارجي أثر على التغيرات الجوهريّة، أو أكد على أن مصر الحديثة هي الناتجة عن عملية محلية، تسارعت ولكن لم يشعل شرارتها الاحتلال الفرنسي. ويترتب على ذلك الحكم على محمد علي.

ففي الحالة الأولى يمكن النظر لعمله كمجدد على أنه طبيعي، في إطار وظيفته لحاكم عثماني مستنير وطموح بصورة خاصة.

وفي الحالة الثانية، يصبح المحفز لعملية ستسمح لمصر، بالفعل، مع خلفائه المباشرين بأن تظهر كدولة قومية^(٦).

وبالتالى فإن القضية التى أود التوقف عندها تظل مفتوحة. وبالفعل إذا كان إنشاء مصر الحديثة ينطوى بالضرورة على ميلاد القومية، أى فكرة علمانية، حتى عندما تسهم بالتعبير عن نفسها بلغة فكرية إسلامية، فلا بد أن نحدد ما إذا كانت هذه القومية، وبالذات فى الفترة الأولية، قد صيغت بكلمات عروبية أم مصرية. وهى "مصرية" – ويجب أن نلتفت لهذا جيدا – لا تختزل فى "هوية عملية معاشة ووجودية، كمبدأ للتعرف والتمييز"، "يشهد عليها دليل من الاستمرارية البيئية والإنسانية والثقافية التى لا تنفصم.."^(٧). و يجب ألا تفهم أيا كحقيقة مكملة للعروبة، ولكن كوعى وهوية محددة يجب أن تحدد بصورة مستقلة، أى بصرف النظر عن الانتماء للعالم العربى، حيث يمكن حقا أن تصح المعادلة:

مصر = مصر وما يترتب على ذلك من تأييد لافتراض وجود خط من الاستمرارية فى "تاريخ" البلاد، وافترض "تواريخ" أخرى تعاقبت فيها.

(٣) لنأت إلى المادة التى يقوم عليها تحليلى. إن المؤرخين – وهم قلة – الذين سيستخدمون كمثال اختيروا على أساس شهرتهم، هنا وفى مصر، حتى بالنسبة لجمهور غير متخصص. والأعمال التى سيشار إليها، وقد كانت أعمال الحقبة الناصرية ذات إلهام ماركسى غالبا^(٨) ليست أكاديمية، بالمعنى الضيق للكلمة، على الرغم من أنها صممت طبقا لمعايير علمية.

وهى تظهر كأعمال مهمة، كخلاصة للتاريخ المصرى، حتى عندما يكون هدف بحثها أحداث وظواهر أو فترات غير محدودة، بمعنى أنها تهدف دائما لتقديم مفتاح لقراءة الماضى وأيضا إرشادات وتصورات بشأن المستقبل.

وهذه بعض الكلمات عن مجمل الإنتاج التاريخى المصرى الذى تمثله. إنه إنتاج يوزع على مسافة قرنين بطريقة غير ثابتة بالطبع، ولكنها تسمح بمقارنات دقيقة بين ما هو شهادة مباشرة ورأى آخر لاحق. وهو بالفعل فى نهاية المكان إنتاج لا يغيب عن بصره القرنان الماضيان من التاريخ المصرى اللذان يقابلان، بالإجماع، تاريخ مصر الحديثة^(٩)، حتى عندما يتجه للماضى العربى وأيضا

الفرعونى. واللغة المستخدمة هي بالطبع العربية، ولكن هناك أيضا أعمال كثيرة بالفرنسية (وأقل بالإنجليزية)، دون اختلافات نوعية كبيرة .

ولهذا أيضا، كما كنا نقول، فإنه إنتاج معروف. ولم ينتشر فقط في البلاد، ولكنه تمتع أيضا بجمهور استثنائي، وخاصة إذا أخذنا في الاعتبار التأخير الذى أدخلت به نصوص فى دوائر ليست ناطقة بالعربية تحديدا أو دوائر العاملين فى هذا المجال، وهى نصوص قيمة، لمؤلفين عرب غير مصريين حول موضوعات متشابهة جوهريا^(١٠). وهذه ثمرة بلا شك للزعامة المصرية، كما ذكرنا من قبل، علاوة على البعد العالمى الذى احتفظت به مصر حتى الثورة الناصرية، مشتملا فى الوقت نفسه على حقيقة أنه بالنسبة لأى مصرى لم توضع معرفة لغة أوروبية كبديل إجبارى عن العربية. وبالتالي فإن استخدامها لم تكن له نتائج تغريبية حدثت، على سبيل المثال، فى الحالة الجزائرية. وبالتالي فإن مصر هدف أولى لتحليل، وهذا أمر بديهى، إن لم يكن، على العكس من ذلك، خيارا داخليا فى ذلك التعارض المحتمل بين "العروبة" والمصرية، وهى العقدة التى يتعين مواجهتها .

(٤) على الرغم من الأولوية التى تعطى، كما قلت فى حديثى، للأعمال الشعبية والموجزة، إلى حد ما، فإننى لا أستطيع أن أتغاضى عن أهم مصدر بالنسبة للسنوات ما بين القرنين الثامن عشر والتاسع عشر: الجبرتى. ويمكن أن يبدو هذا اختيارا غير مناسب، نظرا لأنه بحكم أنه شاهد عيان للأحداث، فإنه لا يرد فى أعماله ولا يمكن أن يرد بوعى، بمعنى أو بآخر على السؤال المطروح. ولكن الجبرتى مرجعية إجبارية لكل المؤرخين اللاحقين وقد اعتمدوا عليه فى أعمالهم لتقييم معنى الاحتلال الفرنسى فى التطور اللاحق لمصر^(١١).

ويؤكد الكثيرون أن الجبرتى يختتم تقليدا تاريخيا أكثر من كونه يفتح تقليدا جديدا، حيث إنه مقلد لطريقة فى التأريخ من النوع الحولى، يفضل التفاصيل على الإيجاز، ويجد أن من الضرورى اللجوء إلى ترجمة الرجال اللامعين، ربما فى صورة نعى، لاستكمال ضرورى للأحداث العامة التى يقدم تقريرا عنها^(١٢).

وهذا يضعه على خط التاريخ الإسلامى فى القرون الوسطى، الذى عرف مبكرا جدا تمييزا بين الأجناس التاريخية تواريخ عامة وتواريخ إقليمية^(١٣). ولكنه بفضل "مشاركته الانفعالية العميقة" - التى جعلت بعضهم يقول إنه كما لو كان "يكتب عن لحمه ودمه" - أوقف تدهورا فى جنس التاريخ لدرجة أنه نفذ موضوعية يمكن أن تستخدم كنموذج لأى مؤرخ أوروبى حديث^(١٤)، عندما تناول الاحتلال الفرنسى، حتى وإن كان ذلك باسم حب "بلاده".

وهنا نبرر الانطلاق من الجبرتى بالذات. وبالفعل يمكن أن يمثل الجبرتى، فى رؤية تاريخية قومية، بالمعنى الإقليمى^(١٥) أول مؤرخ لمصر الحديثة، وبالتالي فإنه يقدم مثالا "للمصرية" فى مواجهة "عروبة" قادمة، حيث قد لا يمنع الولاء المحتمل للتقاليد من أن يكون مجددا فى رؤية مصر والمصريين التى يطرحها. ويبدو النقد الغربى أكثر اهتماما بالمشكلة من المؤرخين العرب - المصريين. وتسير موضوعيا فى هذا الاتجاه تحليلات لكيفية تغير موقف الجبرتى، خلال بضع سنوات، إزاء الوجود الفرنسى فى مصر^(١٦).

وطبقا لقراءة سطحية إلى حد ما، فإنه ربما يكون هناك دور حاسم الواقعة شخصية كان فيها منغيا عن القاهرة وضحية للنظام الجديد، ثم "متعاوننا" وأخيرا مؤيدا نشيطا ليوسف باشا، الوزير الذى يرجع إليه الفضل فى استعادة السيادة العثمانية فى البلاد^(١٧). وهناك تحليل أكثر دقة يميز فى إنتاجه ثلاث فترات:

فترة تسبق الاحتلال الفرنسى (١٧٧٦/١٧٧٧ - ١٧٩٨)، وفترة ثانية تبدأ من ١٧٩٨ إلى ١٨٠٥، وأخيرا فترة ثالثة تغطى الحقبة التالية لمجىء محمد على، حتى ١٨٢١.

والتغيير المذكور موثق بالفارق بين ما كتبه الجبرتى فى "مظهر التقديس بزوال دولة الفرنسيين" فى ١٨٠١ عندما ترك الفرنسيون مصر بالفعل، وذلك الجزء من عمله الأشهر وهو "عجائب الأثر فى التراجم والخبر" والمخصص للموضوع، والمعروف بـ "تاريخ مدة الفرنسى فى مصر"، الذى ينظر إليه على

أنه معاصر للأحداث^(١٨). وقد توقفنا بصفة خاصة عند تعليق الجبرتي، المذكور في الـ "مظهر"، ولكن ليس في الأعمال التالية على الإعلان الفرنسي الشهير في يوليو ١٩٩٨ بعد الاستيلاء على الإسكندرية، الذي يتحدث مرارا ليس فقط عن التعاطف الفرنسي تجاه الإسلام، ولكن عن التطابق الجوهرى للرؤية الدينية بين المصريين والمحتلين. وأهمية الحذف كبيرة، حتى إن واحدة من أحدث وأدق الترجمات للـ "عجائب" لم تدخر وسعا في إدخاله على أى حال في النص^(١٩). وهو احتجاج سليم تماما. والإعلان، المعروف جدا في الوقت نفسه، ولا يتطلب منا إعادته هنا بالتفصيل، يشجب الجبرتي فيه الجهل الفرنسي بالإسلام وسوء النية حيث يصر البعض على وحدة الدين.

وبتحليل يتوقف عند المصطلحات المستخدمة والنتائج الدينية المرتبطة بها، يبدو أن الجبرتي يقترح صورة للفرنسيين على غرار صورة القرون الوسطى الكلاسيكية للكافر.

ويترتب على ذلك حكم بالدونية يبر به المؤلف عن نفسه أيضا بألفاظ أكثر شخصية بوصفه عالما وعضوا في عائلة شهيرة في الأوساط الدينية^(٢٠).

والأمر لا يتعلق بانتهازية سياسية؛ فالفرنسيون أصبحوا الآن بعيدين وعاد السيد القديم — وهذا يتضح في العجائب، في قمة ملحمة محمد على، من أنه لا يتوانى عن انتقاده لأنه لم يكن على مستوى التوقعات، وقد فعل ذلك بكلمات مشتعلة دفعت النظام لفرض حظر على نشر العمل^(٢١). نحن بالأحرى أمام تطور سياسى للمؤلف الذى يستنتج عدم التلاحم بين الأيديولوجية التحررية، والتى تدعو للمساواة التى يدعو إليها بونايرت، والتى ستتلخص فى الشعار "حكومة مصر لمصرى"، وفرض "اليد العسكرية" للسلطة الفرنسية^(٢٢)، وهو ما لا يستبعد، من جانب الجبرتي نفسه، إعادة النظر والأسف بعد ذلك، عندما يقارن بين طغيان نظام محمد على والمساواة النسبية "للكفرة" الأجانب .

ولكن كيف تبدو مصر والمصريون، بين مطرقة الفرنسيين وسندان محمد

على؟ إن العقيدة الدينية لا ترتسم دائما لعنصر للهوية. وربما كان الفرنسيون أيضا غير مؤمنين، ولكن هذا ليس بالطبع الشيء الذي يبرزه الجبرتي بصورة أولية في "العجائب"، كما أن الانتماء للإسلام ليس هو الذي يميز العثمانيون، عندما توصف عودتهم للبلاد، على الرغم من أنه يشار إليهم أحيانا من ناحية أخرى بأنهم مسلمون، مثل المصريين.

وفي الواقع لم يتم تحليل دقيق لمصطلحات الجبرتي للأسف، لأن استطلاعات الرأي القليلة أيضا التي تمت على المجلد الثالث من العجائب تقدم بعض المنطلقات المهمة للتدبير^(٢٣).

ولفظ "مصريون" مستخدم بصفة خاصة عندما ينقل الجبرتي حرفيا تقريبا خطب وإعلانات وآراء الفرنسيين. وإلى جانبه، ربما بتكرار أكثر، تعبيرات من نوع: أهل مصر، أهالي مصر، حيث تلعب الازدواجية دورها بالذات في لفظ "مصر" الذي يشير كما هو معروف للدولة وعاصمتها. وهناك إبهام مماثل أيضا في "أهل مصر"، وهو بالتأكيد أكثر التعبيرات تكرارا واستخداما.

ولا تغيب كلمة "رعية" للإشارة بصورة مبهمة للشعب. والصيغة المتعلقة بذلك وهي "مصري" تظهر بانتظام إذا كانت تصف الجيش والمتقنين والتجار... إلخ، وليس فقط سكان القاهرة. والمصطلحات الدينية التي تقول إن أهالي مصر مؤلفون من أقباط ومسيحيين سريانين وأرمن ويهود... إلخ، محدودة دائما. والطوائف المنفردة تبعا لنظام "الملل" التي ستؤسسها التنظيمات ستسمى باسمها عندما يكون لها دور بارز بالفعل أو مسئولة عن الأحداث التي يسجلها الجبرتي ويبرز أول تقييم محتمل، حتى وإن كان ذلك يجب أن يؤخذ كمجرد افتراض للعمل. ويرى الجبرتي أن مصر تصور ككيان واقعي، ووعاء محدد يميز بدوره المحتوى وهو المصريون بالذات مع الإشارة للديانة الإسلامية وغير الإسلامية، على سبيل المثال "أهل العرب"، الذي عندما يذكر يشير صراحة لشبه الجزيرة العربية. هل هذا شيء جديد أم أنه مجرد استمرار لتقاليد أخذت دائما في الاعتبار بالنسبة للفرد

وكذلك بالنسبة للجماعات الاجتماعية، تعدد الانتماءات، وخاصة الانتماء الدينى والبلدى، إذا جاز التعبير (الإسلام من ناحية فى أنظمتة المذهبية أو التى يأتى منها من الناحية الأخرى)؟

وبدلاً من السعى لإجابة قد تكون متعجلة، وبالتالى اعتباطية، سنأخذ فى الاعتبار بعض العناصر الأخرى. إن أوصاف مصر التى تدهشنا غالباً فى الجبرتى، وهى غالباً منسوبة للفرنسيين فى الجزء المدروس، تتفق مع نوعيات من "الفضائل"، معتادة فى الجغرافيا وفى التاريخ الإسلامى فى العصور الوسطى.

"إن مصر مركز واحد، وهى من أخصب البلدان. وقد جذبت دائماً التجارة من أقاليم بعيدة". "والعلوم والفنون والقراءة والكتابة، كما يعلم العالم، هى أمور معروفة عند أجداد السكان الأوائل فى البلاد. ولأن لها هذه الخصوصية فقد رغبت الأمم دائماً فى حكمها"^(٢٤).

والحقيقة التى يمكن أن تكون لها قراءة جديدة، وهى تعريف الأمم التى غزت مصر ومسئولة عن مصاعبها على أساس عرقى وليس دينياً - البابليون واليونانيون والعرب والأتراك - لا تعليق عليه، ويجرى تسطيحه ربما على أساس مفهوم العصور الوسطى الكلاسيكى الخاص بتعاقب الأمم على مسرح التاريخ. ويمكن أن يؤكد هذا الأمر ابتعاد كاتبنا إزاء الماضى الفرعونى، الذى سيتحدث عنه المؤرخون اللاحقون كعنصر أساسى للمصرية: ويعلق الجبرتى، بشىء من السخرية، على الاهتمام الأوروبى بالحضارة المصرية القديمة. وفى حديثه عن بعثة أثرية إنجليزية لأهرامات الجيزة يعلق قائلاً: "بحكم طبيعتهم ورغبتهم، هم يحبون دراسة الأشياء الغربية والاهتمام بالتفاصيل والتفاهات وخاصة الأطلال القديمة والأحداث المدهشة فى البلاد واللوحات والتماثيل المكتشفة فى مغارات أو فى مقابر قديمة فى صعيد مصر وأماكن أخرى. وبعض هؤلاء الإنجليز ينتقلون فى كل العالم لهذا الهدف، منفقين مبالغ طائلة من أموالهم"^(٢٥).

ولكن هناك زاوية أخرى للرؤية تبدو لى معقولة. أن الجمل المتكررة فى

الجبرتي للحديث عن مصر تعتمد دائما على فكرة الأرض: البلاد المصرية، الأرض، الأراضي المصرية، الديار المصرية، الأقاليم المصرية... إلخ.

وهي بالطبع ليست تجديدية، ولكن لأنها توجد بالذات في سياق خاص، من التعارض الموضوعي مع الاحتلال الفرنسي، بصرف النظر عن الرأي الذي يقال عن ذلك، فإنها يمكن أن تمهد لصياغة وطن، وهي كلمة موجودة أيضا هي الأخرى في مفردات الجبرتي، في حدود "المصرية"، دون أن ينطوي الأمر من جانبه على وعي دقيق بتأثير حملة بوناپرت على مصير مصر القادم. وعى أي حال فإن "وطن" الجبرتي هو أقل نظرية وأكثر شمولا من التعريف الذي سيقدمه الطهطاوي بعد ذلك بعد ذلك بعدة عقود، في العديد من أعماله^(٢٦): "إن مصر في عهد الفراعنة كانت أم الأمم. والأرض المصرية يرجع لها الفضل في نشر هذه الحضارة التي تحض على الرقص والمرح". وهي وطن بمثابة "عش" للإنسان الذي ينمو فيه ويرحل عنه، ومكان وحدة أسرته وطفولته".

والعنصر التجديدي المحتمل لا يتعلق "بالوطن" ولكن بالبعد القانوني "للأمة" (الملة) التي هي في عرف السياسة والجنس مجموع الأشخاص الذين يسكنون بلدا واحدا، ويتحدثون لغة واحدة، ولهم العادات نفسها ويتمتعون بالحقوق نفسها. وهم خاضعون عامة لقانون واحد وحالة واحدة. ويسمون الشعب والمواطنون والجنس وأبناء الوطن، حيث يتضح تماما الاعتماد على المفاهيم الفرنسية.

(٥) إن تحليل عمل الجبرتي المرتبط مباشرة بموضوعنا هو تحليل مؤرخ وعالم اجتماع مصري، من أسرة مسيحية وتكوين ماركسي وهو أنور عبد الملك. في عمل له صادر في باريس في ١٩٦٩، عندما أصبح انحدار عبد الناصر لا رجعة فيه "الأيدولوجية" والميلاد القومي. مصر الحديثة"، يطرح صراحة في نهاية تفكيره، سؤالنا: "هل توجد أمة مصرية أو بمعنى أصح، أليست الأرض المصرية هي نفسها أحد أوطان الأمة العربية؟ مع التحديد اللازم: "كيف يمكن أن يكون الإنسان مصريا في بداية وطوال القرن التاسع عشر؟".

وفى هذا التصور يخصص فصلا بأكمله لـ "ميلاد الضمير التاريخي" يتبنى فيه، مع بعض التحفظ، الرأي الإيجابي عند العديد من المستشرقين، مشيراً لعمل الجبرتي على أنه أحد الممرات الإجبارية "للوقائع والتاريخ العلمي" (٢٧). ولكن عبد الملك لا يبحث عن المادة فى الجبرتي للرد على سؤاله.

وفى عمله المذكور، يحدد ما يشبه البديل (الدوبلير) للجبرتي فى مؤلف مصرى من القرن التاسع عشر، وشخصية تعيش حياة سياسية مضطربة، حتى يعينه الخديوى إسماعيل فى ١٨٦٣ مديراً لقسم الترجمات، حيث يبقى فى منصبه حتى الوفاة: وهو المذكور عليه رفاة رافع الطهطاوى (١٨٠١ - ١٨٧٣). وينسب إليه عبد الملك وظيفة أول منظر حقيقى للأمة المصرية، مع إشارة خاصة لعمل صدر الجزء الأول منه فى ١٨٦٥، "أنور توفيق الجليل فى أخبار مصر وتوثيق بنى إسماعيل". وبعد أن وجد عبد الملك منهجية جديدة مطبقة فيها، يصف العمل التمهيدى لتأسيس "التاريخ كعلم" فى مصر. ومع ذلك فإن هذا العمل، كما يقدمه عبد الملك، يبدو كلاسيكى البناء. أى أنه يبنى، كما فى التواريخ العامة الكبيرة الخاصة بالماضى، تقسيماً للفترات يحدد فترة سابقة (وهنا الماضى الفرعونى واليونانى والرومانى) وفترة لاحقة وهى مجيء الإسلام. وما يوضحه عبد الملك هو أن الطهطاوى يتناول بزوغ الإسلام ودور مؤسسه بروح نقدية ستظهر مرة أخرى فقط فى ١٩٣٥ مع كتاب محمد حسين هيكل، "حياة محمد" (٢٨).

ويروى عبد الملك أن هناك أمرين جديدين فى الطهطاوى. ولتحديد الأمر الأول، يستخدم كلمات ألبرت حورانى: خلق "الفكرة المحددة للوطنية الإقليمية بالمعنى الحديث للكلمة"، غير المتوافقة مع كلمة "أمة" المبنية على أساس الاتفاق على الوحدة الدينية (٢٩).

وهذا أمر جديد مختلف عليه. فكما رأينا، يمكن أن يعود بتاريخه إلى الجبرتي، وعلى أى حال ليس مفروغا منه حتى فى حالة الطهطاوى. وعبد الملك نفسه بالفعل يشير إلى أن مؤرخاً مصرياً مهماً هو محمد صبرى يرى فى

الطهطاوى فى ٣٣ مجرد مؤيد لـ "مصر عربية وإسلامية، على أساس اللغة والدين"، حيث يمتد الربط المحتمل مع فكرة الأمة، بصورة طبيعية للعالم العربى والإسلامى، أكثر من ارتباطها بالطابع المصرى لمصر. ويحاول عبد الملك تأريخ رأى محمد صبرى، موضحاً أن هذا الأخير "يبحث عن أسباب النهضة وليس الوطنية أو القومية المصرية"^(٣٠). وهذا حقيقى، ولكنه يشهد بصورة أكثر على حقيقة أن العروبة، كما فهمها ممثلو "النهضة" التى يصعب فهمها بدون إسهامات خارجية، كانت فى عهد صبرى قد هضمت كنموذج سياسى مقبول يندرج فيه مفهوم "الوطن المصرى"، ويستلهم منه عمله المناهض للاستعمار.

والأمر الثانى الجديد تأريخى. ويكمن فى "فكرة البقاء والاستمرارية" فى التاريخ، وبالتالي فى مصير مصر، أم أمم العالم"، والمالكة منذ مجيئها للوجود "للسيادة الأخلاقية على كل ممالك الأرض"، حيث إن ما يدهش أكثر، فى حالة مصر، فى رأى الطهطاوى، مع استمرار شمس سعادتها وارتفاع نجم مجدها، هو أنها احتفظت لسبعين قرناً، دون انقطاع بمكانتها البارزة: "وهو مصير ربما اتخذه الإسلام الأول جزءاً من مهمته التاريخية ويتعين على مصر استعادته"^(٣١).

والنتيجة المباشرة هى أن ننسب للطهطاوى مثل هذه الفكرة: فكرة الوظيفة الإيجابية للمتقف التى تنتهى بداية من السبعينيات، ولكنها لا تزال قائمة على الأقل فى مصر، فى اللحظة التى يكتب فيها عبد الملك.

(٦) لنترك جانباً هنا القضية التى أشرنا إليها من قبل وهى موقف المتقف اليوم فى مصر لكى نركز على حديث الاستمرارية. والاستمرارية بلا شك، هى طائفة تاريخية يشترك فيها الجزء الأكبر من المؤرخين المصريين، فى فترة القرنين المذكورين هنا، أياً كانت قاعدتهم المذهبية، مما يجعل بعض المراجع الدقيقة غير مفيدة بل العكس هو الصحيح. وبصورة استفزازية قليلاً، قد أميل للتأكيد على أن الدفعة لوحيدة التى لها بعض الوزن فى العالم العربى — الإسلامى فى الاتجاه المعتاد، أى الذى يودى إلى قراءة الماضى من ناحية

الصدّات والرقابات، هي ما يسمّى بالأصولية الإسلامية الحالية، ليس لأنها تدعى تأسيس مشروعيتها على استعادة عصر ذهبي خانة البعض، ويقع في فترة تاريخية محددة ولكنها منتهية.

وفي تصور للاستمرارية، ماذا يعني إذن ١٧٩٨؟ بعض الأمثلة؟ إن عبد الملك متحفّظ في استخدامه للإشارة إلى مسار جديد في التاريخ المصري. وهو يفضّل ١٨٠٥، "تاريخ تولى محمد علي، باعث مصر الحديثة الحكم"، مؤرخا على نحو مختلف لدخول الأفكار الملهمة للنهضة ويرتبط بها^(٣٢). ومن جديد تتجه الإشارة إلى الطهطاوي الذي سيقوم بالمهمة "الأساسية" في "غرس مبادئ الثورة الفرنسية في النهضة القومية لمصر الحديثة"، في كتابه الشهير "تخليص الإبريز في تلخيص باريز"^(٣٣).

والاحتجاج الصريح تقريبا برمزية التاريخ يمكن تعميمه لدرجة أن هناك من يؤكد أن التأثير المصري على الفرنسيين هو الذي يجب أن يؤخذ في الاعتبار وليس العكس^(٣٤). ولكن أهمية محمد علي هي مسألة عليها خلاف أكثر، حتى عندما نعترف بإنجازاته. وعبد الملك لا يشكل مدرسة أيضا في هذا الشأن. فهناك بالفعل حول هذه النقطة اتفاق له مغزاه لآراء الماركسيين والقوميين الناصريين، الذين يرون التاريخ الأهم في آليات التحديث في مصر قد لا يكون ١٧٩٨ ولا ١٨٠٥ ولكن ١٨٨١. إن ١٨٨١ قد يمثّل بالنسبة للماركسيين هنا ختام أو بداية جوهرية لتغيير في طريقة الإنتاج، المقدر لها أن تشجع على تكوين طبقات اجتماعية جديدة. ويرى الناصريون والقوميون بصفة عامة أن الأوربة يمكن أيضا أن تكون قد بدأت مع حملة بوناپرت، ولكن المهم هو نتيجة العملية، أيا كانت اللحظة التي بدأت فيها، أي ثورة عرابي باشا الوطنية^(٣٥).

ويجدر بنا أن نشير إلى التناول المختلف للقضية من جانب مؤرخين عرب من مشارب أخرى. فالحوراني يختار ١٧٩٨ كتاريخ انطلاق "للحقبة الليبرالية". ويضع أنطونيوس البداية الحقيقية للعملية القومية العربية في سوريا، في بيروت،

في ١٨٤٧، عندما أسس نصيف اليازجي وبطرس البستاني "جمعية أدبية متواضعة تحت الرعاية الأمريكية"، وربما لهذا يسمح لنفسه برأى كريم عن محمد على الذي "لو لم تكن هناك قوى أوروبا، لانتزع العرش والخلافة من بين أيدي المتسلطين في القسطنطينية وأسس الأمبرطورية العربية"^(٣٧).

ويندرج في هذه الإشكالية أيضا اختلاف المعنى المنسوب لثورة ١٩١٩، العربية بالنسبة للغالبية، والداخلية، على العكس من ذلك في التاريخ المصري بالنسبة للتاريخ المصري^(٣٨). وعلى أي حال، وسواء أكان هذا بسبب طريقة جديدة للإنتاج أو لظهور ضمير قومي، فإن الاستمرارية التي نتحدث عنها يجب أن تجد طريقها للظهور بصورة خاصة. وهي يمكن أن تتعرف على فاعلها التاريخي في جماهير الفلاحين وفي سلبيتهم الظاهرية^(٣٩)، أو تصور نوعية فرعية بحرأوسطية، إفريقية، آسيوية، أو غير ذلك^(٤٠). وبالتالي فإن "المصرية" تعود لكي تلعب دورها. ويمكن أن تكون هناك اختلافات فيمن يجسدها أو حول كيفية التعبير عنها. ويتحدث بيرك، في عمل شهير له يرجع لعام ١٩٦٧، "l' Egypt. Impérialisme et révolution" بشأن المسابقة الأدبية التي أقامها في ١٩٣٦ على ماهر الذي ينسب إليه ثقل كبير في نهضته العربية، وبصفة أعم فيما يتعلق بأثر الأزهر على البلاد وأصل العادات والتقاليد المصرية، يتحدث عن المصرية كما يتحدث عن شيء يقع بين "العروبة" و"الفرعونية"^(٤١). وهذه طريقة كانت تفخر بتقاليد راسخة في عهد على ماهر.

مثال من بين أمثلة عديدة ممكنة. أحمد لطفى السيد: "نحن المصريين نحب بلادنا ولا نقبل الانتماء لأي وطن آخر، أيا كان أصلنا: حجازيا، أو بربريا، أو تركيا شركسيا، أو سوريا أو يونانيا. إن مصر هي ذلك البلد الطيب الذي كان لمرتين مهذا للحضارة ويمتلك الثروة الطبيعية وشرف الأجداد القادر على تأمين تقدمه، بمجرد أن يظهر أنه جدير بذلك، وأن تكون قلوب سكانه كريمة وترتفع طموحاتهم حتى تعيد إليهم الشرف وتجعلهم يستعيدون مجد أسلافهم"^(٤٢). وهو شيء

كان طه حسين قد وصفه بألفاظ أدبية جدا بأنه "خليط رقيق من الابتسامة والجديّة، والتفاؤل والحزن، يشع من الروح المصرية، الشابة جدا والقديمة جدا، المنجذبة للحديث والمتعلقة بالقديم، والقادرة على انطلاقات عظيمة وتقدم عظيم ولكنها فيلسوفة إلى حد أنها تركت الحياة تمر بين الحين والآخر" (٤٣). ولم يتغير أى شيء مع ذلك جوهريا ولا حتى بعد ذلك، على سبيل المثال، مع حسين فوزى الذى كان يؤكد فى ١٩٦١ قائلا: "كل هذه الآثار - الأهرامات مع كتاباتها البارزة والغائرة، ومقياس النيل والكنائس والمؤسسات الخيرية، والمساجد، والأضرحة المملوكية تحيي أسماء ملوك وخلفاء وسلاطين تجعلنا ننسى مبدعها الحقيقى، الشعب المصرى، هذا الشعب الحاضر وراء كل هذه العجائب، والذى يواجه بحزم مصائب وكوارث (...). والفلاح المصرى اليوم هو نفسه من آلاف السنين، ليس فى اللغة والفكر والإيمان أو فى الملبس (...). ولكن فى علاقاته مع الأرض والرى والزراعة". ويستمر النص فى صياغة علاقة خاصة فى مصر بين المدينة والريف، كما يبدو خاصا مصيرها فى أن تتعرض للغزو وتحكم من أجنبى. ولكن كل شيء يؤدى إلى وحدة تجعل من وحدة الشعب المصرى أقدم وأقوى ووحدة حقتها أى أمة تكونت على الأرض. وقد شكلها النيل بطميه وأضاءتها الشمس ببريقها" (٤٤).

وعلى أحد الثوابت الأساسية ترتكز متغيرات لا تنتهى، يمكن أن تقدم عنها قراءات لا تنتهى مماثلة، فى مدى من التفسيرات من المستبعد جدا أن ينتهى على المدى القصير، ليترك الآن المجال مفتوحا لافتراضات عن نوعيات العلاقة البيئية المصرية والعروبة أو بشأن عدم توافقهما الموضوعى، وهو ما يجب على التاريخ المصرى أن يظهره بأى حال من الأحوال.

هوامش

(١) تبرهن علم، الأمر الأدبيات النقدية الهائلة في، هذا الشأن. يجدر بنا أن نذكر هنا،

علاوة على الكتاب الذي نذكر كثيرا جدا، وهو

Wendell C., The Evolution of the Egyptian National Image from its origins to Ahmed hutfi al- sayyid

بير كيم، ١٩٧٢، بعض الأعمال الأحدث، على الرغم من أنها لم تكن كلها في متناول

من، يكتب: Watterson B. , The Egyptians. Oxford 1997

جورمان ب.

"In the shadow of the nation: the politics of the Egyptian Historiography in the twentieth century"

في، Journal of Arabic, Islamic and middle Estern Studies

٣، ١، ١٩٩٠، ص ١١٧ - ١٢٦؛ أنزلي ج.

The rise of modern Egypt: a Century and a half of the Egyptian History, 198- 1957

، إنبره ١٩٩٤؛ جير شوني أ.، يانكوسكي ج. ب.

Redefining the Egyptian Nation, Cambridge middle East studies،

م، كامبريدج ١٩٩٥؛

Contemporary Egypt through Egyptian Eyes،

دار نشر تريب س.، لندن، ١٩٩٣. على صعيد المفاهيم العامة، ومع إشارة خاصة للقرن العشرين، راجع شولتز.

Il Mondo Islamic nel xx secolo. Politica e sorietà civile،

ميلان ١٩٩٨ (دار نشر ألمانية، مدينتي ١٩٩٤)، الذي، نتفة، معه في، التنازل، المذهب، والتأخر، مع الانتعاش غالبا عن، الدقة الدقائق للأحداث السياسية والأجواء الثقافية، وخاصة فيما يتعلق بما تناولناه في الفصل الأول.

(٢) هناك مثال له مغزاه في، هذا الشأن، وهو بعض صفحات (٩٥ - ٩٦) لمحمد عمارة،

المتقف المسلم المصري اللبير ال، والتي، تظهر في، كتابه "جمال الدين الأفغان، -

الأعمال الكاملة"، المجلد الأول، بيروت ١٩٧٩، في، الفصل المخصص لـ"القومية..."

والعروبة"، ص ٨٥ - ١٠٠، وهنا يعلق عمارة علم، لقاء مؤسس القومية العربية

جمال الدين الأفغان مع الخديوي إسماعيل حلمي، وقد يكون الأفغان قد عرض

خلاله مشروعه السياسي، بصورة ما، وبصرف النظر عن الرغبة المحتملة عند الأفغان، في إرضاء الملك لكم، يكسبه لقضيته، فإن من الواضح أن عمارة محب لمصر و المصريين، شديد الارتباط بهم، كثير البحث في القضية المصرية، ويصف مصر بأنها "أحب بلاد الله"، "باب الحرمين"، ويستخلص من الأمر خلاصة مؤداها أن أي بيعة محتملة للخديوي يمكن أن تقابل البيعة الشهيرة التي طلبها النبي (صلى الله عليه وسلم) وأعطيت له، تحت الشجرة. حيث يعترف الأفغانى نفسه بالدور المهيمن لمصر والذي يبدو أن عمارة يؤيده.

(٣) راجع روسيلون أ.

"Egyptianité, arabité, inlamié: le recomposition des referents indetitaires"

في Egypte- monde arabe، ١١، ١٩٩٢، ص ٧٧-٢٣٢، حيث يحلل عملان: في أصول المسألة المصرية، القاهرة ١٩٥٠ لصبح، وحيد الذى يصفه المؤلف بأنه شخصية انتقالية بين النظام القديم والجديد" (ص ٨٥) ومصر ورسالتها: دراسة في خصائص مصر ومقومات تاريخها الحضارى ورسالتها في الوجود، القاهرة ١٩٥٦ لحسين مؤنس الذى سيكون تنظيره قاعدة، بداية من الستينيات، لإعادة التكوين العربى، الذى سيرسم صورة الأيديولوجية الرسمية. وبرنامج العمل للضباط الأحرار" (ص ٩٦)

(٤) راجع بالتحديد، ماجد منسى،

Tendances de l'historiographie égyptienne contemporaine Les arabes et l'histoires créatrice

تحت إشراف د. شوقالييه، باريس ١٩٩٥، ص ١٥٩-١٦٢.

(٥) الإدانة الأحدث والمقنعة لما يقال هم، في رأي، إدانة السورى برهان غليون الذى يجتاح حديثه كل العالم العربى، - الإسلامى، ولهذا راجع "تقديم" ب سكارتشا أموريتى، للترجمة الإيطالية لواحد من آخر أعماله،

Islamic e islamisms. La modernità tradita

روما ١٩٩٨، ص ٩-١٩

(٦) يبدو أن هذا هو الرأى المتفق عليه: راجع كالكى - نوقاتى ج.

Storia della Algeria indipendent، ميلانو ١٩٩٨، الذى يعز و أهمية معينة لتأثير محمد علم، عل عبد القادر (ص ٢٢)، وهنا المثال الأكثر ملاءمة مرة أخرى: جمال الدين الشيال،

"Historiography in Egypt in the nineteenth century"

في historianns of the middle Eeast،

لويس، ب، طبقات هولت ب. م، لندن، - أكسفورد ١٩٦٢، ص ٤٠٣ - ٤٢١، الذى يصف محمد على صراحة بأنه خالق المناخ السياسى الجديد الذى سيتطور فيه التاريخ الجديد.

(٧) روسيلون أ. المقال المذكور، ص ٧٧

(٨) النصوص المسجلة فى الفترة المذكورة، أو التالية على الفور، هى التالية: على الجانب الماركسى: حسن رياض، باريس ١٩٦٤؛ محمود حسين،

l'Egypte nassérienne، la lutte des classes en Egypt de 1945- 1968

باريس ١٩٦٩؛ أنور عبد الملك،

Idéologie et renaissance nationale. l'Egypt moderne

باريس ١٩٦٩؛ عاصم دسوقي، مصر المعاصرة فى دراسات المؤرخين المصريين، القاهرة ١٩٧٢؛ أحمد صديقه سعد، تاريخ العرب الاجتماعى. تحول التكوين المصرى من النمط الآسيوى الى النمط الرأسمالى، بيروت ١٩٨١؛ وعلى الجانب الوطنى - الناصرى: القشيري محفوظ،

Socialisme et pouvoir en Egypte

باريس ١٩٧٢؛ مجدى وهبة،

La politique culturelle en Egypte

باريس ١٩٧٢. وقد استكمل هذا التسجيل، من ناحية بالحواء الى سلسلة من المجموعات نشير الى بعضها بصفة خاصة مثل "دار الكتب فى عهد الثورة، يوليو ١٩٥٢ - يوليو ١٩٦٤، القاهرة ١٩٦٤ و ف. كليمنتس

The Emergence of Arab Nationalism from Nineteenth Century to 1921. A Bibliography

هور شيبستر - لندن ١٩٧٦، ومن الناحية الأخرى، بتحليل من نفس نوع تحليل ر. ميچر فى

Contemporary Egyptian Historiography of the period 1936- 1952. a study of its scientific and political character

والذى يرجع اليه نصر، مكتوب على الآلة الكاتبة، أمستردام ١٩٨٥، وكذلك العديد من مختارات النصوص، من بينها المختارات الرائدة،

Antologie de la literature arabe contemporaine. Les essais

اعداد أنور عبد الملك، باريس ١٩٦٥. بالنسبة لنصوص القرن التاسع عشر، راجع الأجزاء التالية

(٩) ويجب أن نذكر (ولكن راجع في الأجزاء التالية، كتاب أ. باتينيه، أن هناك من يؤكد أن الفرعونية كأسطورة مؤسسة لمصر متأخرة نسبيًا، وأن المسئول عنها محمد حسنين هيكل بحثًا عن جذور الهوية "في مواجهة الشرعية العثمانية والاحتلال الإنجليزي".

انظر ليلي عنان،

"l'Egypte pharaonique; un mythe des romans français aux romans égyptiens"

في، Imiroir égyptien، إلبرت ر.، طبعات جوتارد في مرسيليا ١٩٨٤، ص ٢٩، ٣٧.

(١٠) وقد سد مثل هذه الفجوة جانب كبير من عمل أ. بيليتيرى، الذى أشكره للنصائح الكثيرة التى قدمها لى. وعلى سبيل المثال، انظر أعماله:

Nazionalismo arabo.. siria, libano, 19 0- 1950

باليرمو ١٩٨٢؛ عبد الرحمن الكواكبي، (١٨٥٣ - ١٩٠٣).

مواد جديدة تتعلق بالسير والمراجع، كراسات Oriente moderno، العدد . س. ١٥، ١٩٩٦؛

Islam Bez al-'azm, intellettuale damasceno riformista 1865- 1952) باليرمو ١٩٩٨.

(١١) ليس من قبيل الصدفة أن كرابس ج. أ. ج، فى

The writing of history in nineteenth century Egypt, A study in national transformation

القاهرة - دكتوراه ١٩٨٤، لا يؤكد فحسب أن التأريخ المصرى، فى مجموعه بداية من القرن التاسع عشر،

"was in process of becoming 'modern'"

ولكن عندما نصف منح الطهطاوى، وهو مؤلف سنعود إليه، الذى ينسب إليه "أنا أوليا فى الوطن المصرية"، لا يمكنه أن يلاحظ أنه فى كتابه "التخلص"، وهو دراسة من التفاصيل وعمق التعليق.... "يتذكر على الفور وصف الجبرتى للفرنسيين" (ص ٨٠)

(١٢) هولت ب. م. فى

"Al- Jabartîs Introduction to the history of the Ottoman Egypt"

فى Bulletin of the school of oriental and African studies xxv

العدد ٢٥، ١، ١٩٦٢، ص ٣٨-٥١، المذكورة في الجبرتي، مع الاختلافات الواجبة، بين مؤلفه، "الوقائع الأدبية"، المقابلة لـ "الوقائع الشعبية"، وهما النوعان اللذان يراهما هولت موجودين في عصر الجبرتي على ساحة التأريخ المصري.

و حول الإنتاج التاريخي المصري في العهد العثماني فيما يتعلق بالجبرتي، راجع أبالون د.

"The historian al- Jabartî and his background"

في "Bulletin of the school of Oriental and African studies" العدد ٢٣، ٢، ١٩٦٠، ص ص ٢١٧-٢٤٩. وفي المرجع نفسه

"studies in al- Jabartî . I. Notes of the transformation of mamluk society in Egypt under the ottomans",

في "Jornal of the Economic and Economic and social History of the orient" العدد الثالث، ١٩٦٠، ص ص ١٤٨-١٧٤؛ ٢٧٥-٣٢٥.

وأخيرا انظر فيليب ث.، شوالد ج .،

"Arab al- Raman al- Jabarti's history of Egypt"

عجائب الآثار في التراجم والأخبار . A guide ، شتوتجارت ١٩٩٤، ص ٥، حيث (ص ٣٨٥-٣٩٠) يمكن العثور على قائمة مراجع حديثة عن مؤلفنا وأعماله.

(١٣) راجع روزنثال ف.

History of Muslim Historioans of the Middle East

الطبعة الثانية، لا يدين ١٩٦٨، ص ١٣٣-١٧٢.

(١٤) انظر أبالون د.

The Historian al- Jobatî

في "Historians of the Middle East"، المرجع المذكور، ص ٣٩٥.

(١٥) حول موضوع العلاقة المذاهب الوطنية، والتأريخ القائم على بناء إقليمي راجع شكارنشا أموري تي ب.

"Nationalismi, storie regional': osservazioni a margine"

Azher. Studi arabo- islamici in memoria di umbreto Rizzitano (في-1913 1980)

إعداد بيليتيري أ.، مونتينا ج،

"Annali delle Facoltà di Lettere e filosofia dell'universite di Palermo.
Studi e ricerch"

٢٣، باليرمو ١٩٩٥، ص ص ٢٣-٢٤

(١٦) انظر بوناواك أ.ك.،

"The Evolution of al- Jabarti's Historical thinking as reflected in the
muzhir and the agaib"

في Arabica ، العدد ١٥ ، ٣ ، ١٩٦٨ ، ص ص ٢٧٠ - ٢٨٨

(١٧) راجع فيليب ث.، شوالد ج.، المرجع المذكور، ص ٣.

(١٨) بصفة عامة، حول الترتيب الزمني، وأنواع عمل الجبرتي، راجع فيليب ث.، شوالد
ج.، المرجع المذكور، ص ٣، والصفحات التالية وكرايس ج. أ.، المرجع المذكور،
بصفة خاصة، ص ٤٣٤٥، علاوة على E. I.2، تحت كلمة الجبرتي، وهنا يعتمد
أساسا على ما هو مذكور في بوناواك أ.ك. المقال المذكور.

(١٩) هذه هي ترجمة فيليب ث.، بيرلمان م.،

Abd al- Rahman al- Jabarti's History of Egypt

أربعة مجلدات في ٢، شتوتجارت ١٩٩٤: هنا المجلد الثالث، ص ٦

(٢٠) راجع بوركه ج. س.،

"A Description of the U ma's opposition to Napooleon; opposition to
Napolion : organized Resistance to the French led by the 'Ulama' of
Azhar"

في Hamadard Islamicus، العدد ١٧ ، ٤، ١٩٩٤، ص ص ٥٥-٨٣

(٢١) راجع على سبيل المثال، أيالون د.

"The historian al- Jabarti"

في Historians of the middle Eaest، المرجع المذكور، ص ص ٣٨٩-٣٩٥.

(٢٢) انظر بوناواك أ.ك.، المقال المذكور، ص ٢٨١.

(٢٣) الاستطلاع الذي تقوم عليه الملاحظات التالية يتعلق بالمجلد الثالث من طبعة
"العجائب" في القاهرة ١٣٢٢ / ١٩٠٤ - ١٩٠٥، وبصفة خاصة ص ١ - ٥٠ و ص
١٩٢ - ٢١٠.

(٢٤) راجع فيليب ث .، بيرلمان م.، المرجع المذكور، ص ٣٦.

(٢٥) راجع بوسورث س. أ.،

"al- Jabarti and the Frankish Archaeologists"

في International Journal of middle east studies,

٨، ١٩٧٧، ص ٢٢٩ - ٢٣٦

(٢٦) أعيد الجزء الأول من استشهاد عبد الملك أ.،

Idéologie et eenaissance nationale . l' Egypte modern

باريس ١٩٦٩، ص ٢٢٦، والجزء الثاني من ناتالوني س.،

Per un'analisi del concetto di poplo nell'Islam,

ميلانو ١٩٨٧، ص ١٢٠ - ١٢٣، حيث يلاحظ أن كلمتي "أمة" و"ملة" يبدو أن كلاهما يعني "أمة".

(٢٧) عبد الملك أ. المرجع المذكور، ص ٢٠٩ - ٢١٠

(٢٨) المرجع نفسه، ص ٢٢٧.

(٢٩) المرجع نفسه، ص ٢٢٩

(٣٠) المرجع نفسه، ص ٢٢٦.

(٣١) المرجع نفسه، ص ٢٢٦. وهو ما لا يمنح الطهطاوي نفسه من أن يؤكد في كتابه "تلخيص" (الذي رجع إليه هنا في ترجمة أنور لوقا،

L'or de paris. Relation de voyage 1826- 1831,

باريس، ١٩٨٨، ص ٣٠٨) أن "الحرية هي أيضا من صفات العرب، منذ أقدم عصورهم".

(٣٢) عبد الملك أ.، المرجع المذكور، ص ١٧

(٣٣) المرجع نفسه، ص ٢٢٠

(٣٤) راجع سعد أ. س تاريخ العرب الاجتماعي، ص ١٧٧.

(٣٥) حسن رياض، المرجع المذكور، ص ٧٢، يضع بداية مصر الحديثة عند منتصف

القرن التاسع عشر، وجعلها تتزامن مع تشكيل حزب/ الحزب الوطني الذي يصفه المؤلف بأنه حديث لأنه قادر على المطالبة بملكية دستورية وبرلمانية. ويرى محمود حسين، المرجع المذكور، ص ١٧١. ويجب أن نشير إلى أنه كان هناك من سيؤكد مثل مصطفي كامل أن عبارة لم يكن سوى "خائن، حريص فقط على مصالحته المادية": راجع لاكوتورج . . s.

L'Egypte en mouvement,

باريس، عدد طبعة ١٩٦٢، ص ٦٥، وهناك بعض الأصوات المخالفة، مثل القشيري محفوظ، المرجع المذكور ص ٢٠٧ والصفحات التالية، الذي يتحدث عن تجربة أثارها الانفتاح على "الأوروية" مع حملة بونايرت". ولعرض رأي المؤرخين في نهاية القرن وبداية القرن العشرين، يقدم عبد الملك، في النص موضع التحليل هنا، الكثير من النقاط المهمة. وجدير بالذكر بصفة خاصة رأي لويس عوض، الذي يرى أن كل شيء يمكن أن يبدأ بإعلان بونايرت في يوليو ١٧٩٨ (ص ٢١٣). وأيضا إلى جانب المؤرخين المصريين، لا يمكن أن نذكر ما يؤكد أ. حوزاني في كتابه

Arabic Thought in the liberal Age , 1798- 1939,

أكسفورد ١٩٦٢، ص ١٩٣ والصفحات التالية، فيما يتعلق بحقيقة أن الاحتلال البريطاني هو الذي سمح بانصهار الحداثة الإسلامية والوطنية المصرية، بينما كانت الثورة نفسها على الاحتلال الفرنسي يقودها علماء الدين (ولهذا راجع رقم ٢٠)، بوصفهم "زعماء للرأي المحلي"، مع تأكيد على أنه مع الطهطاوي أولا ثم لطفى السيد بعد ذلك، ثم الانتقال مع فكرة "مجتمع الإيمان" إلى فكرة "الأمة المصرية" التي سيتحقق فيها مفهوم "الوطن"، وهو مفهوم مبنى بدوره على الاستمرارية التاريخية من الماضي الفرعوني والعربي إلى العصر الحديث.

(٣٦) يشار هنا إلى نص أ. حوزاني، المذكور في الملحوظة السابقة. ويجب أن نوضح أن المؤلف نفسه في كتابه:

History of Arab peoples, كاميريدج (ماساشويتس) ١٩٩١، فيما يتعلق بالتأثير السياسي لمحمد علي، يؤكد أنه لم تكن هناك فكرة صريحة عن المواطنة أو التغيير في الأساس الأخلاقي للحكومة" (ص ٢٧٣).

(٣٧) انظر أنطونيوس ج. The Arab awakening

بيروت ١٩٣٨، طبعة مراجعة ١٩٦٩. ٢٠، ١٣.

(٣٨) علي، سبيل المثال، عبد الرحمن الراجحي، ثورة ١٩١٩: تاريخ مصر القومي من ١٩١٤ إلى ١٩٢١، القاهرة ١٩٦٨.

(٣٩) هذا هو الرأي الذي يؤكد أحمد صادق سعد في "تاريخ مصر الاجتماعي الفرعوني، الهيليني، الإمبراطوري الإسلامي...، بيروت ١٩٧٩.

(٤٠) المفهوم مشار إليه في "المقدمة" بتوقيع ناشري Le mimroir egyptien,

المرجع المذكور، ص ١٢، وعلي نطاق أوسع، في ج و س. لاكوتور، المرجع المذكور، ص ٢٨ والصفحات التالية.

(٤١) انظر بيرك ج.،

L'Egypte. Impérialism et revolution

باريس ١٩٦٧، ص ٥٢٥.

(٤٢) نقل هنا عن،

Anthologie de la littérature arabe contemporaine

المرجع المذكور، ص ١١٥ - ١١٦.

(٤٣) منقول هنا عن بيرك ج.، المرجع المذكور، ص ٦٧٤.

(٤٤) منقول هنا عن

Anthologie de la littérature arabe contemporaine,

المرجع المذكور، ص ٤١٤. ويخبرني البروفيسور محب س.أ. يخبرني، أنه في عمل شهير وحديث نسبياً، "الشخصيات المصرية"، يبدو أنه يوضح هذه المسألة، يؤكد المؤلف حنا م. أن المصرية هي مجموع كل هذه العناصر المختلفة التي أسهمت في تشكيلها من البحر أو سيطرة إلى الإفريقية. وهذه الإشارة، التي أشكر عليها البروفيسور محب، تؤكد فكرة الوحدة والتفرد التي هي أساس مفهوم المصرية، كما هي مقترحة هنا، علاوة على أنها تمثل تأكيداً آخر للآنية الدائمة للمشكلة.

الطريق المصري للصحة في عهد محمد علي (١٨٠٥ - ١٨٤٩)

سلفاتوري سببتيالى

١- أسباب ووقائع البحث

إن الاهتمام بالتحويلات التي تتحقق في المجال الصحي في مصر سواء قبل أو بعد الاستعمار، ينشأ من التزام شخصي مزدوج. من ناحية، هناك الأبحاث التي تمت بالفعل عن دول المغرب - وتونس بصفة خاصة من القرن الثامن عشر إلى القرن العشرين^(١)، ومن الناحية الأخرى، هناك الأبحاث الجديدة الجارية عن الاستعمار والصحة في إفريقيا الشمالية^(٢). وهذان الطريقتان في البحث يتداخلان بدورهما مع طرق العديد من الباحثين من شتى المشارب التي تقودنا إلى تصورات أخرى بحد أوسطية وتشهد بواقع الإشكاليات الصحية والمستوطنة والسكانية^(٣).

ووجهة النظر المتخذة هي من النوع المتعاون وبالتالي فإنها تتجه لإبراز أوجه الشبه والاختلافات بين المسارات الصحية لدول هذه المنطقة الجغرافية.

وسنحاول تحديد مستويات البداية، وبعد ذلك الطرق المتخذة لإعادة تنظيم النظام الصحي القائم أصلاً، وبالتالي التأثير المختلف لحركات الاستعمار، وأخيراً حالة الأمور عشية الاستقلال.

والتناول المنهجي يتميز بشدة بتداخل المعارف، الذي يفهم على أنه مجموع تلك الأدوات التي تسمى بتحليل الجوانب المتعددة لماض معقد دائماً ويعود بنا لقطاعات متخصصة في الحياة البشرية: علم الأوبئة والمستوطنة بصفة خاصة، وعلم السكان والاقتصاد والعقلية...

وهو تناول أعطى بالفعل نتائج على جانب كبير من الأهمية فى بعض الأعمال المنشورة فى العقود الأخيرة، سواء عن البحر المتوسط المسيحي أو الإسلامى.

ومن بحث أولى للدراسات المنشورة عن التاريخ الصحى للبحر المتوسط الإسلامى نستخلص أمرا له بالتأكيد مغزاه: فى حين كان المغرب محورا لأبحاث قليلة متعمقة فإنه بالنسبة لمراكش ومصر بصفة خاصة، يوجد كم هائل لا يستهان به من الدراسات التى تحققت بصفة خاصة فى السنوات العشرين الأخيرة^(٤). وهى أعمال تتفاوت قيمتها، بعضها مركز بالتحديد على عملية الانتقال التى تحققت بين القرنين التاسع عشر والعشرين، من "الصحة التقليدية" إلى "الصحة الحديثة".

وترتبط أسباب هذا الاهتمام الواضح بمصر الصحية بعوامل كثيرة:

أولاً: المصالح الدولية الهائلة فى هذه المنطقة، سواء أكانت ذات طبيعة سياسية أم تجارية.

ثانياً: العوامل الوبائية والمستوطنة التى تهدد وتعرقل التحقيق الكامل للمشاريع الأوروبية (التبادل التجارى الحر، غزو الأسواق والاستعمار)، أو المصرية (تقوية الجيش، وسياسة التوسع والتحرر من الإمبراطورية العثمانية). وأخيراً الدور "الفاعل" فى التحديث الذى لعبه محمد على، مع أهدافه فى الاستقلال عن الإمبراطورية العثمانية وخاصة مع عمله المؤثر فى المجال الاجتماعى.

وبالفعل، عند أول مقارنة مع ما حدث فى الوقت نفسه فى المنطقة المغربية، يتضح ثراء فى المشروعات وقدرة على التنفيذ أوضح بالتأكيد فى مصر. ولكن لابد أن نوضح فى هذا الشأن نقطة أساسية: إذا كانت المشروعات المصممة والنتائج التى تحققت هى ثمرة رغبة فرد واحد، من ناحية — وهذا يودى حتماً للتفكير فى علاقة بين الاستبداد والتحديث، وحدود ومصاعب "التنفيذ من أعلى" — فإنها، من الناحية الأخرى، ثمرة أيضاً لسلسلة كاملة من الظروف الداخلية

والخارجية. وهى ظروف تتضافر، بطرق مختلفة، لتحديد نوع من التحديث بدلا من الآخر، وطريق مصرى للصحة بدلا من آخر^(٥).

٢- الصحة فى مصر بين التحفظ والتحديث

فى مجال هذا البيان القصير لابد بالضرورة الاقتصار فقط على رسم أهم ظروف مسار التحديث. ولدواعى الإيجاز، يمكن إرجاعها لنوعين من العوامل: عوامل طبيعية من ناحية وعوامل إنسانية، سواء متعمدة أو غير متعمدة، من الناحية الأخرى. وعلى الرغم من أن التركيز كان منصبا أساسا على الحالة المصرية، فإن البعض يرى أن من الضرورى توجيهه أيضا للعمليات الموازية التى تنفذ فى الوقت نفسه فى البلاد الأخرى فى إفريقيا الشمالية فى هذه المرحلة الحساسة من التاريخ الوبائى العالمى. وهى مرحلة نشهد فيها تراجع الطاعون نحو البؤر الأصلية وتقدم الكوليرا فى كل الاتجاهات فى العالم.

العوامل الطبيعية

من بين العوامل الطبيعية التى يمكن أن نحصيها، هناك بعض الخصائص الجغرافية - الطبيعية والمناخية والبشرية - التى تؤثر مباشرة على الجانب الوبائى - الصحى. قبل كل شىء، هناك الموقع الجغرافى لمصر بين القارات وهو ما يؤدى إلى وظيفة بارزة لتوزيع البشر والبضائع وفى خط مواز هناك وظيفة واضحة "للتوزيع البكتريولوجى". والطرق والممرات المطروقة أكثر من غيرها فى اتجاه الهلال الخصيب والأناضول والبحر الأحمر وشبه الجزيرة العربية والمغرب والبحر المتوسط، وبالتالي أوروبا هى بالفعل المسارات المطروقة أكثر من قبل العدوى الوبائية.

وهناك بالتأكيد العديد من العوامل التى تقوى وظيفة "التوزيع البكتريولوجى".

محورية الدولة فى التدفقات البشرية بين القارات تبعا للاتجاهات من الغرب - الشرق - الغرب والشمال - الجنوب - الشمال نتيجة للحج إلى مكة والقرب من بؤر الطاعون الدائمة فى شبه الجزيرة العربية، وكردستان وليبيا والبؤر المؤقتة فى الأناضول والبلقان، والشبكة المكثفة من الاتصالات القائمة مع تلك المناطق^(٦)، ثم الظروف المناخية (وخاصة العلاقة بين درجة الحرارة والرطوبة) المناسبة لبقاء بكتريا الكوليرا وبكتريا الطاعون وكذلك انتشارهما^(٧).

وعلاوة على ذلك هناك وجود مصدر وحيد للتزود بالماء، يتمثل فى النيل الذى يؤدى إلى نوع من عدم الاستقرار فى الإمداد الذى تعرقله إجراءات صحية ويسهل انتشار الكوليرا.

وأخيرا، هناك التركيز المرتفع للسكان بطول ضفاف النيل وفى منطقة الدلتا، الذى يشجع بصورة هائلة على العدوى بين البشر.

وتسهم هذه العوامل مع عوامل أخرى فى خلق وتحديد صورة مصر فى الوعي الجماعى "كرأس جسر" للأوبئة طوال كل العصر الحديث والمعاصر^(٨). وهى صورة مدت جذورها سواء فى العالم المسيحى أو فى العالم الإسلامى، والمغربى بصفة خاصة^(٩). ونحن نشعر بانعكاسات هذه الرؤية بصورة ثقيلة، كما سنرى، على السياسات الصحية (الدفاعية) سواء على المستوى الأوروبى أو المصرى.

العوامل البشرية غير المقصودة

إلى جانب العوامل الطبيعية المدرجة، تضاف، سلبا، عوامل بشرية من النوع غير المقصود. وهذه العوامل تشمل تحولات السياق الجغرافى التى تنتج عن عمل الإنسان وخاصة فى القرن ١٩. وهى تحولات على المستوى الحضرى، والزراعى والطرق وتشمل على انعكاس غير متوقع على السياق الوبائى - الصحى، سواء على المستوى الصغير أو الكبير.

وفى هذا المقام قد تكفى الإشارة إلى بعض من أهم هذه العوامل:

أولاً: التوسع الحضري الإعجازى للإسكندرية الذى تحقق بداية من العشرينيات من القرن ١٩. وهو توسع يؤدي فى الوقت نفسه إلى ميلاد بؤرة حضرية جديدة من الطاعون^(١٠).

ثانياً: انتشار اليرى الدائم المفروض بداية من الثلاثينات.

وهذا النظام ينتج بالفعل سلسلة من الأنظمة البيئية الصغيرة الجديدة، المثالية لنمو الملاريا وانتشار الكوليرا.

وقد يتطلب الأمر فى النهاية حديثاً خاصاً للتحول الجارى فى النقل البرى وخاصة البحرى على الصعيد العالمى، بداية أيضاً من العشرينيات والثلاثينات من القرن ١٩. والعناصر الأساسية فى هذا التحول الأخير هى تحسن نظام الطرق، وخاصة انتشار السكة الحديد والملاحة التجارية خارج أوروبا. وقد أدت زيادة سرعة وسائل النقل إلى ضغط مكافئ - زمانى، وهو ما يمكن أن يشار إليه على أنه العامل الذى أدى إلى الاعتدال بقوة^(١١). ومن الواضح أن هذا الضغط، عندما يطبق على المجال الوبائى، فإنه يترجم حتماً إلى إسراع فى نقل الوباء.

وبالفعل فإن إحدى النتائج الدرامية هى بالتأكيد أول ظهور فى البحر المتوسط للكوليرا الهندية. وهو أمر يكتسب دوراً محفزاً أيضاً فى عملية التحديث كما سنرى فيما بعد.

العوامل البشرية المقصودة

تشمل العوامل البشرية المقصودة على العكس من ذلك، تحولات النظام الصحى التى أعد برامجها محمد على وحاشيته والقوى التى عارضتها وهى قوى ذات طبيعة داخلية أو خارجية عن البلاد وتميز بدرجات متفاوتة، حجم عملية

التحديث. وهي قوى بالطبع لا تعمل في المجال الصحي فحسب ولكن في كل مجالات المجتمع التي تمسها عملية إعادة التنظيم والتحديث عند من يحكم.

ونقطة الانطلاق هي، كما هو معروف، تقوية الجيش التي يملها مشروع التوسع الطموح والاستقلال عن الإمبراطورية العثمانية. وقد أدت المواجهة القادمة المحتملة بين القوتين إلى أن رأس المال البشري اعتبر عنصرا ثميننا دائما، وعنصرا يتعين دعمه وحمايته من الكوارث الوبائية في ذلك العصر^(١٢). وبالتالي فإن مشروع التوسع هذا دفع محمد علي في البداية لإصلاح الإشراف الطبي في البلاد وخلق نظام صحي مستقل بعد ذلك. ونظرا لاقتناعه بالفاعلية الأعلى للدواء الغربي في الكفاح ضد الأمراض الوبائية، فقد بدأ في عملية للتقليل من شأن الدواء التقليدي وإزالة النظام الصحي القائم من قبل.

وفي خط مواز أشرف على مبادرات الطبيب الفرنسي أنطوان بارثيملي كلوت: إنشاء هيئة طبية من جديد^(١٣)، وهيئة من القابلات^(١٤)، وإنشاء أو تقوية المنشآت الصحية^(١٥)، وتأسيس هيئات للوقاية^(١٦)، وأخيرا فرض منظم وإجباري لإجراءات الحجر الصحي، والتطهير والتطعيم^(١٧).

وهناك تحول مماثل، على الرغم من أنه مقتصر أكثر على الجوانب الدفاعية البحتة، يتضح في الوقت نفسه في حكومتى تونس والمغرب^(١٨). وبخلاف ذلك نجد في حكومة طرابلس أن المبادرات الصحية في المجال الصحي، التي بدأها آخر الكرمنليين تترك المجال للسياسة الصحية للإمبراطورية العثمانية من ١٨٣٥ فصاعدا^(١٩).

وفيما يتعلق بالجزائر الفرنسية، غداة أول إنزال للقوات (وكذلك غداة غزو كل مدينة) تنشأ شبكة من المجالس الصحية العسكرية، تستبدل بها فيما بعد مؤسسات مدنية^(٢٠).

ولكن الطريق الصحي الذي اتبعه محمد علي، على الرغم من أنه وجد صدى وموافقة سواء في العالم العربي أو في أوروبا، فإنه بقي غالبا معزولا عن

السياق الداخلى، وبالفعل كان ينقص الملك مساندة القاعدة فى المجتمع وكثيرين من مساعديه أنفسهم وهذا لسببين اثنين: الأول، لأن العلاقة التى يحتفظ بها الناس مع الميراث الطبى - العلمى قوية جدا لدرجة أنها لا تنكسر فى وقت قصير، وثانياً لأن إيقاع التغيير الذى فرضه محمد على كان مفاجئاً جداً، وبالتالي فإن التجديدات التى تصورها كلوت بك وفرضها محمد على تظهر كسلسلة من التحديات للتقاليد وتغييرات حقيقية مؤلمة أحياناً. ويتضح إذا موقف الرفض والخوف علاوة على عدم الفهم تجاه هذه الإجراءات المستوردة، علاوة على كل شىء، من العالم المسيحى.

"بطء" العملية

كانت العملية البطيئة التى التأمّت من خلالها الكسور مهمة جداً بقدر الطريقة السريعة التى حدثت بها. وهذه العملية من الفعل ورد الفعل التى حدثت فى هذا النوع من التحديث من أعلى، يمكن أن توضح من خلال أربعة أمثلة سنتحدث عنها فيما يلى:

الأول متعلق بإنشاء مدرسة الطب، والثانى بنشر ممارسة الطب الشرعى، والثالث يتعلّق بفرص التطعيم، والأخير يبحث ترشيد إجراءات الحجر الصحى والعزل.

فيما يتعلّق بالمدرسة الطبية التى أنشئت فى ١٨٢٧ فإنه لا يوجد نظام آخر للتجنيد المبدئى سوى الإيجابار. فالطلبة يؤخذون من المدارس القرآنية ويدخلون مبنى ملحقا بالمستشفى الرئيسى فى الإسكندرية^(٢١). وبالنسبة لمدرسة القابلات التى أنشئت فى ١٨٣٢ فقد رأى البعض ضرورة اللجوء لشراء عشر إماء أدخلن تحت حراسة العبيد. ولكن استخدام اللغة العربية كلغة دراسة، وتعديل المواد التى تدرس من الناحية الشكلية بحثاً عن لقاء مع ثقافة وديانة الدارسين، والمساندة الفعلية من جانب علماء الدين جعل هذه المؤسسات تبدأ ببطء فى كسب موافقة جانب من

الرأى العام، وبالتالي أيضا الانضمام الطوعى^(٢٣). وقد مثل هذا أول وأهم رآب للصدع الأولى.

وفى المرحلة التالية، أدى تنقل القابلات المصريات والمسئولين عن الصحة فى البلاد^(٢٤)، إلى تقرب السكان ببطء من إجراءات الصحة والوقاية المفروضة. وبالفعل قام هؤلاء المهنيون الجدد بنشاط حقيقى فى التجديد. وقد حاولوا العمل: أولا، فى التقرب بين السكان والسلطات الصحية بتخطى ممثل الطب التقليدى^(٢٥)، وثانيا، التصالح بين التقاليد الطبية التى ترجع للعصور الوسطى ويعود أصلها إلى أبقراط وجالينوس والطب الغربى الحديث^(٢٦)، وهو شرح آخر التأم مع الزمن، على الرغم من أنه لم يلتئم تماما^(٢٧).

وفى هذه الفترة أصبح عمل علماء الدين أيضا أساسيا بالنظر بصفة خاصة للحجر الصحى ومراكز الحجر الصحى والتطعيم وتشريح الجثث. وقد وصلت فتاواهم التى انطلقت من التقاليد والأحداث إلى تبرير تطبيق تلك الإجراءات، وتلم الممارسات التى لم يؤخذ بها حتى ذلك الحين. وهكذا قاموا هم أيضا ببطء برآب ذلك الصدع الذى نشأ بين قمة وقاعدة المجتمع فى مصر كما فى باقى المغرب^(٢٨).

ولكن مفهوم البطء يجب أن يعاد النظر فيه بالتأكيد. ومثال ممارسة التشريح، بالنسبة للدراسات التشريحية، علاوة على تحديد أسباب الوفاة، يمكن أن يعتبر نموذجا يحتذى. وبالفعل، منذ هجوم أحد الطلبة على كلوت بك أثناء تشريح جثة فى ١٨٢٩^(٢٩)، وحتى تطبيع الممارسة نفسها، فى السنوات التالية، هناك فجوة قصيرة للغاية إذا ما قورنت بالمعاناة الطويلة التى عاشتها أوروبا^(٣٠)، وقد مر وقت قصير بالمثل، من رفض التطعيم، الذى أدخل فى العشرينيات وأصبح إجباريا فى ١٨٣٧^(٣١)، إلى الدفاع عنه من جانب علماء الدين^(٣٢). ولكن كان لا بد أن تمر عدة عقود حتى يبدأ التطعيم من نوع تطعيم جينر فى الإحلال محل التطعيم التقليدى بين الشعب. وهذا يحدث بصفة خاصة بعد الأربعينيات، عندما تلاحظ النتائج الأولى، وبصفة خاصة عندما يخف الخوف من أن التطعيم علامة على التجنيد العسكرى

القادم^(٣٣). وفي الوقت نفسه في أوروبا - حيث لم يكن يوجد أى شكل تقليدى من التطعيم قبل ليدى مونتاج وجينر - عرقل الأساقفة والرعية، بصورة عنيفة غالباً، نشر هذا الاكتشاف الجديد.

وبالنسبة لحالات الحجر الصحى أيضاً لم يتأخر علماء الدين كثيراً فى صياغة التبرير^(٣٤). ولكن تنفيذه لفى بصعوبة موافقة المسافرين والتجار فى العالم العربى. ولكن الحجر الصحى فى أوروبا كان موضع احتجاجات ومحاولات للمراوغة لفترات أطول: من العصور الوسطى، عندما بدأت، وحتى العصر الحديث، عندما يحاول البعض إسقاطه باسم التجارة الحرة^(٣٥). وبالتالي فإننا نشهد إسراعاً جوهرياً لبعض العمليات، وهذا من أهم سمات أى شكل من أشكال التحديث المستورد^(٣٦)، وبالتالي فإن مفهوم ببطء التحولات غالباً ما يكون مجرد وجهة نظر عند الرجل الغربى. وهى وجهة نظر من استوعب بالفعل التغييرات وأصبح لا يصبر على الوقت اللازم للآخرين.

الاستيراد الصعب

إن استيراد معارف وتقنيات من أوروبا ينطوى على نتائج أخرى جانبية. والأمر يتعلق عملياً هنا بنقل وتعديل نموذج خارجى - وهو النموذج الفرنسى فى الحالة المصرية السابقة للاستعمار - فى الصحة العامة والتدريس الطبى، مع تصوره الداخلى للواقع الصحى الخارجى بمزاياه وتناقضاته الداخلية. وهذا يعنى على سبيل المثال أن النظام المطبق فى التعليم الطبى والممارسة الصحية فى مصر تبدو من النوع "الدفاعى" أساساً، أى القائم على مفهوم (أو مفهوم مسبق) بأن الأمراض السائدة فى مصر هى من النوع الوبائى (الطاعون، الكوليرا، التيفود والجدرى... إلخ). وهذه هى الرؤية التى ولدت فى أوروبا نتيجة للخوف من الغزوات الوبائية القادمة من الشرق، وتهدف لخلق حصون بعيدة ضد تلك الغزوات. وكل هذا بالطبع على حساب الطب الوقائى والطب الأساسى.

وهناك نتيجة أخرى مباشرة لهذا النظام فى التعليم الطبى - الصحى هى استيراد مختلف المواقف العلمية الغربية المتناقضة بشأن القضايا التى لم تحل بعد. فى حالة الأوبئة على سبيل المثال، نشهد فى أوروبا نقاشا محتدما بين أنصار نظرية العدوى والمناوئين لها^(٣٧). فالفرق الأول يؤيد الحجر الصحى والمحاجر الصحية كإجراء للحماية ضد الأشخاص والبضائع التى يمكن أن تنقل "العدوى" سيئة السمعة. ولكن المعارضين مقتنعون بعدم جدوى هذه الإجراءات. فهذا الفريق الأخير يرى أن الأوبئة سينقلها الهواء أو ستتولد فى المكان من مفارقات مناخية أو صحية أو كونية - زلزالية^(٣٨). والانحياز لهذا التيار أو ذاك ينطوى على انعكاسات عميقة على الصعيد الدولى، وخاصة فى هذه الفترة التاريخية التى يرتبط فيها اختصار الزمان والمكان الناتج عن الملاحة التجارية، التى أشرت إليها من قبل، بنجاح السياسات التى تدعو لتحرير التبادل التجارى. وكل مانع أو إبطاء فى الأنشطة التجارية ينظر إليه فى العالم الأنجلوسكسونى بصفة خاصة، كهجوم على الحرية^(٣٩). ومن المفارقات أنه فى حين بدأت أوروبا تعيد النظر فى نظام الحجر الصحى لديها فإن هذا النظام ينشأ ويقوى فى كل دول إفريقيا الشمالية والإمبراطورية العثمانية^(٤٠).

وعندما انتقل النقاش إلى داخل بلاده، لعب محمد على دور الوسيط وهو من أنصار نظرية انتقال العدوى المقتنعين. ووجد أمامه المجلس العام للصحة من ناحية، ومقره القاهرة، محاربا لنظرية العدوى^(٤١)، ومن الناحية الأخرى، الهيئة الصحية فى الإسكندرية المقسمة فى داخلها بين إنجلترا "البعيدة" المناوئة لنظرية العدوى والدول الأخرى المرتبطة بنظرية العدوى. وأمر عندئذ باحترام إجراءات الحجر الصحى والعزل الأرضى دون أن يهمل مع ذلك الإجراءات الصحية التى ينصح بها المسئولون عن الصحة ومكافحة العدوى.

وعلى الرغم من هذا فإن مواقفه المستمرة أغضبت كل الممثلين الدبلوماسيين الأوروبين الذين كانوا يهدفون فى النهاية لفرض وصياتهم على "النظام الدفاعى" المصرى وكذلك على نظام كل البحر المتوسط الإسلامى.

وبالتالى فإن موقف محمد على يبدو غالبا معزولا عن السياق الداخلى، وكذلك عن السياق الدولى. وتصل ذروة هذه العزلة فى مناسبة تأميم الهيئة الصحية فى الإسكندرية، الذى تم فى ١٨٣٩. وهى حالة فريدة من نوعها فى إفريقيا الشمالية.

المحفز الطبيعى

فى لعبة القوى المتعارضة والمعقدة هذه، سواء على الصعيد الداخلى أو الدولى، سواء أكانت ذات طابع بشرى أم طبيعى، هناك دور بارز يلعبه بالتأكيد مرض وبائى رهيب: الكوليرا. ومن المفارقات أن اجتياحاته المتكررة فى البحر المتوسط بداية العشرينيات والثلاثينيات من القرن التاسع عشر أصبحت عناصر دافعة لعمل محمد على، وخليفته والحكام الآخرين فى إفريقيا الشمالية. وبالفعل أثار التوحيد الميكروبي لكل حوض البحر المتوسط، والخوف المشترك من موت رهيب سلسلة من ردود الفعل المتسلسلة، مليئة بالانعكاسات الداخلية والخارجية. وقد استعاد المناهضون لنظرية العدوى - الذين كانوا فى أزمة بين القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر - مصداقيتهم فى الغرب كما فى الشرق التركى بصفة خاصة، بحثا عن أشكال من الحماية الشخصية بصورة أوضح دائما أو ساندوا علانية الإجراءات الصحية المفروضة. وبهذه الطريقة، يصبح عمل الحكام دائما أقل عزلة فى كل موجة من الكوليرا (١٨٣١ و ١٨٥٦ و ١٨٦٥...) وبالتالى يمكن أن نؤكد أن ردود الفعل المجدد الذى نتج عن هذا المرض الرهيب كان على جانب من الأهمية حقا. وقد انطوى بالفعل على تغيير فى الاستسلام الشعبى التقليدى، كان بالتأكيد أكثر حسما من التغيير الذى أحدثه عمل الإنسان^(٤٢).

عملية التحديث

إذا أردنا أن نحيط بكل ما أشرنا إليه حتى الآن فى رؤية شاملة فإننا يمكن

أن نؤكد أنه على الرغم من وجود العديد من القوى المتعارضة، فإن مخطط إعادة تنظيم التدريس الطبي والصحي القائم على استيراد المعارف والتقنيات من أوروبا حقق نتائج قيمة ودائمة. وفي منتصف القرن التاسع عشر أمكن لمصر فقط، من بين الدول التي كانت جزءا من الإمبراطورية العثمانية، أن تفخر بخدمة صحية من النوع القومي^(٤٣)، بأطباء محليين وهيئات صحية عاملة وببيروقراطية صحية عاملة^(٤٤). خدمة صحية من النوع الحديث تنتج ثمارها الملموسة في النصف الثاني من القرن، لتخلق أسس نهضة سكانية في البلاد^(٤٥). ولم تكن العملية التي وصلنا من خلالها لهذه النتيجة عملية تسير في خط مستقيم. فقد تأثرت بسلسلة من القيود الخارجية والداخلية التي رسمت نوعا من التحديث لا يمكن إرجاعه لتصور تطوري^(٤٦). وتظهر العملية كسلسلة من الهزات الموجهة للاستخدامات الراسخة والعلاقات بين الأشخاص والرؤية التقليدية للمرض، وبالتالي للحياة والموت.

ويبدو التحديث الطبي - الصحي، علاوة على ذلك، كعملية لا يمكن التفاوض عليها؛ فالإجبار والاستبداد وعسكرة الدفاع الصحي وممارسة التطعيم تبدو بالفعل الأدوات المناسبة لوضع بداية لهذا الطريق المصري للصحة، ولهذا التحديث على مراحل قهرية كما أراد محمد علي. سلسلة من الصدمات يتم بعد ذلك علاجها ببطء من جانب كل الأطراف المشتركة، شاءوا ذلك أم أبوا، في المرحلة الأولى من العملية. تحديث يتحقق أيضا في حكومة تونس وطرابلس والمغرب، ولكن بمستوى أقل بالتأكيد.

هوامش

(١) مشروع البحث للدكتوراه في

“Studi su Vicino Oriente e Maghreb dall'avvento dell'Islam all'età contemporanea”: Sanità, popolazione e società nella Tunisia husaynita (XVIII-XX secolo)

المعهد الجامعي الشرقي في نابولي، الدورة السابقة، بتنسيق من البروفيسير چوقاني أومان وإدارة البروفيسير فينتشنتو سترىكا. وقد أعقبت عمل البحث سلسلة من المنشوران من بينها:

سيبتيوالي سلفاتوري،

Altre la peste. Sanità, popolazione e società in Tunisia e nel Maghreb (XVIII-XX secolo)

، كوزنتا، بيليجريني، ١٩٩٧، ص ٥٧٦.

(٢) مشروع بحث بعد دكتوراه في

“Storia della dottrine politiche e delle relazioni internazionali”:
“Colonialismo e sanità nell'Africa settentrionale”

جامعة الدراسات في فلورنسا، كلية العلوم السياسية، قسم الدراسات الخاصة بالدولة، بتنسيق من البروفيسير إنيو دي نولفو وإدارة البروفيسيرة مارتا بتريتشولي.

(٣) أذكر فقط بعض أبرز المؤلفين: بيرابين جان نويل،

Les hommes et la peste en France et dans les pays européens et méditerranées

، كتابان، الكتاب الأول، La peste dans l'histoire، الكتاب الثاني Les hommes et la peste nella storia، باريس - لا هي: موتون، ١٩٧٥؛ ماكنيل ويليام هاردي؛ Plagues and Peoples، جاردن سيتي، نيويورك، مطبعة انكور، ١٩٧٦) لوئين، بيترز، ١٩٨٥، ص ٦٥٩؛ بانزاك

دانييل، (1750-1850) *La peste dans l'Empire Ottoman*، لوفين، بيترز، ١٩٨٥،
ص ٦٥٩؛ بانزاك دانييل، *Quarantaines et lazarets. L'Europe et la peste*،
(XVIIe-Xxe siècle) *d'Orient*، ايزان بروقتس، إديسودو ١٩٨٦، ص ٢١٩؛
رستيفو جوزيبي: *Peste al confine. L'epidemia di Messina del 1743*، باليرمو،
EPOS، ١٩٨٤، ص ٢٢٣؛ رستيفو جوزيبي *Le ultime piaghe. Le pesti nel*
Mediterraneo (1720-1820)، ميلانو، سيليني، ١٩٩٤، ص ٣١٦

(٤) علاوة على أعمال دانييل بانزاك، اقتصر على ذكر بعض الأعمال مثل: *La peste*
Population et santé dans l'Empire Ottoman (XVIIIe-Xxe siècles)
نشر بعضها في: *Population et santé dans l'Empire Ottoman (XVIIIe-Xxe siècles)*

اسطنبول، طبقات ايزيس، ١٩٩٦، ص ٢١٣؛ شيفولو سيلفيا،

Médecine et médecins en Egypte. Construction d'une identité
professionnelle et projet médicale

باريس، لارماتان، ١٩٩٧، ص ٣٣٤. لاثيرن كونكه،

Lives at Risk. Public Health in Nineteenth-Century-Egypt

بيركلي- لوس أنجلوس- أكسفورد، مطبعة جامعة كاليفورنيا، ١٩٩٠، ص ٢٣٣؛
چاچيو سيرج،

La médicalisation de l'Egypte au XIXe siècle (1798-1918)

باريس، كورليه، ١٩٨٦، ص ٢٤٣ ح كالاچار نانسي إليزابيث،

Egypt's other Wars. Epidemics and the Politics of Public Health

سيراكوز (نيويورك)، مطبعة جامعة سيراكوز، ١٩٩٠، ص ١٣، ٢٣٤.

(٥) وسط النقاش الحالي جدا حول عمليات التحديث وبالتالي حول العلاقة بين التقليد
والتحديث أو بين الاستمرارية والتغيير في أفريقيا الشمالية، هناك مقالان لـ مايكل
بريت:

“Modernisation in 19th Century North Africa”, *The Maghreb Review*

العدد السابع، ١-٢، ١٩٨٢، ص ١٦-٢٢ و

“Continuity and Change: Egypt and North Africa in the Nineteenth
Century”, *Journal of Africa History*

١٩٦٨، ٢٧، ص ١٤٩-١٦٢. وفيما يتعلق بمصر قبل وبعد عمل محمد علي، اقرأ:
رايموند أندريه

“Ali Bey le Grand et le premier éveil de l’Afrique moderne”

في AA. VV., Les Africains ، باريس، طبعة ج.أ.، ١٩٧٧، العدد الثاني، ص ١٣-٤٢ و كيني لورن،

“The Khedive Ismail’s Dream of Civilization and Progress”, The Muslim World

، ١٩٦٥، ٥٥، ٢، ص ١٤٢-١٥٥ و ٥٥، ٣، ص ٢١١-٢٢١؛ عبد الملك أ.

“The Renaissance of Egypt, 1805-1881

، ص ٣٢٤-٣٥٥ في AA. VV. General History of Africa المجلد السادس،

Africa in the Nineteenth Century until the 1880’s

دار نشر آدي أجاى ج.ف. مطبعة جامعة كاليفورنيا- هاينمان إنترناشيونال- يونسكو، ١٩٨٩.

(٦) بانزاك دانييل، La peste..، المذكور، ص ١٠٥-١٣٣

(٧) حول هذا الموضوع، اقرأ: داروين ل. بالمر،

“La peste e altre infezioni da Yersina”

في AA. VV., Harrison. Principi di medicina interna

، الطبعة ١٢، نيويورك، شركة ماك جرو هيل، ١٩٩٢، المجلد الأول، ص ٨٥٣-٨٥٦؛ سبيتسيالي سلفاتورى، Oltre la peste..، المذكور، الجزء الأول، الفصل الأول:

Epidemie e medicina. La sguardo dell’uomo di oggi.

(٨) بانزاك يصف الإسكندرية أثناء القرن الثامن عشر بأنها "مركز توزيع كبير لاستقبال وتوزيع الطاعون"؛ بانزاك دانييل،

Alexandrie: Peste et croissance urbaine (XVIIe-XIXe siècles)”

في AA. VV. Alexandrie entre deux mondes ، ROMM ، ٦٦، ١٩٨٧، ص ٤٨

(٩) في حكايات الرحالة الأوروبيين، وفي تقارير القناصل، وفي العديد من المناقشات الطبية والعديد من الشهادات العربية، مثل الوقائع التونسية للمقداحي، يشار إلى الشرق ومصر بوضوح لمصدرين للأوبئة.

(١٠) كما اتضح على نطاق واسع في بانزاك دانييل،

“Alexandrie: Peste et croissance urbaine..”

، المذكور، و

“Alexandrie: évolution d’une ville cosmopolite au XIXe siècle”, Annales Islamologiques

، العدد ١٤، ١٩٧٨، ص ١٩٥-٢١٦.

(١١) من بين آخر المؤلفين الذين توقفوا عند هذا الموضوع أنظر:

مارتينيللي ألبرتو، La modernizzazione، بارى، لا ترستا، ١٩٩٨ ص ١٢، ١١٧.

(١٢) بانزاك دانييل،

“Les bases démographiques de l’affrontement turco-égyptien de 1830-1840

أعمال النقاش

Economie et Société dans l’Empire Ottoman (fin du XVIIIe – début du Xxe siècle)

، ١٩٩٤، ص ٢١٩-٢٣٤

(١٣) مدرسة الطب التي ولد فيها المهنيون الجدد في مجال الصحة نشأت في ١٨٢٧. والدورات الدراسية مدتها خمس سنوات: سنة تمهيدية وأربع سنوات من الطب بالفعل طبقاً لمنهج الدراسة الموجود في فرنسا (في الأساس علم التشريح والأمراض والطب العام). والمدرسون إيطاليون وفرنسيون ويتحدثون بلغتهم التت يقوم بترجمتها فوراً مترجم. ولتسهيل التعلم تتخذ طريقة لانكستر في التقسيم لمجموعات وإعادة المستمرة. راجع لافيرن كونكه، المرجع المذكور، ص ٣٣-٣٥.

(١٤) مدرسة “الحكيماط”، الطبييات، في مقابل “الدايات”، الدايات الشعبية، نشأت في ١٨٣٢. والدورة الدراسية تنص بداية على عامين من دراسة اللغة العربية و أربع سنوات من الطب. وتدرس بصفة خاصة أمراض النساء، والصحة وتقنيات علاج الجروح، وممارسة التطعيمات إلخ. لافيرن كونكه، المرجع المذكور، ص ١٢٢-١٣٣؛ بانزاك دانييل،

“Médecine révolutionnaire et révolution de la médecine dans l’Egypte de Mohammed Ali: Le Dr. Clot-bey

أعمال النقاش Les Arabes, les Turcs et la révolution française, ROMM

، ١٩٨٩، ص ١٠٥-١٠٦.

(١٥) على سبيل المثال: المستشفى العسكري العام والمستشفى البحري في الإسكندرية،

المستشفيات المدنية في القاهرة ورشيد ودمياط والسويس، وشبكة المستشفيات الصغيرة الريفية والمحاجر الصحية في الإسكندرية ودمياط ورشيد والقصير وشبرا.

(١٦) على سبيل المثال، المجلس العام للصحة، الذي أنشأ بناء على طلب من كلوت بك في السنوات الأولى من وصوله إلى القاهرة، والهيئة الصحية في الإسكندرية، التي نشأت في ١٨٣١ وهي مكونة من القناصل الأوروبيين. خمسة منهم يؤلفون اللجنة القنصلية للصحة. ADBR. 200E/467، خطابات القنصل الفرنسي في الإسكندرية للمسؤولين عن الصحة في مرسيلا.

(١٧) التطعيم أدخل منذ عام ١٨١٩ برغبة من محمد علي. وبداية من ١٨٢٧، يقوم كلوت بك بتطعيم الموظفين المدنيين والعسكريين وعائلاتهم؛ ثم المواليد الجدد في المدن الكبرى وبداية من ١٨٣٠، المواليد في الريف. وتقدم تفسيراً لعلماء الدين للحصول على مساندهم ويعبأ الحلاقون. وفي النهاية يصبح التطعيم إجبارياً لكل السكان من ١٨٤٦، بانزاك دانييل، "Médicine révolutionnaire.." المذكور، ص ١٠٥

(١٨) حول البرنامج العام للإصلاحات الذي بدأه الباي أحمد في حكم تونس أقرأ كارل ليون،
The Tunisia of Ahmed Bey (1837-1855)

، برنستون، مطبعة جامعة برنستون، ١٩٧٤، ص ٤٠٩. بالنسبة للجوانب الصحية:
جالاجير نانسي إليزابيث،

Medicine and Power in Tunisia (1780-1900)

، كامبيردج، مطبعة جامعة كامبيرج، ١٩٨٣، ص ص ١٢-٥ وسبييتسيالى
سلقأتوري، Olter la peste..، المذكور.

وحول الغرب: رينو لوسيان

Etudes sur l'hygiène et la Médecine au Maroc, suivie d'une notice sur la climatologie des principales villes de l'Empire

، الجزائر، مطبعة س. ليون، ١٩٠٢، ص ٢٠٤؛ موسى دريس ورو ديسبس ميشيل
(تحت إدارة)،

Histoire de la médecine au Maroc et dans les pays Arabes et musulmans

، الدار البيضاء، مطبعة ماچه الجديدة، ١٩٩٥، ص ١١٢؛ أخميس مصطفى،

Médecine sans médecins ou, médecine traditionnelle médecine de toujours

الدار البيضاء، بينيميد، ١٩٨٣، ص ٢٩٤.

(١٩) الإقليم خاضع للنظام القضائي للمجلس الصحي في القسطنطينية الذي أنشئ في

١٨٣٨. وقد وضعت اللائحة الصحية للإمبراطورية في ١٨٣٩. وحول صحة هذا الإقليم قبل الغزو الإيطالي لا توجد بعد خلاصة ذات طابع علمي.

(٢٠) من بين الأعمال العديدة جدا عن الصحة في الجزائر، نشير إلى : رينو لوسيان، سولييه هنري، بيكار بول،

Hygiène et pathologie nord-africaines. Assistance médicale

في Collection centenaire de l'Algérie، كتابان، باريس، ماسون وسي، ١٩٣٢، الكتاب الأول، ص ٥٥٠، الكتاب الثاني، ص ٦١٣؛ تورين إيفون،

Affrontements culturels dans l'Algérie coloniale: Ecoles, médecines, religion (1830-1880)

باريس، ف. ماسبيرو، ١٩٧١.

(٢١) بالنسبة لنظام التعليم أنظر مولان آن- ماري،

"L'enseignement médical de Clot-Bey: l'esprit et la lettre de la modernité"

ص ١٣-١٦، في

AA. VV. Médecine et modernité en terres d'Islam

إعداد مولان آن- ماري وكوتوبي لورنس، باريس، CNRS، ١٩٩٩ (المكتوب على الآلة الكاتبة في طريقه للنشر وتفضلت المؤلفه بالإبلاغ عنه)؛ لافيرن كونكه، المرجع المذكور؛ ص ٣٣-٤٨.

(٢٢) مولان ين- ماري، "L'enseignement médical.."، المذكور، ص ١٧: كانت الأعمال المكتوبة بالعربية ترسم بناء على العنوان الفرنسي وكانت تقترح عناوين في جزئين مع البحث عن القافية والتناغم الصوتي لتسهيل الحفظ وخلق تأثير جمالي. وكان هذا يتضمن مقدمة كانت بمثابة دعوة لله مع تذكير بأنه سيد الكون، ومتضمنة أيضا تلميحات لدور الدولة المنعمة.

(٢٣) هذا يتحقق في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، بعد حكم محمد علي.

(٢٤) هؤلاء مسئولون من الصحة وليسوا أطباء حيث أن المدرسة الطبية في القاهرة لا تصدر هذه الشهادة. وبعض الطلبة يرسلون إلى فرنسا لاستكمال الدراسة والحصول على الدكتوراه ثم العودة إلى مصر كأطباء.

(٢٥) المسئولون من الصحة والأطباء الذين يتأهلون في مصر يحاولون الاقتراب من الناس بتجاوز الأطباء العشوائيين والتشكيك فيهم. بالنسبة لنشاط التجديد الذي قام به أهم الأطباء أنظر شيفولو سيلفيا، المرجع المذكور، ص ١٢٣-١٢٦. والكفاح ضد

الطب التقليدي والممارسات الصحية التقليدية هو كفاح لم يتم الانتصار فيه بصورة نهائية. بالنسبة لعالم الفلاح في مواجهة الطب الجديد أنظر شيفولو سيلفيا، المرجع المذكور، ص ١٥٧ والصفحات التالية.

(٢٦) بالنسبة للحديث عن العلاقة مع الماضي الطبى فى العصور الوسطى أنظر شيفولو سيلفيا، المرجع المذكور، ص ١٣١ والصفحات التالية، الفقرة التى عنوانها

“Restitution d’une généalogie”

(٢٧) ريسبلر هاييم ف.

Islamic Medical Ethics in the Twentieth Century

، لايدن، بريل، ١٩٩٣، ص ١٥٢؛ شيفولو سيلفيا، المرجع المذكور.

(٢٨) مثال مصر سيتم استغلاله فيما بعد فى بلدان أخرى. أقرأ على سبيل المثال: دينجويلى بشير، La variole en Tunisie، بوردو، ي. كاردونيه، ١٨٩٧، ص ٦٣.

(٢٩) بانزاك دانييل، “Médicine révolutionnaire..” المذكور، ص ص ١٠٢ - ١٠٣. كلوت بك يلجأ لمساندة بعض علماء الدين المصلحية؛ مولان آن - ماري، “L’enseignement médical..” المذكور، ص ٣، شيفولو سيلفيا، المرجع المذكور، ص ١١٦.

(٣٠) يجب أن نوضح أن الجثث تقدم فى هذه الفترة على أنها جثث سود وأوروبيين أو يهود. بانزاك دانييل، “Médicine révolutionnaire..” المذكور، ص ٩٧.

(٣١) مولان آن - ماري، “L’enseignement médical..” المذكور، ص ٩.

(٣٢) هذا يحدث فى مصر فى الثلاثينيات بناء على دعوة من كلوت بك والملك (لاثيرن كونكه، المرجع المذكور، ص ١١٥)؛ وفى تونس على العكس من ذلك نحو نهاية القرن التاسع عشر بناء على دعوة الدكتور دينجويلى والسلطات الصحية للمحمية الفرنسية؛ راجع دينجويلى بشير، المرجع المذكور.

(٣٣) كان البعض يخشى من أن تكون العلامة التى يتركها التطعيم على الذراع علامة تمييز للتجنيد الإجبارى بعد ذلك، مثل الدفعة المرسومة كوشم على ذراع البحارة لتجنب التهرب من الخدمة العسكرية. وقد سمي أيضا “وشم الجدرى” لتشابهه مع الوشم؛ لافيرن كونكه، المرجع المذكور، ص ١١٦. وقد بدأت المخاوف تتبدد فى اللحظة التى أجبر فيها محمد على حل الجيش فى ١٨٤١. ولكن هذا لا يعنى أن كل السكان قبلوا التطعيم خلال القرن التاسع عشر. وقد تعرض التطعيم علاوة على ذلك لمنافسة قوية من التلقيح التقليدى. “وربما ظهرت فى نفوس المصريين، كما حدث عند المسلمين الجزائريين، مقارنة بين هذا الجدرى الإلهى، كهبة إلهية لمرض حميد بصورة تلقائية ويمكن تشبيهه بالبركة وجدرى الحكومة المتمثل فى عدد المضايقات الإدارية

والإجراءات الاستبدادية التي تؤدي إلى عدم التفاهم، والقلق والثورة". مولان آن-ماري، "L'enseignement médical." المذكور، ص ١٠.

(٣٤) وقد حث محمد علي علي هذا مباشرة وحصل عليه. وقد انتشرت مساندة علماء الدين في هذه القضية الحساسة في العديد من الأعمال باللغة العربية التي ترجمت بعد ذلك إلى الفرنسية. على سبيل المثال: كمال محمد بن مصطفى بل الخوجة

La médecine et le quarantaines dans leurs rapports avec la loi musulmane (Tanouir Et Adlen) ، (ترجمة فرنسية)، الجزائر، المطبعة الشرقية، ١٨٩٦، ص ٣٦

(٣٥) حول هذه الموضوعات توجد قائمة مراجع هائلة للغاية. راجع أعمال وقوائم مراجع جون- N. بيرابين، دانييل بانزاك، جون- شارل سورنيا، چاك روفيه، جوزيبي رستيفو، باولو بريتو، فرانكو ديلا بيروتا، إلخ.

(٣٦) مارتينيللي ألبرتو، المرجع المذكور، ص ١٢-١٣، ٩٣، ١٠٩.

(٣٧) بانزاك دانييل،

"Pratiques anciennes et maladies nouvelles: la difficile adaptation de la politique sanitaire au XIXe siècle", Bulletin et Mémoires de la Société a' Anthropologie de Paris,

عدد خاص، العدد العاشر، ١-٢، ١٩٩٨، ص ٥٣-٦٦.

(٣٨) يرى المناهضون لنظرية العدوى أن أي وباء يمكن ينتج على سبيل المثال من تغييرات في درجة الحرارة أو الرطوبة في مناطق مليئة بالمستنقعات أو غير صحية في تزامن أيضا مع ثورات بركانية أو زلزال أو مرور مذنبات. ويمكن للرياح أن تنقل في أعقاب ذلك "البخار العفن" الناتج إلى مناطق بعيدة للغاية.

(٣٩) مع الملاحة بالبخار أصبحت الرحلة من الإسكندرية إلى مرسيليا تستغرق الآن ستة أيام بعد أن كانت تستغرق قبل ذلك من ١٥ إلى ٣٠ يوما. ولا تتجاوز أي رحلة في البحر المتوسط الأسبوع. بانزاك دانييل،

Quarantaines et lazarets. L'Europe et la peste d'Orient (XVIIe-Xxe siècle)

، آيز أن بروقانس، إديسود، ١٩٨٦، ص ١٠٩. وهذا يؤدي إلى نهاية الحجر الصحي الطبيعي الذي كان يتم في السفن.

(٤٠) شيفولو سيلفيا، المرجع المذكور، ص ٢٥

(٤١) يجب أن نوضح أن التعليم الذي أراده كلوت بك في مصر يقوم على وحدة المذهب. أي لتجنب الصدام في الرأي والفوضى في التفسير، كان يدرس للأطباء القادمين فقط

مذهب علم وظائف الأعضاء عند بروسيه. بانزاك دانييل، " Médecine révolutionnaire.. " المذكور ص ١٠٢؛ مولان آن-ماري، " L'enseignement médical.. " المذكور، ص ١٦. ولهذا فإن المجلس الصحى العام فى القاهرة، المكون من أطباء مصريين من المناهضين لنظرية العدوى فى حين أن الهيئة الصحية فى الإسكندرية، المؤلفة من أوروبيين، منقسمة بين أنصار نظرية العدوى والمناهضين لها.

(٤٢) سبييتسالى سلفاتورى، Oltre la peste...، المذكور. أنظر الجزء الثانى بشأن العلاقات الاجتماعية.

(٤٣) بانزاك دانييل، La peste..، المذكور، ص ٤٧٥

(٤٤) أحد الجوانب الأساسية فى عمليات التحديث، والذى تحقق أيضا فى الحالة المصرية أثناء حكم محمد على، هو بالتأكيد السيطرة على الكيان العدى وتكوين السكان من خلال إجراء التعداد وإصدار نشرات عن الوفيات والمواليد والتطعيم. وهى إجراءات تجرى فى مصر قبل المغرب. أنظر ADBR. 200 E/467 خطابات السفراء والقناصل والممثلين الفرنسيين والإدارات الصحية الخارجية: القرن ١٧-١٩. مصر ١٦٩٧-١٨٥٠. ويتضمن الصندوق الأخبار والبيانات المتعلقة بأوبئة الطاعون والكوليرا المسجلة من ١٨٣١ فصاعدا.

(٤٥) أسس الزيادة السكانية تتكون فى الأربعينيات والسبعينيات من القرن التاسع عشر فى أعقاب اختفاء الطاعون ونجاح انتشار التطعيم. بانزاك دانييل، Endémies, AA. VV. L'Egypte au XIXe siècle epidémies et population en Egypte au XIXe siècle au XIXe siècle، باريس، طبقات الـ C.N.R.S.، ١٩٨٢، ص ١٠٠. أنظر علاوة على ذلك لنفس المؤلف: Les bases démographiques.. المذكور؛ The Population of Egypt in the Nineteenth Century, Asian and African Studies ٢١، ١٩٨٧، ص ١١-٣٢؛ La transition démographique en Egypte: Une transition en palier (1800-1986) Cahiers de la Méditerranée، dans les pays méditerranéens، U L'ancien régime، ٤٠، يونيو ١٩٨٠، ص ٦٥-٩٤؛ La transition démographique au Machrek, XVIIIe-XIXe siècles، démographique historique en Tunisie et dans le monde Arabe (تونس)، ١٥-١٦ نوفمبر ١٩٩١)، تونس، إنتاج تشيريس، ١٩٩٣، ص ٨٣-٩٤. وهذه الزيادة هى من العوامل الأساسية للمرحلة الأولى من عمليات التحديث. والمرحلة الثانية يمكن أن يشار إليها فى ممارسات احتواء الزيادة السكانية للمجتمعات النامية، والمتحضر والهجرة إلخ. مارتينيللى ألبرتو، المرجع المذكور، ص ١٢

(٤٦) التصور التطوري للنظرية الكلاسيكية في التحديث تعتبر التحديث عملية تسير في خط واحد ولا رجعة فيه، يتجه لعبور مراحل محددة سلفا، عبرتها المجتمعات الحديثة. وبهذه الطريقة تهمل المقاطعات (أيزنشتادت، ١٩٩٦) وحالات التوقف (ريجز، ١٩٦٤)، والطابع غير المتساوي، وغير المستمر والمضطرب بشدة في تغير المجتمعات النامية (سميلسر، ١٩٦٨٩، والانحدار السياسي (هنتينجتون، ١٩٦٥).
مارتينيلى ألبرتو، المرجع المذكور، ص ٧٧. أنظر أيضا كوري رالف م.، Neo-Modernization Theory and its Search for Enemies: the Role of the Arabs and Islam, Islamic Studies ، ١٩٩٦، المجلد ٣٥، ٤، ص ٤٤٩ - ٤٥٨. جيفري س. ألكساندر، Modern, Anti, Post & Neo, New Left Review، ٢١٠، مارس-أبريل، ١٩٩٥، ص ٦٣ - ١٠١

لمحات عن أصول القضية المصرية

برونو ألييتي

١- يمكن إرجاع أصول القضية المصرية لحملة نابليون. فكان بالفعل في أعقاب إنزال القوات الفرنسية في وادي النيل (يوليو ١٧٩٨) أن أصبحت الأرض المصرية ميدانا للمنافسات الإنجليزية - الفرنسية وانتقلت فجأة إلى بؤرة الاهتمام الأوروبي.

وفيما بعد، مع شق قناة السويس (١٨٦٩) التي زادت بصورة حاسمة من الأهمية السياسية لمصر، أصبح الاهتمام الأوروبي بهذا البلد أكثر وضوحا. وقد وجد الصراع الدبلوماسي الفرنسي - البريطاني للسيطرة السياسية على وادي النيل في البداية حله المؤقت في تسوية، بفضل تكرين نظام مشترك للسيطرة عرف بفترة «السيادة المشتركة» (١٨٧٦ - ١٨٨٢) وانتهت بالتالي بالاحتلال العسكري من جانب بريطانيا.

وكانت الحملة الفرنسية في ١٧٩٨ قد صممت ونفذت لهدف محدد وهو إلحاق هزيمة منكرة بإنجلترا في الشرق وفتح الطريق لغزو الممتلكات البريطانية في الهند.

ولكن إنجلترا كانت يقظة. وكان شهر قد انقضى بالكاد على نزول الحملة الفرنسية في مصر عندما نجح تشكيل بحري كبير بقيادة الأدميرال نلسون في العثور على كل الفرقة البحرية الفرنسية التي كانت قد نقلت الحملة ودمرتها بالكامل في معركة حامية (أبو قير، أغسطس ١٧٩٨). ومنذ تلك اللحظة بدأ حصار بحري حقيقي ضد القوات الفرنسية التي كانت تعمل في مصر.

وفي ١١ من سبتمبر التالي، أعلن سلطان القسطنطينية الحرب على فرنسا، وبعد ذلك بقليل أبرم تحالفا مع روسيا (٢٣ ديسمبر ١٧٩٨). وبموجب هذا التحالف، منح السلطان القيصر الحق في مرور السفن الحربية عبر مضيق البوسفور والدردنيل، وحصل في مقابل ذلك على اثنتي عشرة سفينة حربية. وفي ٢ يناير ١٧٩٩ أبرم اتفاق إنجليزي - عثماني استكمل بعد ذلك بثلاثة أيام بمعاهدة سرية، تضمن بموجبه القوتان مناطق السيطرة الخاصة بكل منهما.

وطوال بقاء نابليون في مصر واجهت الحملة الفرنسية بنجاح كل المصاعب على الرغم من أنها كانت مضغوطة من جميع الجوانب. ولكن حملة سوريا في النصف الأول من ١٧٩٩، والتي انتهت بعدم اقتحام قلعة سان جوفاني داكري، والخسائر الجسيمة التي تعرضت لها الحملة الفرنسية كانت بمثابة الغروب النهائي لأحلام نابليون في التوسع في الشرق. وبعد ذلك بسنوات طويلة، في سانت هيلانة، ذكر نابليون الإنجليزي سيدني سميث، الذي أحيا نظم الدفاع العثماني لسان جوفاني داكري، وكتب بمرارة مستسلما: هذا الرجل ضيع على حظي^(١).

وبعد عودة نابليون إلى فرنسا، نجحت الحملة الفرنسية في الاحتفاظ بمواقعها تحت قيادة الجنرال الماهر كليبر، على الرغم من أنها كانت منهكة وتعرضت لخسائر كبيرة. ولكن عندما اختفى هذا الأخير أيضا عن الساحة، بعد أن سقط تحت خنجر شاب مسلم، أصبح موقف القوات الفرنسية يائسا^(٢).

ولم يواجه الجنرال مينو الذي انتقلت إليه قيادة القوات الفرنسية الباقية بالخبرة والقوة اللازمة حشد قوات عثمانية كبيرة في سوريا والإنزال الناجح لما يقرب من عشرين جنديا بريطانيا في شبه جزيرة أبو قير وثمانية آلاف هندي في القصير على البحر الأحمر، فبدلا من تركيز كل القوات المتاحة ضد القوات التي أنزلت في أبو قير، والتي كانت تمثل التهديد الأخطر، لكي يحاول طردها من جديد نحو البحر لكي يتجنب بعد ذلك التهديد القادم من القصير وسوريا، ارتكب مينو بالفعل، خطأ تفتيت قواته إلى حاميات صغيرة وسهل بهذه الطريقة إبادة إبادتها

التدرجية. وقد استطاعت القوات البريطانية والعثمانية تعزيز مواقعها وبالتالي مواجهة القوات الفرنسية بانتصار بعد أن أنهكت وانهارت معنوياتها، في معركة كانوبو (أبو قير) (٢١ مارس ١٨٠١).

وقد تدهورت الأحداث منذ تلك اللحظة. ففي يونيو من العام نفسه استسلمت الحامية الفرنسية في القاهرة، بقيادة الجنرال بليارد، وفي ٣٠ أغسطس التالي قبل مينو بالاستسلام بعد أن حوصر في حصون الإسكندرية بعد أن حصل من الإنجليز على وعد بإعادة قواته الفرنسية الباقية إلى الوطن.

وفي ٩ أكتوبر، وقعت فرنسا على الإجراءات التمهيدية للسلام مع السلطان. وقد ضمنّت المعاهدة النهائية، الموقعة في ٢٦ يونيو ١٨٠٢، سلامة الإمبراطورية العثمانية واعترفت بسيادة الباب العالي على مصر.

وبعد استسلام مينو، سحبت القوات البريطانية جزئياً من مصر، بعد أن استدعت للاحتياج إليها للحرب في مناطق أخرى. ولكن القوات الباقية، التي كان يتعين عليها الرحيل عن مصر طبقاً لسلام أمينز المبرم مع فرنسا في ٢٥ مارس ١٨٠٢، بعد ثلاثة أشهر من إبرام السلام نفسه، أعيدت إلى الوطن فقط في مارس ١٨٠٣، أو عشية قطع الهدنة الفرنسية - البريطانية، في أعقاب الاحتجاجات الشديدة لفرنسا.

وسرعان ما أصبحت مصر ساحة لمنافسات محلية جديدة بين أولئك الذين كانوا يطمحون للسلطة، بعد أن تركت لتواجه مصيرها بعد انسحاب الجيوش الأجنبية التي جاءت للاقتتال على أرضها. وقد تميز العامان ١٨٠٣، و ١٨٠٤ بصراعات عنيفة بين المماليك، وقوات السلطان والعناصر الألبانية التي أرسلتها الحكومة العثمانية إلى مصر أثناء الصراع ضد الفرنسيين. وأثناء هذه الصراعات تأكدت بسرعة سلطة الألباني محمد علي، عضو الحملة العثمانية، وبعد طرد الحاكم التركي محمد خسرو باشا وهزيمة المماليك نجح محمد علي في تعيين نفسه باشا للقاهرة في مايو ١٨٠٥، من قبل مجلس العلماء والقضاة. وقد صدق الباب العالي على التعيين في ٢٤ يوليو ١٨٠٥.

وفى بداية ١٨٠٧، عند اندلاع الحرب بين روسيا والباب العالي، اتخذت إنجلترا، بموجب التحالف القائم، إجراءات لتقديم المساعدة لروسيا والدفاع عن الشرق الأدنى من عمليات فرنسية أخرى. وفى ٩ فبراير ١٨٠٧ دمر أسطول عثمانى عمليا فى معركة بحرية مع القوات الإنجليزية ولم تتجح بعض المفاوضات التى بدأت على الفور بعد إبرام السلام بفضل العمل الماهر الذى مارسه على السلطان الممثل الدبلوماسى الفرنسى فى إسطنبول، سيباستيانى.

وعندئذ قامت إنجلترا بإنزال قوة من ستة آلاف رجل فى الإسكندرية (١٦ مارس ١٨٠٧) بهدف تجنب أية مبادرات فرنسية. وقد احتلت المدينة دون إطلاق طلقة واحدة بينما كان محمد على مشغولا فى عمليات حربية فى صعيد مصر. ولكن المحاولات الإنجليزية التالية لمد نطاق الاحتلال لاقت نجاحا أقل. وفى ٣١ مارس و ٢١ أبريل ١٨٠٧، فى صدامين متتاليين مع القوات المصرية فى منطقة رشيد (غرب الإسكندرية) هزمت القوات الإنجليزية وأجبرت بعد الهزيمة الثانية والحاسمة، على الانسحاب إلى الإسكندرية. وقد دفع نقص التعزيزات المناسبة والمصاعب الخطيرة فى الإمدادات الجنرال فريزر، قائد الحملة الإنجليزية للبدء فى مفاوضات مع محمد على. وقد تمت فى سبتمبر بإبرام اتفاقية تنص على الجلاء التام للقوات البريطانية عن مدينة الإسكندرية.

وقد دعم إخفاق المحاولة الإنجليزية موقف باشا مصر وزاد من مكانته القنصل الفرنسى دروفيتى، الذى كان مستشارا بالغ النشاط لمحمد على طوال الأزمة.

وبعد القضاء على خطر الغزو الأجنبى، استطاع محمد على أن يكرس نفسه كلية للإصلاح الداخلى لمصر والقضاء على المقاومات الأخيرة لعمله. وفى الحقيقة كان لابد من خلق كل شىء حيث إنه لم يكن هناك أثر لإدارة منتظمة. وكان المماليك، الإقطاعيون المحليون الحقيقيون، قد فرضوا سلطتهم حتى ذلك الحين، فى كل البلاد وفرضوا ضرائب ومظالم أخرى على سكان مقاطعاتهم.

ولم يتردد محمد علي في مصادرة أراضي المماليك التي عهد بها للفلاحين بعد تقسيمها إلى قطع صغيرة. وكان من الطبيعي أن يصبح عداء الحكام المماليك تجاه محمد علي بعد هذه الإجراءات أشد قوة وعنادا. وقد قرر باشا مصر في الوقت نفسه التخلص نهائيا منهم، بعد بعض المحاولات للوصول إلى اتفاق دون جدوى مع كبار ممثليهم. وقد سددت لهم ضربة حاسمة في أغسطس ١٨١٠ في صدام الفيوم. وقد أביد القادة الباقون تماما في كمينين تالين نصبهما لهم محمد علي، على التوالي في مارس ١٨١١ في قلعة القاهرة^(٣)، وفي مايو ١٨١٢ في منطقة إسنا.

ولم تعترض العمل الإصلاحى لباشا مصر منذ ذلك الحين أية عقبات. وكانت إعادة تنظيم الجيش الواجب الذى كرس محمد علي له نفسه بعناية دقيقة حقا. وأنشئت المدارس الحربية وأعيد تنظيم كوادر الجيش وتوسيعها مع الاستعانة بضباط أجنبى، معظمهم من الفرنسيين. وكانت القوات المسلحة تضم ما يزيد على مائة ألف رجل بعد أن كان يمثلها فى ١٨٠٦ بضعة آلاف من الرجال المسلحين والمدربين بصورة سيئة. وقد بنيت البحرية العسكرية أيضا من جديد.

وكان هدف محمد علي واضحا. فقد كان ينوى خلق بناء حكومى متين ومتجانس وقادر على مواجهة أى تهديد من الداخل أو الخارج. ليس هذا فحسب، فربما كان باشا مصر ينوى، منذ ذلك الحين التمهيد لبناء دولة قوية فى وادى النيل يقدر لها فى مستقبل غير بعيد أن تحل محل الباب العالى العثمانى الذى كان يدرك انهياره السريع. ولكن العلاقات التركية المصرية، فى مرحلة أولى، كانت تتسم بوجد رسمى، وفى مرات عديدة قدم باشا مصر للسلطان مساعدته العسكرية الفعالة.

وقد قدمت أول مساعدة مهمة للباب العالى فى الصراع ضد الوهابيين الذين كانوا قد تمردوا فى الجزيرة العربية على سلطة القسطنطينية. وكان الصراع عنيفا وطويلا، وامتد مع حوادث متلاحقة لمدة سبع سنوات (١٨١١ - ١٨١٨)، ولكن التمرد أخمد فى النهاية. وقد أسر زعيم الوهابيين عبد الله، وسلم للسلطان الذى قطع

رأسه. وكمكافأة للمساعدة المقدمة، حصل محمد على على جزيرة تاسوس، الواقعة قبالة كافالا، مسقط رأسه.

وفي ١٨٢٠ بدأ باشا مصر حملة السودان بهدف إخضاع أقاليم أعالي النيل الغنية والشاسعة. وقد نفذت هذه الحملة أيضا وسط مصاعب كبيرة ترجع أساسا للظروف المناخية والخبرة الضئيلة بالأماكن. وقد سقط ابن محمد على نفسه، إسماعيل في ١٨٢٢ في منطقة شندي، ضحية كمين. وعلى الرغم من ذلك استؤنفت حملة السودان بأقصى طاقة واستطاع الاحتلال المصري الوصول حتى حدود الحبشة بعد الاستيلاء على أعالي النوبة وسنار وكردفان.

وفي ١٨٢٣ تدخل محمد على من جديد لمساعدة السلطان واحتل كريت، بعد أن أعاد للسكان المتمردين رشدهم. وفي العام التالي، قدم السلطان لباشا مصر، كمكافأة على المساعدات المقدمة، ولاية دمشق، التي كان يطمح إليها محمد على منذ زمن بعيد. ولكن المكائد التي حاكها في القسطنطينية خسرو باشا، الذي تولى بين يناير ١٨٠٢ ومارس ١٨٠٤ منصب باشا مصر واعترض بعناد على أول تصديق لمحمد على، دفعت السلطان لإلغاء العرض. ولكن بعد ذلك بقليل (يناير ١٨٢٤) كان السلطان مضطرا للعودة إلى طريق التنازلات وقدم لإبراهيم، الابن الأكبر لمحمد على والقائد الماهر للقوات المصرية^(٤) ولاية موريا للحصول على مساعدة القوات المصرية في قمع حركات التمرد التي انفجرت في اليونان. وفي العام التالي، بعد أن حققت قوات إبراهيم نجاحات مهمة، عين السلطان محمود، محمد على رئيسا لوزراء الإمبراطورية العثمانية وجدد له الوعد بولاية دمشق.

وفي ١٨٢٦ واصلت القوات المصرية بانتصار حملتها في موريا، وكان أهم حدث في ذلك العام هو الاستيلاء على ميسولونجي من قبل الجانب العثماني الذي وجه ضربة خطيرة للوطنيين اليونانيين (أبريل ١٨٢٦). ولكن طول أمد الحرب وسقوط أثينا (٥ يونيو ١٨٢٧) سرع بإبرام اتفاق بين فرنسا وإنجلترا وروسيا حول القضية اليونانية.

وقد وقعت القوات الثلاث بالفعل في ٦ يوليو ١٨٢٧ في لندن اتفاقية اعترفت فيها بضرورة إقرار السلام بين الباب العالي والوطنيين اليونانيين، على أساس تكوين مملكة اليونان التي تدفع الجزية للسلطان. وقد اتفق أيضا على إرسال فرقة بحرية إنجليزية - فرنسية - روسية إلى المياه اليونانية بهدف ممارسة الضغط على السلطان. وفي سبتمبر التالي دعت القوى الثلاث الجنرال إبراهيم الذي كان يقود عمليات موريا لوقف العمليات الحربية. وفي الوقت نفسه أرسلت الفرقة البحرية المختلطة للقوى الثلاث إلى مياه نافارينو، حيث كان قد تجمع معظم القوات البحرية التركية - المصرية. وقد أدى حادث وقع بين الأسطولين المتجاهين إلى معركة بحرية عنيفة انتهت بالتدمير الكامل للقوات التركية - المصرية (٢٠ أكتوبر ١٨٢٧).

وبينما قرر محمد علي، بعد هذه الحادثة التخلي عن حملة اليونان واتفق مع الإنجليز على انسحاب قواته، احتفظ الباب العالي بتشدده في قضية الاستقلال اليوناني، وكانت النتيجة أن أعقبت ذلك حرب روسية عثمانية انتهت في سبتمبر ١٨٢٩ بسلام أدريا نوبولي. الذي شهد انتصار موسكو. ومع بروتوكول لندن في ٣ فبراير ١٨٣٠، اعترفت القوى الكبرى باستقلال اليونان رسميا.

٢- وفي أغسطس ١٨٣٠ منح السلطان محمد علي حكم جزيرة كريت، كمكافأة على المساعدات التي تلقاها أثناء الحرب مع روسيا. وفي هذه المرة أيضا بقي الوعد بولاية دمشق حبرا على ورق. ولهذا السبب فإن محمد علي أعطى إشارة البدء في منتصف العام التالي تقريبا، لحملة سوريا، بذريعة ما، مستغلا الوضع الصعب الذي كان يمر به الباب العالي نتيجة لسلام أدريا نوبولي. وقد حملت العمليات العسكرية القوات المصرية إلى ما وراء سيناي. وفي ٨ نوفمبر تم الاستيلاء على يافا وبعد ذلك ببضعة أيام (٢٦ نوفمبر) حوصرت مدينة سان جوفاني داكري المحصنة، والتي كانت قد تحطمت عليها هجمات نابليون قبل ذلك ببضع عشرات من السنين.

وقد توقفت المفاوضات التي كانت قد بدأت في الوقت نفسه بين الباب العالي

ومصر فى أبريل ١٨٣٢، بعد رفض السلطان قبول شروط محمد على (ولاية سان جوفانى داكرى واحتلال طرابلس وسوريا واللاذقية)، وقد أعلن الباب العالى فى الوقت نفسه محمد على متمردا وأعلن عليه الحرب (١١مايو ١٨٣٢). وبعد ذلك ببضعة أيام (٢٧مايو ١٨٣٢) استسلمت مدينة سان جوفانى داكرى، وفتحت الطريق أمام قوات إبراهيم نحو قلب الإمبراطورية العثمانية. وعند هذا الحد، بدأ محمد على ميالا للاتفاق مع السلطان، بعد أن رضى بالنجاحات التى حققها وخوفا منه لاحتمال تدخل القوى الكبرى. ولكن المفاوضات هذه المرة أيضا لم تبرم بسبب رفض الباب العالى منح باشا مصر حكم سان جوفانى داكرى وطرابلس سوريا.

وبعد استئناف العمليات الحربية، حققت القوات المصرية اختراقات مهمة فى سوريا، وفى ١٠ يوليو ١٨٣٢، فى أول صدام مع القوات العثمانية، حققت نجاحا مدويا.

وقد أعقب ذلك، بناء على نصيحة من فرنسا التى كانت قد دعمت باشا مصر دائما، اقتراح جديد للسلام لمحمد على، على السلطان، ولكن هذا الاقتراح أيضا بقى بلا نتيجة. وكان باشا مصر ميالا للاعتدال لوعيه بالتعقيدات الدولية التى كانت ترسم فى الأفق. ولكن نصائح إبراهيم بالتشدد كانت لها الغلبة وتلقت القوات المصرية الأمر بمواصلة العمليات فى سوريا. وفى ٢١ ديسمبر اصطدمت قوات إبراهيم بالقرب من قونية بالقوات العثمانية وحققت انتصارا جديدا حاسما.

وفى هذه المرة بدأ السلطان مستعدا لقبول تسوية وتلبية مطالب محمد على. وهكذا قدمت لباشا مصر فى يناير ١٨٣٣ حكم سان جوفانى داكرى، ودمشق. ولكن إبراهيم استأنف التقدم متجها بحسم نحو قلب الإمبراطورية العثمانية دون انتظار كلمات محمد على، سواء لأنه كان يعتبر التنازلات غير كافية أو لأنه كان يعتبر الباب العالى قد وصل إلى الحد الأقصى لإمكانياته فى المقاومة.

وعند هذا الحد ظهر تدخل حاسم للقوى الكبرى الثلاث (روسيا وبريطانيا وفرنسا)، ولكنه لم يكن تدخلا منسقا. فبينما أعلنت فرنسا صراحة عن وقفها

بالفعل إلى جانب باشا مصر، أظهرت روسيا وإنجلترا تصميمهما على حماية سلامة الإمبراطورية العثمانية المتداعية.

ولم يكن الخلاف في وجهات النظر سوى مجرد انعكاس لاختلاف المصالح. ففرنسا، منذ السنوات التي تلت مباشرة حملة بوناپرت، كانت قد بدأت اختراقا سياسيا تدريجيا في مصر ونجحت بالتأكيد بقوة على نفوذها لدى باشا مصر. وكان من مصلحتها في الوقت نفسه أن ترى تدعيم موقف محمد علي.

ولكن المصالح البريطانية والروسية كانت عكس المصالح الفرنسية. فبريطانيا، من ناحية، كانت تذكر المخاطر التي تعرضت لها إمبراطوريتها في الهند أثناء حملة نابليون، وكانت تتابع بقلق متزايد تعاظم النفوذ الفرنسي في مصر. ولهذا السبب لم تكن مستعدة لتشجيع تحرر وتقوية بلد كان لفرنسا نفوذ طاغ عليه. وكان لروسيا، من الناحية الأخرى، كل المصلحة في ضمان سلامة الإمبراطورية العثمانية من أي خطر للتقسيم، بعد أن توصلت بمعاهدة أدريا نوبولى إلى بعض المطامح السياسية والإقليمية المهمة.

وكان أول من تحرك هو روسيا. فبعد أن شهدت في ديسمبر ١٨٢٢ رفض السلطان لاقتراح بالمساعدة، سارعت بالتدخل على عجل بعد استئناف تقدم قوات إبراهيم. وبين فبراير وأبريل ١٨٢٣ دخل الأسطول الروسي البوسفور وأنزل ٢٠ ألف رجل في سكوتارى.

وقد دفع الإجراء الروسي الذي غير بعمق التوازن في البحر المتوسط، إنجلترا وفرنسا لتركيز الجهود لإقرار السلام بين الباب العالي وتابعه القوى، بهدف إبطال ذريعة روسيا التي كانت السبب في تدخلها. وقد آتى العمل الفرنسي - البريطاني ثماره، وفي ٥ مايو ١٨٢٣، أمكن بالفعل التوقيع على سلام كوتاهايا بين الباب العالي ومصر. ولم يحصل محمد علي، على كل ما كان ينوي الحصول عليه، ولكن الباب العالي خرج مهانا إلى حد كبير من ولايتي سوريا وطرسوس، وقد حصل إبراهيم بدوره على الحكم مدى الحياة على مقاطعة أضنة. وبعد أن

انتهى هكذا هذا الصرع الذي أثار كثيرا من التوتر في أوروبا، سحبت روسيا قواتها من الأراضي العثمانية وأسطولها من الدردنيل، ولكن بعد أن أبرمت أولا مع الباب العالي معاهدة هونكيا، إسكيليزى (٨ يوليو ١٨٣٣) التي تعهدت فيها القوتان العظيمان بالمساعدة المتبادلة في حالة حدوث أى اعتداء على أى منهما. وكانت روسيا في الواقع قد نجحت، بهذه المعاهدة، في إقامة حماية مقنعة على القسطنطينية نفسها، يلتزم السلطان بموجبها، في حالة حدوث حرب، بإغلاق الدردنيل أمام السفن الحربية لكل القوى بناء على طلب روسيا.

لم يكن سلام كوتاهيا قد أرضى الباب العالي ولا محمد على. فلم يكن من الممكن للباب العالي أن ينسى الإذلال الذي تعرض له من تابعه القوى وكان يتوق للانتقام لينتزع من محمد على التنازلات التي كان قد اضطر لتقديمها له، ربما تحت ضغط الهزائم العسكرية. وكان محمد على من الناحية الأخرى يطمح في أن يجعل نفسه مستقلا تماما عن القسطنطينية، وكان ينتظر فقط الفرصة المواتية لتحقيق طموحه هذا. وفي عام ١٨٣٨ أصبح الموقف متوترا من جديد بصورة خاصة بين السلطان ومحمد على وبدأت بداية حرب جديدة وشيكة.

وقد تزايد النشاط الدبلوماسي لفرنسا وإنجلترا. وفي يونيو من ذلك العام حاولت حكومة باريس نذب روسيا إلى خط عمل مشترك تجاه مصر، مقترحة ممارسة ضغوط على السلطان حتى يتخلى عن عزمه في الانتقام من محمد على والاعتراف بالاستقلال المصري. ولكن الحكومة الروسية التي لم تكن لها أية مصلحة في تقوية مواقف باشا مصر، تغاضت عن الاقتراح، بل إنها أعادت التأكيد على قرارها الالتزام بدقة بمعاهدة هونكار - إسكيليزى في حالة اندلاع حرب بين تركيا ومصر.

وكانت إنجلترا راغبة في إرضاء السلطان لإبعاده عن التحالف مع بطرسبرج، فأخبرت محمد على من جانبها في بداية يوليو ١٨٣٨ بأنه في حالة بدء العمليات الحربية ضد الباب العالي، لن تتردد إنجلترا في الوقوف إلى جانب

السلطان. وقد وصل نص المذكرة بسرعة إلى علم الحكومة العثمانية. وفي الوقت نفسه انضمت الحكومة الإنجليزية بسرعة لاقتراح مقدم من محكمة فيينا لإجراء مؤتمر بين إنجلترا وفرنسا وروسيا وبروسيا والنمسا للاتفاق على القضية التركبية - المصرية، فقد كانت لندن ترى بالفعل في هذا المؤتمر الوسيلة لإلغاء الوضع المميز الذي كانت روسيا قد نجحت في ضمانه للقسطنطينية وللحد من طموحات باشا مصر. ولكن روسيا التي لم يفتها هدف المؤتمر، رفضت الدعوة.

وبعد ذلك بقليل، كان هناك تأكيد للاتفاق الإنجليزي العثماني الذي كان يرتسم بإبرام معاهدة تجارية بين القوتين (أغسطس ١٨٣٨). ولكن المحادثات التالية لإبرام معاهدة تحالف فشلت لمعارضة إنجلترا الاشتراك الكامل مع الباب العالي أو للتحسن الذي طرأ على العلاقات الإنجليزية - الروسية.

وفي أبريل ١٨٣٩ قرر السلطان مهاجمة القوات المصرية المتمركزة في سوريا معتبرا أن الموقف الدولي موات لذلك، ومستغلا بعض الانتفاضات التي كانت قد حدثت في ذلك الإقليم.

ولكن الحملة انتهت بهزيمة خطيرة للقوات العثمانية. وفي ٢٤ يونيو أوقعت القوات المصرية بقيادة إبراهيم بالقوات العثمانية هزيمة قاسية في منطقة "نصيب" وكانت الكارثة هذه المرة أكبر بكثير من كوارث الحملات السابقة. وكانت نتائج المعركة ما يزيد على خمسة عشر من الأسرى والاستيلاء على كل المدفعية العثمانية تقريبا. وعلاوة على ذلك سلم الأسطول العثماني نفسه لمحمد علي دون إطلاق طلقة واحدة، علامة على الاحتجاج على التساهل الذي أبداه رئيس الوزراء جوزيف باشا إزاء التدخل الروسي المتزايد في الشؤون العثمانية.

٣- وقد أجبر الانتصار الحاسم الذي حققته القوات المصرية السلطان على الدخول في مفاوضات لإبرام السلام. وكانت الشروط التي وضعها محمد علي لوقف الأعمال القتالية هي: الاعتراف بالحكم الوراثي لولايتي سوريا

وكريت، وإقالة رئيس الوزراء خوزريف، الذي كانت توجهاته السياسية دائما معادية لمصر، وفي الوقت نفسه أعلن عن استعداده لإعادة الأسطول للسلطان.

كانت شروط السلام صعبة. ولكن السلطان الذي أصبح لا يمتلك الآن أية قوة عسكرية قادرة على مقاومة قوات إبراهيم، أجبر على الدخول في مناقشة على هذه الأسس مستبعدا فقط أى احتمال للتنازل الوراثة عن جزيرة كريت.

وكانت المفاوضات بالفعل توشك على الانتهاء، عندما أنقذ "التنسيق" الأوروبي موقف الباب العالي في آخر لحظة. وفي ٢٧ يوليو ١٨٣٩، بالفعل، سلم سفراء فرنسا وإنجلترا والنمسا وروسيا - المعتمدين لدى الباب العالي - للسلطان مذكرة جماعية، أبلغ محمد على بمحتواها فيما بعد، وأعلن فيها عن أن الاتفاق على قضية الشرق يجب أن تضمنه القوى الكبرى، وأن تعلق الحكومة العثمانية لذلك "أى تحديد نهائى متعلق بالمقترحات المقدمة من باشا مصر دون مشاركتها"، انتظارا لقراراتها.

وعلى الرغم من تسليم هذه المذكرة للسلطان، فإنه لم يكن من الممكن اعتبار أن الاتفاق بين القوى الخمس قد تم بسبب الخلاف الجوهري الذي استمر، خاصة بين فرنسا من ناحية وإنجلترا وروسيا من الناحية الأخرى. وبينما استمرت حكومة باريس، تمشيا مع توجيهات سياستها، في مساندة باشا مصر، مؤكدة على ضرورة إعطاء محمد على حكم سوريا كلها. لم تكن بريطانيا وروسيا والقوى الكبرى الأخرى مستعدة للاعتراف لمحمد على بشيء أكثر من الحكم الوراثة لمصر، وأعدت التأكيد على ضرورة الحفاظ على سلامة الإمبراطوية العثمانية دون أى مساس بها.

وفي خريف ١٨٣٩، فى آخر محاولة للاتفاق مع فرنسا اقترحت بريطانيا الاعتراف لمحمد على بحكم سوريا الجنوبية أيضا، علاوة على الحكم الوراثة لمصر. وكان الباب العالي سيحتفظ بمدينة أكرى والأماكن المقدسة وسوريا

الشمالية. ولكن الاتفاق لم يتم التوصل إليه للإلحاح الفرنسي لتسليم سوريا كلها لمحمد علي.

وفي النصف الأول من ١٨٤٠، كان عمل الدبلوماسية الفرنسية مكثفا لتشجيع اتفاق مباشر تركي - مصري. واجتهدت فرنسا بنشاط لتقريب وجهتي النظر العثمانية والمصرية بتقديم الاعتدال للحكومتين. وقد حقق عمل الدبلوماسية الفرنسية في مايو أول نتيجة مهمة، فقد أقال السلطان بالفعل رئيس الوزراء خوزريف باشا من منصبه، وقضى بذلك على واحدة من العقبات الرئيسية أمام الاتفاق بين الباب العالي ومصر.

وبمجرد أن وصل الخبر إلى القاهرة، سارع محمد علي بإرسال مبعوث له إلى القسطنطينية للتفاوض على السلام مع السلطان على أساس الاعتراف بميراث حكم مصر وسوريا كلها، في مقابل إعادة الأسطول العثماني. وعلى الرغم من أن باشا مصر أبقى على مطالبه دون تغيير بشأن سوريا فإنه أعلن مع ذلك عن استعداده للتخلي عن جزيرة كريت بهدف تسهيل الاتفاق.

وقد منع تدخل إنجلترا لدى السلطان مرة أخرى إبرام الاتفاق. فحكومة لندن التي كانت قد نجحت بالفعل منذ يناير ١٨٤٠ في إبرام اتفاق مع روسيا حول المساعدات المقدمة للسلطان ضد باشا مصر^(٥)، قدمت في يوليو التالي اقتراحا للتصالح يفرض على الباب العالي ومصر وقد أصبح هذا الاتفاق، الذي نوقش وتمت الموافقة عليه، في المؤتمر الذي عقد بين بريطانيا وروسيا وبروسيا والنمسا في شهر يوليو نفسه في لندن، أصبح جزءا لا يتجزأ من معاهدة لندن في ١٥ يوليو ١٨٤٠.

وهكذا حققت إنجلترا نصرا دبلوماسيا مهما، ليس فقط لأنها تسببت في فشل الوساطة الفرنسية بين محمد علي والسلطان ولكن أيضا لأنها تركت حكومة باريس في عزلة تامة في أوروبا.

ومن تلك اللحظة، كما سنرى، سيطالب "الاتحاد الأوروبي" بالحق في مناقشة

وحل أى تعقيد فى قضية الشرق وسينصب من نفسه ضامنا لسلامة الإمبراطورية العثمانية. وسوف تضاف إلى القوى العظمى بعد ذلك فرنسا التى ستتضم لاتفاقيات العام التالى، بعد أن تخلت عن مطامحها، للخروج من عزلتها وإيطاليا (بييمونتى) كعضو موقع على معاهدة باريس فى ٣ مارس ١٨٥٦ وبعد ذلك، بعد وحدة المملكة، كعضو منضم للوثيقة النهائية لمؤتمر لندن ١٨٧١^(٦).

٤- كانت ظروف السلام التى أقرتها اتفاقية ١٨٤٠ تهدف للحفاظ على سلامة الإمبراطورية العثمانية من أى تهديد محتمل. وكانت مقدمة الاتفاقية واضحة جدا، حيث كانت تبرر التدخل بطلب من السلطان وتبرره بـ "الرغبة فى الحرص على الإبقاء على سلامة واستقلال الإمبراطورية العثمانية، لمصلحة تعزيز السلام فى أوروبا..."^(٧). وكانت القوى الكبرى، لغيره كل منها من الأخرى، قد وجدت فى صيغة "الوضع الراهن" العنصر المؤقت لمصالحها المتضاربة.

وفى المواد الثلاث الأولى من الاتفاقية هناك إشارة إلى الإجراءات العسكرية التى ستتخذها القوى الكبرى، كضامنة لسلامة الإمبراطورية العثمانية، ضد محمد على إن لم يخضع لشروطها فى السلام. وقد تقرر بصفة خاصة التزام القوى الكبرى بـ "العمل فى اتفاق تام" وتوحيد جهودها لدفع باشا مصر للتمشى مع قواعد الاتفاقية" (المادة ١). وإذا أبدى محمد عبده مقاومة على الرغم من ذلك، فإنها ستلتزم بأن تتخذ ضده التدابير المتفق عليها والمقررة سلفا بناء على طلب السلطان. وإذا رد باشا مصر عسكريا، فإنها تعهد بالالتزام الرسمى بالسعى فى اتفاق مشترك" بهدف وضع مضايق البوسفور والدردينيل، وكذلك عاصمة الإمبراطورية العثمانية، تحت الحماية ضد أى اعتداء (المادة ٣) والمادة التالية تكمل السابقة، فهى تقر بأن جميع الإجراءات التى يحتمل أن تتخذ للدفاع عن المضايق ستتخذ طابعا مؤقتا واستثنائيا وأن السلطان، على أى حال، سيبقى مبدأ حظر الدخول أمام السفن الحربية الخاصة بالقوى الأجنبية سارى المفعول فى

البوسفور والدردينيل فى أى وقت. وكان هذا الحظر يطبق أيضا على روسيا كطرف فى الاتفاقية.

كان من الواضح أن القوى الأوروبية، فى مطالبتها بحل أى قضية ترتبط بمصر وضمن سلامة الإمبراطورية العثمانية، لم تكن تريد ضرب محمد على فحسب، بل أيضا وبصفة خاصة نزع المزايا التى كانت روسيا قد اكتسبتها بمعاهدة هونكار - إسكيليزى.

وكانت شروط السلام التى يتعين فرضها على مصر محددة فى وثيقة مرفقة بالاتفاقية. ويمكن تلخيصها فيما يلى:

(١) سيتمنح حكم مصر وسان جوفانى داكرى، مع حق الانتقال الوراثى المقتصر على مصر، لمحمد على إذا أبلغ القوى الكبرى بقبوله خلال اليوم العاشر من إعلان المقترحات. ولكنه سيتعين عليه فى هذه الحالة أن يسلم لمبعوث السلطان الأمر المكتوب والمباشر لقادة القوات المصرية بالجلء فورا عن سوريا الجنوبية والجزيرة العربية وجزيرة كريت.

(٢) إذا لم يرد محمد على خلال هذه الفترة، فإن المقترحات ستفقد أى قيمة لها. ولكن باشا مصر سيكون له موعد جديد متاح لمدة عشرين يوما لقبول الولاية الوراثية لمصر وحدها. وأخيرا إذا لم يرد محمد على أيضا خلال هذه الفترة، فإن السلطان سيكون حرا فى إلغاء التنازل الثانى أيضا.

(٣) ستدفع مصر للباب العالى جزية سنوية تتناسب مع امتداد الأراضى الخاضعة لحكم الباشا. وسوف تحصل الضرائب باسم السلطان.

(٤) فى أى من البلدين، سيعاد الأسطول العثمانى كله إلى السلطان.

(٥) المعاهدات الدولية التى أبرمها الباب العالى، بالإضافة إلى القوانين العثمانية ستطبق على الفور فى مصر وفى أكرى.

(٦) قوات مصر البرية والبحرية ستعتبر جزء لا يتجزأ من قوات الإمبراطورية العثمانية.

وقد أعقب ذلك "بروتوكول" و"بروتوكول سرى". فقد تأكد في البروتوكول مبدأ إغلاق المضائق أمام السفن الحربية. وفي البروتوكول السرى اتفق على أن الإجراءات القهرية ضد باشا مصر كان يمكن أن تتخذ، عند الضرورة، أيضا قبل تبادل التصديقات.

وأثناء المفاوضات التي كان من المقرر أن تفضى إلى الاتفاقية المذكورة في لندن، كانت الحكومة البريطانية قد دعت سرا ممثلها لدى السلطان لزيادة مقاومة سكان سوريا ضد قوات إبراهيم بكل الوسائل والتمهيد لانتفاضة عامة، بهدف وضع محمد علي في موقف صعب ودفعه هكذا لقبول الشروط المقترحة. وسرعان ما حدث بالفعل انتفاضات خطيرة تفجرت في سوريا لتضع القوات المصرية التي أصبحت الآن متعبة وفاقدة للثقة من الحملة المضنية في وضع حرج للغاية.

وفي تلك الفترة بالذات، أبلغت قرارات القوى الكبرى لمحمد علي، على شكل إنذار. ولكن باشا مصر رفض الفرض وحث على الوساطة الفرنسية في الوقت نفسه.

وبعد مرور عشرة أيام قامت القوى الكبرى بعرض جديد متعلق بمنح الحكم الوراثي فقط لمصر. وقد رد الباشا الذي كانت فرنسا قد أعطته في الوقت نفسه نصائح بالاعتدال، رد حينها بالقبول، ولكنه حث في الوقت نفسه الباب العالي على تقديم بعض التنازلات الأخرى.

وقد اعتبرت القوى الكبرى تحفظ محمد علي بمثابة رفض. ومن جانبه، لم يدع السلطان الفرصة تفلت منه في أن يستفيد من القدرة المخولة له بموجب الاتفاقية الموقعة من القوى الأربع الكبرى وأعلن تحية باشا مصر عن وظائفه (سبتمبر ١٨٤٠). وبعد ذلك بدأت قوات عثمانية وبريطانية بقيادة الأدميرالين نابييه وستوبفورد عملية واسعة ضد القوات المصرية في سوريا. وبينما حقق نابييه

نجاحات مهمة في صيدا (٢٦ - ٢٧ سبتمبر ١٨٤٠)، وعلى جبال أردالي (١٠ أكتوبر)، قام ستوبفورد بغزو مدينة بيروت بعد قصف عنيف من البحر (١٠ أكتوبر).

وفي أعقاب احتجاجات قوية قدمتها فرنسا إلى لندن والقسطنطينية في الأيام العشرة الأولى من أكتوبر، أرسلت حكومة لندن (بالمرسون) تعليمات لممثلها في القسطنطينية، بونسوبي (١٥ أكتوبر) حتى ينصح السلطان بإبرام السلام مع تابعه على أساس الاعتراف الوراثي لمصر، بعد إعادة الأسطول العثماني للباب العالي وجزيرة كريت وكل سوريا. ولكن بدا بعد ذلك أن الحكومة البريطانية قد غيرت موقفها، ربما أيضا للنجاحات الإنجليزية - التركية في سوريا والتي توجت في ٣ نوفمبر بانتصار على القوات المصرية التي هلك معظمها. وفي ١٤ نوفمبر، بالفعل، وفي تعليمات جديدة مرسله للأدميرال ستوبفورد للتصريح بإرسال مندوب بريطاني لمحمد علي بهدف إدارة المباحثات، اقتصر اللورد بالمرسون على الحديث بصورة عامة عن تنازل محمد علي لحكم مصر، دون إضافات أخرى، مما أثار الشك في أن الحكومة البريطانية لم تعد بعد مستعدة للاعتراف لمحمد علي بالحق في توريث الحكم.

وقد عهد بقيادة المفاوضات للأدميرال نابيه الذي كان قد شارك في العمليات في سوريا ضد قوات إبراهيم. وقد جعل الموقف الصعب الذي وجد محمد علي نفسه فيه الإنهاء السريع للمباحثات ممكنا. وفي ٢٧ نوفمبر أبرم اتفاق يلتزم بموجبه باشا مصر بإعادة الأسطول التركي للسلطان والتخلي عن سوريا، مع الاكتفاء بالحكم الوراثي لمصر. وكان الاتفاق سيدخل حيز التنفيذ بمجرد أن يصدق الباب العالي على هذا التنازل الأخير.

ولكن ستوبفورد لم يعترف بالاتفاق لأنه لا يراه متمشيا مع التعليمات التي تلقاها من لندن. وفي الوقت نفسه هاجم الممثل البريطاني في القسطنطينية، بونسوبي الاتفاق بعنف، وألح على ضرورة وقف إجراء التحية الذي اتخذ

السلطان إزاء محمد على. وقد شعر السلطان في الوقت نفسه أن سلطته عدم الاعتراف بأى قيمة للاتفاق واعتبار باشا مصر مبعدا عن وظائفه.

وقد قام الأدميرال ستوبفورد بخطوات جديدة لدى محمد على، عن طريق الكابتن فانثيف، بهدف إبلاغه بعدم جدوى الاتفاقيات المبرمة مع نابيهه وبنصحه بالخضوع غير المشروع للسلطان. وفي ٩ ديسمبر أجبر محمد على، على الخضوع لهذا الشرط الصعب.

ولكن بالمرستون، الذى كان يجهل الموقف فى الوقت نفسه، كان قد اعترف بالاتفاقيات التى أبرمها نابيهه فى ٢٧ نوفمبر. ولم يكن غريبا، على موقف لندن المعتدل، العمل التصالحى الذى كانت تقوم به محكمة لندن، وكذلك الرغبة الفرنسية فى التقرب من فرنسا للحصول على انضمام باريس لمعاهدة لندن لعام ١٨٤٠. ونتيجة لاعتراف الحكومة الإنجليزية، تمت خطوة رسمية للقوى الكبرى الأربع لدى الباب العالى حتى يمنح محمد على الحكم الوراثى فى مصر. وبعد بعض محاولات المقاومة التى شجع عليها الموقف المعادى لمصر من بونسوبى يطوال الأزمة كلها، اعترف السلطان لمحمد على بفرمان أو مرسوم إمبراطورى فى ١٣ فبراير ١٨٤١، بالإدارة المستقلة لمصر، ليمارسها باسم السلطان نفسه، مع حق التوريث لأبناء سلالة الباشا. وبالمرسوم نفسه حصل محمد على أيضا على الحكم مدى الحياة للأقاليم السودانية فى النوبة وسنار وكردوفان.

ولكن السلطان أراد الاحتفاظ ببعض المزايا. وهكذا، على سبيل المثال، بعد أن أقر بمبدأ الخلافة الوراثية، قرر أن الاختيار بين أبناء وسلالة محمد على من الذكور سيكون من اختصاص السلطان. وكانت القسطنطينية تقصد بهذا الاحتفاظ لنفسها بضممان فعال بشأن الشخص الذى سيحكم مصر فى كل مرة. وقد تقررت تحديدات أخرى فى القطاعين العسكرى والمالى. فلم يكن بوسع الجيش المصرى أن يتجاوز ١٨ ألف رجل، وسيكون تعيين الضباط من الرتب الأعلى فوق رتبة رائد من اختصاص السلطان مباشرة، وسيقوم باشا مصر بإجراء ما يلزم نحو صك

العملات وتحصيل الضرائب، ولكن ربع الدخول الإجمالية سيخصص للباب العالي بوصفه جزية، بينما ستحمل العملات المصكوكة في مصر صورة السلطان.

وفي ٤ مارس ١٨٤١، وقعت القوى الكبرى الأربع على بروتوكول صرحت فيه بتنفيذ الشروط المنصوص عليها في اتفاقية لندن ١٨٤٠، بعد أن سجلت خضوع محمد علي (الذي تم بإعادة الأسطول للسلطان والتخلي عن سوريا كلها) وقبول السلطان.

وقد قررت علاوة على ذلك إعادة مقارها التمثيلية إلى مصر. ولكن محمد علي في ذلك الحين، بعد أن رأى المرسوم الإمبراطوري والقيود التي يتضمنها، رفضه جملة واحدة، بعد أن ضمن لنفسه مساندة فرنسا.

كانت تجرى في تلك الفترة، كما أشرنا تنقية عامة للعلاقات الإنجليزية الفرنسية وكانت بريطانيا تظهر حرصها بصفة خاصة، للأسباب المذكورة سلفاً، على الاتفاق مع باريس. ولهذا كانت مساندة الدبلوماسية الفرنسية للباشا فعالة. وقد اتفقت القوى الكبرى الأربع الموقعة على معاهدة لندن بالفعل على ضرورة تحسين موقف حاكم مصر، وفي مذكرة في ١٩ أبريل ١٨٤١، موجهة للباب العالي، وضعت الأسس لفرمان إمبراطوري جديد بتتصيب محمد علي. وقد حددت المذكرة ما يلي:

(١) أن خلافة حكم مصر ستؤول إلى أبناء وسلالة الباشا من الذكور، طبقاً لقانون الأقدمية الساري في الإمبراطورية العثمانية، دون أي حق في الاختيار من جانب السلطان.

(٢) أن الباب العالي سيتخلى عن ربع الدخول الإجمالية المصرية وسوف يقتصر على تلقي جزية سنوية، يتفق عليها.

(٣) أن باشا مصر سيتمكن من تعيين الضباط مباشرة حتى رتبة عقيد بدلاً من رتبة رائد.

وفى ٢٣ مايو ١٨٤١، قبل مرسوم إمبراطورى جديد كل المطالب التى تضمنتها مذكرة القوى الكبرى. واعترف المرسوم لمحمد على بالحكم الوراثة لمصر مع حق التوريث طبقا لقانون الأقدمية. وسيلقب محمد على بلقب وزير، بنفس درجة أى حاكم آخر فى الأقاليم العثمانية. وسوف تطبق قوانين ومعاهدات ولوائح الباب العالى فى مصر، ولكن مع الأخذ فى الحسبان "الظروف المحلية والعدالة والمساواة"، وسوف يتم تطبيق وتحصيل الجزيات باسم السلطان، طبقا للأنظمة المستخدمة فى تركيا، وستدفع مصر جزية سنوية للباب العالى، وستحدد فيما بعد بـ ٨٠ ألف حقيبة تركية، وستحمل العملات المعدنية المصكوكة فى مصر صورة السلطان، ولن تختلف من حيث الوزن والسبيكة عن العملات التركية، ولن يتجاوز الجيش ١٨ ألف رجل، مع الاحتفاظ بحق الباشا فى زيادته فى حال الحرب، بناء على تصريح من الباب العالى، وسيعين باشا مصر مباشرة الضباط من الرتب الأعلى حتى درجة عقيد. ويمكن تنفيذ تعيينات الرتب الأعلى بعد الحصول على تصريح إمبراطورى، ولن تستطيع مصر بناء سفن حربية، دون تصريح إمبراطورى. ويختتم المرسوم بأنه فى حالة انتهاك أى من التعليمات التى يتضمنها، فإن ميراث الحكم فى مصر سيلغى على الفور.

وبهذه الوثيقة تنتهى مرحلة فى غاية الأهمية من العلاقات التركية المصرية. وإذا كان محمد على يرى من جانبه استبعاد طريق الاستقلال التام، فإن الباب العالى من الناحية الأخرى لم يكن له مبرر للفرحة الزائدة لتدخل القوى الكبرى. فإذا كانت سيادته معترفا بها بالفعل فى مصر، فإن هذا حدث فقط بإرادة "الوفاق الأوروبى" الذى أخذ على عاتقه آنذاك مهمة تسوية أى تعقيد فى الشرق الأدنى مباشرة.

وبعد انتهاء الصراع بين الباب العالى ومحمد على، انضمت فرنسا لاتحاد القوى الأربع وشاركت معها، فى التوقيع على "بروتوكول" ١٠ يوليو ١٨٤١ بعد أن حققت تحسنا فى بعض الشروط المفروضة على محمد على. وبعد ذلك بخمسة أيام

وقعت القوى الخمس مع الباب العالي على "اتفاقية المضائق" التي تؤكد معها المبدأ القديم فى إغلاق المضائق أمام السفن الحربية لكل القوى.

٥- كان تدخل القوى الكبرى قد منع محمد على من تحقيق طموحه الكبير فى التحرر تماما من الباب العالي وخلق دولة قوية مستقلة فى شرق البحر المتوسط. ومع اتفاقيات لندن بين القوى الكبرى الأربع، التى أضيفت لها بعد ذلك فرنسا، رأى حاكم مصر استقلاله مهددا أكثر، لأنه فى المستقبل لن يتعين عليه الرد فقط على السلطان بشأن مسلكه ولكن أيضا تجاه القوى الكبرى التى تولت مهمة ضمان سلامة الإمبراطورية العثمانية والتدخل فى حل أى خلاف محتمل بين الباب العالي وتابعه.

وقد نغص الموقف الذى نشأ على هذا النحو السنوات الأخيرة من حياة حاكم مصر. وقد كرس نشاطه كله تقريبا لعملية الترتيب الداخلية، التى كانت ضرورية جدا بعد الحروب المستمرة التى خاضها. ولكن من المهم أن نوضح أن كل المصاعب تجاوزها بموارد الموازنة المصرية فقط دون أن يلجأ أبدا لقروض من الخارج. وكان الموقف الاقتصادى - المالى فى السنوات الأخيرة من حكم محمد على يبدو متينا ولم يسمح بأى مبررات للقلق.

وفى ١٨٤٦ ضعفت القدرات العقلية لباشا مصر، المهتزة أصلا من المرارات وخيبة الأمل التى تحملها فى السنوات السابقة، بصورة ملموسة، حتى إن ابن محمد على الأول إبراهيم الذى أدار بخبرة كبيرة القوات المصرية فى سوريا وسوريا اضطر فى بداية ١٨٤٧ لتولى الحكم. وفى العام التالى، بعد أن اتضح عدم إمكانية علاج محمد على، وافق إبراهيم على أن يتولى بالكامل مسئولية الحكم وقبل التنصيب الرسمى للسلطة من السلطان (يوليو ١٨٤٨).

كانت حكومة إبراهيم تبشر بالخير. وكان إبراهيم بالفعل هو الذى أظهر أنه أقرب بالذكاء وقدرات الأب فى المجال العسكرى والسياسى والإدارى من بين أبناء

الباشا. ولكن في ١٠ نوفمبر ١٨٤٨، عندما كان لا يزال محمد علي على قيد الحياة، انتزع موت إبراهيم المبكر من مصر زعيما عظيما جديدا.

وقد تولى حكم مصر عندئذ، في ديسمبر ١٨٤٨، وطبقا للمبادئ المقررة في مرسوم ١٨٤١، عباس حفيد محمد علي والوريث الأكبر سنا.

وقد أظهر عباس علي الفور طبعاً مختلفاً جداً عن طبع سلفه الكبير. ولم يكن محمد علي قد تردد في السماح بهجرة كبيرة لعناصر أوروبية، اقتناعاً منه بأنه يفعل شيئاً مفيداً للبلاد. وعادت علي مصر بالفعل فوائدها من هذه السياسة بعيدة النظر. وإذا كان حقيقياً أنه كان هناك بين جمهور المهاجرين أيضاً مغامرون بلا حمير، انجذبوا إلى مصر على أمل تكوين ثروات سريعة، فالحقيقة أيضاً هي أن غالبية الأوروبيين الذين جاءوا إلى مصر كانت مكونة من عناصر نشيطة، من العمال البسطاء والمؤهلين والحرفيين وخاصة من المهنيين. وشهدت مصر في فترة وجيزة ميلاد صناعاتها وتجارها وتطورها وازدهارها. وتحسن وأصلح النظام الإداري، وقد استعان محمد علي في هذا الميدان أيضاً بعناصر أوروبية لم يتردد في إدخالها في الخدمات العامة إلى حد معقول.

كان أثناء حكم محمد علي بالذات أن بدأ الإيطاليون في التدفق بأعداد كبيرة إلى مصر، حيث بدأوا ذلك العمل الكبير في التعاون في البناء المدني للبلاد التي كان لابد أن تشهد تطورا مهما في القرن التاسع عشر.

وفي هذا التدفق الأول من الهجرة المرتفعة بصورة خاصة، كانت هناك نسبة من الأجانب الإيطاليين، نجدها تقريبا في كل مكان في حياة البلاد. وعلى سبيل المثال فقط سنذكر من بين الكثيرين لودوفيكو كولوتشي، الذي أصبح طبيبا لنائب الملك، بينما واصل أبناؤه أنطونيو وكارلو وباولو نشاط الأب واكتسبوا شهرة عن جدارة، وأنوفريو أباتي باشا، الذي ذهب مع القوات المصرية إلى القرم والسودان، وشغل فيما بعد مناصب مهمة في النظام الطبي المصري، وألسناندرو ريتشي، الذي أنقذ إبراهيم من الموت في ١٨٢١، حيث شفاه من مرض أصيب به

فى سنار، والدكاترة بياجو فيرنونى، وفيليبو ماروتشى ولاندونى، الذين كانوا أطباء لعائلة نائب الملك، وفيليبو فينوتشى، الذى كن طبيبا جراحا فى الأسطول الحربى المصرى وشهد معركة نافارينو، وجوفانى ديل سينيورى كبير الأطباء فى قوات إبراهيم، والدكاترة تود سكينى، وأنطونيو فيرلينى، وأنطونيو سكوتى والعديد من الآخرين الذين كانوا فى صحبة القوات المصرية بقيادة محمد على وإبراهيم، وفرانشسكو جايتانى، الذى صاحب محمد على فى السودان فى عامى ١٨٣٨، و ١٨٣٩، والصيدلى أندريا حنتلى، الذى شارك فى حملة إبراهيم ضد الوهابيين، وأنطونيو فيجارى بك، الذى كان صيدليا خاصا لمحمد على، ومفتشا عاما لهيئة الدواء وبعد ذلك أستاذًا فى مدرسة الطب والصيدلة فى القاهرة التى أسست فى ١٨٢٥ وكان غالبية أعضاء هيئة التدريس من الإيطاليين، والدكتور موربورجو الذى كان أول مدير لـ "مستشفى فرانكو" فى الإسكندرية، الذى أسسته فى ١٨١٧ جماعة من الإيطاليين وكان رئيسه جوزيبى أتشيري حتى ١٨٣١، وخلفه بعد ذلك إيطالى آخر هو أنيبالى روسيتى، والدكتور جراس بلس الذى كان جراحا فى مستشفى البحرية فى الإسكندرية وبعد ذلك، فى ١٨٤٠، مفتشا للهيئة الصحية المصرية، والدكتور لوريا، الذى كان رئيسا للمستشفى المركزى فى القاهرة.

وكان مهما بالقدر نفسه تعاون العناصر الإيطالية فى تنظيم الجيش المصرى. فقد كان طاقم العاملين فى الترسانة الحربية البحرية فى الإسكندرية إيطاليا بالكامل تقريبا، كما كان مديرو مسبك المدافع ومصانع الأسلحة والذخائر فى القاهرة من الإيطاليين. وكان كذلك المدربون الإيطاليون فى جيش وبحرية محمد على. وسنذكر من بين الآخرين الكولونيل سيلفيا، والكولونيل مازى، والكابتن إياكارينو (وهذا الأخير كان مدربا على بارجة الأدميرال)، والضباط المهندسين ألبرتيني وديل كاريتو ورومى، الذين وضعوا الخطط التى سمحت لإبراهيم باقتحام قلعة سان جوفانى داكرى، التى قاومت وانتصرت على نابليون.

وفى القطاع المدنى، سنذكر بصفة خاصة، من بين الذين كانوا أهلا للكفاءة

والتقدير من الإيطاليين في هذه الفترة الأولى المهندس فرانثيسكو مانتشيني، الذي كلف في ١٨٣٢ بمهمة إعداد الخطة المنظمة للإسكندرية، والتي اتخذت المدينة بفضلها مظهرًا حضاريًا حديثًا، والإيطالي فاسكاريني، مدير الترسانة البحرية في بولاق، والذي قدم في ١٨١٠، في فترة وجيزة للغاية، الأجزاء المفككة للسفن التي استخدمها محمد علي لعبور البحر الأحمر في الحملة ضد الوهابيين، وعلماء الآثار جوفاني باتيستا بلتسوني وجوفاني باتيستا كافيليا، وبرناردو دروفيتي وألساندرو ريتشي، المعروفين بأعمالهم في صعيد مصر، وعالم المصريات اللامع إيبوليتو روز يليني، المساعد المباشر لشامبليون، والمهندس مازي، الذي شارك تحت حكم محمد علي في حفر قناة الإسكندرية الملاحية وأسس في ١٨١٨ مدرسة المساحة في بولاق (القاهرة)، ولورنتسو مازي، الذي أدخل في مصر في ١٨٢٠ أول شكل لسجل الأراضي المسوحة.

ويرجع الفضل للمبادرة الإيطالية الاستثنائية في الخدمات البريدية المصرية الأولى في الإسكندرية في ١٨٢٠، والمرتبطة بأسماء كارلو ميراتي وجاكومو موتسي، في القاهرة (١٨٤٠) والمراكز الصغرى الأخرى. والكلمات الإيطالية على أول طوابع بريد مصرية هي دليل مباشر على هذا الوجود البارز. وكانت الإيطالية، علاوة على ذلك، لغة رسمية للخدمات البريدية، حتى مرسوم ١٨٧٦ الذي أدخل استخدام الفرنسية.

ولا ننسى العمل الإنساني والمدني الذي قامت به بكثير من إنكار الذات مختلف الجماعات الدينية الإيطالية (وبعضها كان موجودا في مصر منذ عدة قرون) التي انتشرت وتأكدت بصورة حاسمة في كل مكان من الأرض المصرية خلال القرن التاسع عشر.

وقد جاء بعد هذا الفريق من الإيطاليين، بداية من النصف الثاني من القرن الماضي، بعد فترة توقف دامت ست سنوات، تزامنت مع نيابة الملك عباس الأول (١٨٤٨ - ١٨٥٤) جاء تدفق من المهاجرين، على جانب كبير من الأهمية، رفع

عدد الجالية الإيطالية في مصر من ستة آلاف نسمة في ١٨٢٠ إلى ٥٢ ألف نسمة تقريبا في ١٨٩٩، حتى وصل العدد إلى ذروته التي بلغت ٥٢٤٦٢ في ١٩٢٧.

ولم يكن الأمر يتعلق بهجرة جماعية من نوع الهجرة التي اتجهت نحو الأمريكتين، ولكنها كانت هجرة تدريجية ومنظمة وانتقائية بصفة خاصة، مع عدم وجود أى حافز لتدفق الأيدي العاملة غير المؤهلة أو قليلة التأهيل نظرا لوفرة الأيدي العاملة المحلية ورخص ثمنها. وقد كان الإيطاليون الذي استقروا في مصر في الفترة المذكورة بالفعل، في جانب كبير منهم، من الفنيين والحرفيين والتجار وصغار رجال الصناعة والموظفين الصغار وكبار الموظفين والقضاة وبصفة خاصة أصحاب المهن الحرة (المحاميين والمدرسين والأطباء والمقاولين والمهندسين والمهندسين المعماريين... إلخ) الذين وجدوا في النظام الليبرالي في مصر الأرض الملائمة للقيام بأنشطتهم وتعزيزها.

وقد قدم عمل هؤلاء الإيطاليين الجدير بالتقدير إسهاما لا يقدر بثمن من الحضارة وترك بصمة دائمة كل قطاعات الحياة في البلاد التي استطاعت استقبالهم بصدقة وتعاطف ملء بالثقة.

هوامش

(١) فرديناندو برات، Napoleone e l'orient، ميلانو، ١٩٤٤، ص ١١٢

(٢) للحصول على تاريخ مفصل وموثق لحملة نابليون في مصر، المشار إليها هنا في خطوطها العامة جدا فقط على سبيل التمهيد، راجع بصفة خاصة، علاوة على الدراسة المذكورة لـ ف. برات، تشارلز روكس.

L'Angletrre et l'expédition française en Egypt

القاهرة، ١٩٢٥، هـ. دهران،

L'expédition du cénéral Bonaparte

باريس، ١٩٢٤؛ م. ج. بينفيل

L'expédition française en Egypte

(١٧٩٨ - ١٨٠١) في Précis de l'histoire d' Egypte، المجلد الثالث، القاهرة، ١٩٣٣؛ كارلو جيليو:

La question egiziana del 1798 al 1841،

في Oriente Moderno، العدد ٢٣، ١٩٤٣، ص ٤٥٥-٥٠٠.

(٣) القلعة هي قلعة واقعة على هضبة تطل على مدينة القاهرة.

وقد دعا محمد علي المماليك لهذه القلعة بحجة الرغبة في المصالحة على وليمة قتلهم جميعا خلالها على أيدي جنوده. ويقال ان واحدا فقط من المماليك الموجودين نجح في الهروب من المذبحة ونشر الخبر بعد أن قفز بحصانه إلى ساحة القلعة.

(٤) بعض المصادر تعتبر أن إبراهيم ابن محمد علي بالتبني.

(٥) ولكن الجزء الرئيسي من الاتفاق لم يكن ذلك المتعلق بسياسة القوتين تجاه الصراع التركي المصري، بقدر ما كان متعلقا بالجزء الآخر الذي كان يقر مبدأ حرية مرور السفن الحربية للقوتين عبر مضيق البسفور والدردينيل، في مخالفة صريحة للمبادئ التي أقرتها معاهدة هونكار إسكليزي.

(٦) هذه الوثيقة، المعروفة باسم "معاهدة البحر الأسود"، بعد أن ألغيت، بتعليمات جديدة، المواد ١١

و ١٣ و ١٤ من معاهدة باريس لعام ١٨٥٦، أقرت في المادة الثامنة أن: "الأطراف العليا المتعاقدة تجدد وتؤكد جميع اشتراطات معاهدة ٣٠ مارس ١٨٥٦، وكذلك ملحقاتها، التي لم تلغ ولم تعدل بهذه المعاهدة".

(٧) بالنسبة لنص الاتفاقية راجع هـ. لامبا،

Droit public et administrative de l'Égypte,

القاهرة، ١٩٠٩، ص ٦٠١-٦٠٣.

الشرق الحديث الوثائق الدبلوماسية المتعلقة بمحمد علي وأرشيقات الدولة الإيطالية

أجلوسان ماركو

في معركة أبو قير في ٢٥ يوليو ١٧٩٩، حيث قضى نابليون تقريبا على الجيش المرسل من الباب العالي ضد الغزو الفرنسي لمصر، حارب في صفوف القوات التركية محمد علي. وقد كان برتبة بنباشي (رائد)، وكان يقود القوة العسكرية في قطاع كافالا (كافاله) في مقدونيا حيث ولد منذ ثلاثين عاما، في ١٧٦٩. وفي ذلك الصدام، الذي كان مدمرا للجيش العثماني، قام الحاكم القادم لمصر بواجبه بشجاعة، ولكنه هزم في البحر وأوشك على الموت غرقا. وفي أعقاب الحملة قدم محمد علي براهين على المقدرة والشجاعة، حتى إنه رقى إلى رتبة جنرال عندما اضطر الفرنسيون لترك مصر.

وقد أستأنف محمد علي ونفذ المخطط العبقري لبعث مصر، الذي صممه ولم يستطع تنفيذه نابليون، ويمكن أن يعتبر محمد علي هذا الجانب هو المنفذ لوصية نابليون والمؤسس الحقيقي لمصر الحديثة. ولكن قبل أن ينجح في ذلك، كم من المخاطر الرهيبة اضطر لمواجهتها، وكم من المصاعب التي لا يمكن تجاوزها كان مضطرا لاجتيازها! ويرى بول موربيه، الذي كتب واحدا من أكثر الأعمال دقة عن محمد علي، أن حاكم مصر أقل فقط من نابليون من حيث تفوق عمله كغاز وسياسي، وأن الظروف التي عمل فيها نابليون^(١). وربما لا يوجد مثال آخر على الموقع السياسي الرفيع الذي تطلب للحصول عليه والحفاظ عليه كما مماثلا من العمل وإنكار الذات والدهاء^(٢).

إن فوضى البؤس الذى سقطت فيه مصر عند رحيل الفرنسيين يتحدى أى وصف. ويصرح القناصل فى ذلك العهد بأنهم غالبا ما كانوا يقفون دون مستوى الحقيقة حتى لا يبدو وصفهم غير محتمل. وأصبح المماليك الذين كانوا قد حكموا البلاد دائما كمستبدين أفظاظ وعنيفين، أصبحوا أيضا أشد قسوة، بسبب الكفاح الذى كانوا يخوضونه ضد الباب العالى، الذى كان يريد بكل السبل التخلص منهم. وإلى جانب الشرور التى كان يجلبها هذا الصراع على السكان، كانت تضاف مظالم الأرنبوط والألبان وسلب ونهب البدو. ووسط كثير من الفوضى والقمع الخطير، اتخذ محمد على موقف المدافع عن الشعب، واكتسب بالتدريج يوما بعد يوم، مزيدا من المكانة، حتى استولى على السلطة العليا. وفى يوليو ١٨٠٥ عينه الباب العالى باشا، لأنه اعترف به على أنه الرجل الوحيد القادر على وقف تلك الحالة من الصراعات والمذابح التى لا تحتمل. وبعد أن نجح فى هذا العمل الكبير من المهارة، قام بعمل أكثر صعوبة، وهو البقاء على عرش، ربما يكون أضعف عرش على الإطلاق، من خلال حكومة قوية ومستتيرة. ومن الفوضى والانحطاط الذى كانت فيه مصر، استطاع أن يقيم فى بضع سنين دولة تتمتع بصورة مطلقة بالأمن والأمان وهى أولى متطلبات الدولة المتحضرة. ثم نهض بهذه الدولة لتصبح قوة تسمح لنفسها بمد أراضيها على نطاق واسع وتمارس نفوذا هائلا على الأحداث السياسية والعسكرية فى عصره. فقد استطاع بالفعل تكوين قوة عسكرية قوية فى الأرض والبحر، منظمة على الطريقة الأوروبية، أسس بها إمبراطورية شاسعة، كانت تمتد فى ١٨٣٣ من تاورو فى آسيا الصغرى إلى حدود الحبشة. وتجاسر مرتين على مواجهة الإمبراطورية التركية، على الرغم من أن هذا كان بمساندة القوى الأوروبية الكبرى، وأوقع بها دائما هزائم جسيمة، من بينها اثنتان مهينتان جدا، وهما هزيمة قونيه (٢١ ديسمبر ١٩٣٢) وهزيمة "تصيب" (٢٤ يونيو ١٨٣٩). وكانت هذه الانتصارات ستسمح لنائب ملك مصر، بمسيرة إلى القسطنطينية، لو لم تتدخل القوى الكبرى الأوروبية، التى كانت خائفة جدا من التصفية النهائية للهيمنة التركية. وبسبب هذا التدخل اضطر محمد على، الذى كان

يطمح فى استقلال كل الأراضى الشاسعة التى استولى عليها، إن لم يكن الاستقلال الكامل، اضطر للرضا فقط بالملكية الوراثة لمصر والسودان تحت السيادة العليا للباب العالى (١ يونيو ١٨٤١). وقد كان محمد على مختلفا تماما عن الطامحين المبتدلين، فلم يستخدم سلطته من أجل إرضاء شخصى أنانى، ولكنه اعتبره واستخدمه كوسيلة لتنفيذ المخططات الكبيرة التى صممها لهضة مصر. وهو أمر يدعو للإعجاب بصفة خاصة فى ملك شرقى. ولأكثر من أربعين عاما عمل محمد على بنشاط لا يعقل لنقل مصر إلى مصاف الدول المتحضرة: الجيش والخدمات الصحية والإدارة والماليات والتعليم العام والمدرسة العليا للطب والصناعة والزراعة، كل شىء أنشئ وأصلح من الأساس ببعد نظر من الأفكار وروح التسامح. ويظهر سمو رؤاه فى الحماية التى خص بها المسيحيين من كل المذاهب وفى ضمه لخدمته أشخاصا قادرين دون أى تمييز فى الدين.

وكان هذا العمل الحضارى لمحمد على مليئا بنتائج هائلة أيضا فى المجال العلمى. فبدون الأمن والأمان اللذين أقامهما محمد على، كانت مصر ستظل لوقت طويل بعيدة عن الرحالة والباحثين، ولتأخر لسنوات طويلة كثير من الاكتشافات الأثرية المهمة والمعارف التاريخية. ومن السنوات الأولى لحكمه، استطاع عدد كبير من علماء الآثار والجغرافيين وعلماء التاريخ الطبيعى أن يجوبوا البلاد فى جميع الاتجاهات بحرية، فوصلوا حتى النوبة والسودان وواحة سيوة. بل إن الكثير من الاستكشافات العلمية شجعها وساندها محمد على الذى أسهم بهذه الطريقة، وكذلك عن طريق الحملات العسكرية، فى توسيع المعرفة الجغرافية والتاريخية لمصر والدول المجاورة. وفى هذا المجال ظهر عمل الإيطاليين لامعا حقا، فأثناء السنوات الأولى من حكم محمد على قام درفيتى وبيليتسونى وريتشى وبروكى وكافيليا وسيجاتو... إلخ، بأبحاثهم المتنوعة للغاية فى مصر. وجدير بالذكر أن هذا العام يوافق مرور قرن، منذ أنهت البعثة الفرنسية - التوسكانية دراساتها فى علم المصريات فى وادى النيل، والتى رحب بها محمد على وساعدها بتشجيع كبير. ومن بين منجزاته فى المجال العلمى يجدر بنا أن نشير بصفة خاصة للإسهام

الفعال للغاية الذى قدمه من خلال رحلته إلى السودان (١٨٣٨ - ١٨٣٩) والبعثات الثلاث التى أرسلت إلى النيل الأبيض (١٨٣٩ - ١٨٤٢) لحل مشكلة منابع النيل القديمة.

لم تكتب إذن حتى الآن أدبيات ثمينة وعلمية حقا، حول تاريخ هذا الحاكم، الذى كان عمله عبقريا وخصبا جدا، فى حين تراكت عن رجال دولة أقل أهمية كتابات لا حصر لها. وليس هذا لنقض الأعمال التاريخية عن حكم محمد على، فهى موجودة، وبعضها أيضا قيمة مثل تلك التى ذكرها موربيه ومينجان، والتى يمكن أن نضيف إليها دراما أ. دى كادالفين وأ. بارو حول الأزمتين المصريتين - الشرقيتين فى ١٨٣٢ - ١٨٣٣ و ١٨٣٩ - ١٨٤٠^(١). ولكننا لا نزال بعيدين عن امتلاك أعمال ترتسم فيها الصورة الحقيقية لمحمد على، وتدرس عمله وتعيده إلى الأذهان باتساع ودقة. ومثل هذه الرواية لن نحصل عليها إلا إذا استطعنا الاستفادة من أرشيفات مصر وتركيا والمراكز الرئيسية فى أوروبا، فحكم محمد على لم يكن العامل الأساسى لمصر الحديثة فحسب وعنصرا بالغ الأهمية فى تاريخ تركيا، ولكنه دخل أيضا ليشكل جزءا من السياسة الأوروبية بنشاط كبير، بل إنه أحيانا ما كان يشكل اهتمامها الرئيسى. ولكننا إذا لم نحظ بالمصادر الحقيقية والرسمية لكل الدول التى مسها العمل الشاسع الذى قام به ملك مصر، فلن يكون من الممكن ذلك الفحص للأخبار وذلك البحث المتعمق لها، وهو ما يتضح من مقارنات عديدة، ويسمح بأن نرى الأمور على حقيقتها الدقيقة والشعور بها فى قيمتها الفعلية. ولكن تاريخ محمد على حتى الآن كتب من خلال انطباعات بعض الرحالة وأعمال منقولة عن آخرين، ولم يفكر أحد أبدا فى رواية تاريخ نهضة مصر طبقا للقاعدة الأولى والأساسية فى المنهج التاريخى، أى على أساس الوثائق الأصلية، المجموعة بنظام والمفحوصة نقديا. وحتى الوثائق التى تكتظ بها أرشيفات القلعة فى القاهرة والتى كان يجب أن نفكر فى أنها تضم التاريخ الحقيقى لأصول مصر الحديثة، لم يستفد منها أحد أبدا.

وأخيرا هناك من يوشك أن يجد علاجاً لهذه الحالة من الأمور التى تدعو

للأسى. فملك مصر الحالى، فؤاد الأول(*)، ابن حفيد محمد على المباشر، خطط أيضا للاستكشاف المنظم للأرشيفات الدبلوماسية ليس فى مصر وتركيا فحسب، ولكن فى كل الدول الرئيسية فى أوروبا، لجمع ونشر الوثائق المتعلقة بحكم محمد على، بين الإصلاحات الحضارية التى يدخلها بحذر والمبادرات الثقافية الكبيرة التى شجعها وساندها بسخاء من أجل تقدم مصر. وهى عملية هائلة، ولكنها لا تعلق إرادة وعظمة الملك. والوثائق التركية، الموزعة فى المخزنين الكبيرين فى قصر عابدين الملكى والقلعة بالقاهرة، يجرى فرزها وتصنيفها حاليا فى مكتب الترجمة فى قصر عابدين الملكى تحت إدارة ج. دينى، أستاذ اللغة التركية فى مدرسة اللغات الشرقية الحية فى باريس. ويجرى الإعداد لجرد إجمالى لها، وسينشر باللغة الفرنسية، وهناك حصيلة كبيرة من الوثائق المتعلقة بحروب إبراهيم باشا وغيره من الجنرالات المصريين جمعت وهى تحت الطبع.

والوثائق المأخوذة من أرشيفات وزارة الخارجية فى فرنسا وإنجلترا فى طريقها للنشر، وقد ظهرت خمسة مجلدات من إعداد المؤرخين الفرنسيين إدوارد دريو وجورج دوان، فى ثوب طباعى جميل. وقد صدرت المجلدات كما ستصدر الأخرى كلها، عن "الجمعية الملكية للجغرافيا" فى القاهرة، فى مجموعة تحمل عنوان "المطبوعات الخاصة تحت رعاية صاحب الجلالة فؤاد الأول"، وقد أسسها أدولفو كاتانى وقام بإدارتها حتى وفاته. وقد عهد بالمجموعة الآن لرعاية السكرتير الحالى للجمعية، هنرى مونييه، الذى يعد قائمة مراجع معقولة لتاريخ ملك محمد على. والوثائق منشورة فى طبعة إضافية وتكمن أساسا فى التقارير التى كان القناصل والسفراء فى مصر يبعثون بها إلى حكوماتهم حول الشؤون المصرية وكثير من التقارير الفرنسية، ومن بين أهم التقارير، يرجع إلى الإيطالى برناردينو دروفيتى (١٧٧٦-١٨٥٢) الذى أدار لسنوات طويلة القنصلية الفرنسية فى مصر. وكل مجلد من مجموعة الوثائق يضم مقدمة، توضح الإسهام الجديد الذى تحمله

(*) كان هذا وقت كتابة المقال.

للمعرفة التاريخية. وفي الملحق هناك جدول تحليلي للمواد يجعل من السهل الرجوع إليه. والمجلدات الخمسة التي ظهرت حتى الآن تغطي الفترة من ١٨٠٢ إلى ١٨٢٣، وتلقى عليها ضوءا جديدا^(٣).

وفي هذه المجموعة الكبيرة من المصادر التي ستقيم تاريخ محمد علي، على أسس متينة، ستظهر أيضا الوثائق الإيطالية، بل إنها ستحتل جزءا كبيرا، إن لم يكن الجزء الأكبر. وقد أخذت من أرشيفات الدولة الإيطالية نسخ التقارير الدبلوماسية الخاصة بحكم محمد علي، وهناك الآن كمية كبيرة من الوثائق، ما يقرب من عشرة آلاف، قادمة من أرشيفات الدولة في نابولي، وفلورنسا، وتورينو، وفينسيا، وفيينا، ومراكز أخرى أصغر، توجد محفوظة في المكتبة الملكية في قصر عابدين. وقد أدار المجموعة بنشاط زكي المرحوم أوجينيو جريفيني بك^(٤)، وقد كلف الكاتب باستكمالها ودراستها ونشرها.

وقد قام ببحث ونسخ الوثائق، تحت الإشراف المباشر للمشرفين على الأرشيفات أنفسهم، أشخاص متقنون ومؤهلون بصفة محددة، قاموا بكفاءة ونشاط بعمل دقيق ويتطلب صبرا. وفي نابولي كلف الدكتور الفارس فينتشنسو موريللي، الأرشيفي الأول، وفي فلورنسا الدكتور جوفانا تشيليني، الأرشيفي الأول، وفي تورينو الكونت ألفونسو ديلا كيزا، وفي فيينا بدأ العمل الدكتور أوتو برونر، والآن يكمله، على الرغم من أنه لم يكتمل بعد، الدكتور فريتز أنطونيوس. وهناك نية للعمل على استكشاف مراكز أخرى أرشيفية وأيضا أرشيفات خاصة، حيث لا يزال هناك أمل في العثور على مادة مهمة، وقد سمح الفحص لأوراقنا، ثم بعناية لعدة شهور، والمقارنة مع الأوراق الأخرى المنشورة بأن نؤكد بيقين أن الوثائق الإيطالية تمثل مصدرا لا ينفذ من الأخبار القيمة عن حكم محمد علي، وأن نشرها سيؤدي إلى توضيح وتحديد، وفي بعض الحالات، تجديد تاريخ الحاكم الكبير.

وطوال كل تلك الفترة كان ممثلو مختلف ولايات إيطاليا غالبا رجالا يتسمون بالتزام كبير وحصافة رفيعة. وأرسلوا لحكوماتهم تقارير مسهبة ودقيقة تصف

أحداثا وظروفا لبعض الأمور بحيوية وحصافة. وعلاوة على ذلك، ونظرا لتتوع ولايات إيطاليا في ذلك الوقت وما يترتب على ذلك من تعدد التقارير الدبلوماسية عن الأحداث نفسها، فإننا من الممكن أن نقيم مقارنات مفيدة للغاية بين مختلف المعلومات، وهكذا يصبح من الممكن تحديد الأحداث بدقة وتعميق معناها. بل إن الممثلين الدبلوماسيين الأوروبيين وخدمهم ولعدة سنوات ومن أهم سنوات تكوين محمد علي، كانوا إيطاليين على درجة كبيرة من النشاط والذكاء: برناردينو دروفيتي وكارلو دي روسيتي (١٧٣٦-١٨٢٠) الذي ذكر من قبل.

وقد مثل دروفيتي فرنسا، كما ذكرنا، بداية من ١٨٠٣، وتتشتر تقاريره المكتوبة بالفرنسية، حاليا، في مجموعة الوثائق الفرنسية. وكان دي روسيتي قنصل فينيسيا خلال السنوات الأخيرة من الحكم التركي، وبعد هزيمة جمهورية فينيسيا في ١٧٩٧، أصبح ممثلا للنمسا وبعض الولايات الإيطالية وأيضا لروسيا. وبالتالي فقد كان دي روسيتي قنصلا في مصر عندما كان دروفيتي لم يأت بعد ولم يكن لإنجلترا ممثل مستقر؛ ولبعض الوقت عهدت إنجلترا بشئونها أيضا لدى روسيتي، الذي وجد نفسه هكذا القنصل الوحيد الأوروبي، المقيم في مصر بين نهاية القرن الثامن عشر وبداية التاسع عشر. ودي روسيتي هو آخر ممثل كبير لجمهورية فينيسيا المجيدة، وهو يتميز بذكاء حاد وطبع مرن ونشاط كبير، وقد تمتع بنفوذ كبير لدى آخر المماليك، وخاصة لدى علي بك (١٧٦٦-١٧٧٣) ومراد بك (١٧٧٩-١٨٠١) اللذين لجأ كل منهما إليه بسبب مفاوضاتهما مع القوى الأوروبية. وأثناء الغزو الفرنسي وفترة الفوضى التي أعقبته، وجد دي روسيتي نفسه ممتزجا بالأحداث الرئيسية واستفاد من سلطته للدفاع عن الجالية الأوروبية. وقد كان يحظى بتكريم كبير من نابليون، حتى إن الجنرالات الفرنسيين دهشوا من ذلك. وقد تمتع أيضا بكثير من المصداقية لدى كليبر، الذي استخدمه لإبرام اتفاقية مع مراد بك، ومحمد علي في فترة الصعود الصعب الذي استفاد من عمل دي روسيتي، الذي يحتفظ بين أوراقه أيضا بخطاب كتبه له محمد علي بتاريخ ٢٣ يونيو ١٨٠٥.

وعندما تولى السلطة، عين محمد على دي روسيتى مستشارا مقربا وموثوقا فيه، واستشاره دائما بشأن الإصلاحات التى كان يريد إدخالها. وكما نرى، شهد روسيتى لما يقرب من نصف قرن، وشارك فى العديد من التحولات، بل إنه كما يقول هو نفسه بتعبير ينبض بالحياة، كنت مغمورا فى مصر وأنا أتعرض لمدىها وجذرها المستمر.

ونظرا لندرة الوثائق فى تلك الفترة، المتشابكة جدا، عند نهاية هيمنة الحكام المماليك وبداية سلطة محمد على ونظرا لاتساع وعمق تقارير دي روسيتى، فإننا يمكن أن نقول إن هذه تمثل أحد المصادر القيمة للتاريخ المصرى فى نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر. وربما لا تكون هناك مصادر دبلوماسية أخرى ترسم بالوفرة نفسها فى التفاصيل وبإبراز درامى عن أحداث تلك الفترة السعيدة^(١).

وتوجد تقارير دي روسيتى السياسية كلها فى أرشيفات البيت الملكى والإمبراطورى، فى المحكمة وفى دولة فيينا، لأنه عندما كان دي روسيتى مكلفا أيضا بشئون بعض الولايات الإيطالية مثل دوقية توسكانا الكبرى ودوقية لومبارديا وفينيسيا، بسبب التبعية السياسية لهذه الولايات تجاه النمسا، كانت ترسل إلى فلورنسا وفينيسيا تقارير تجارية فقط - ولم تكن التقارير السياسية للقنصل النمساوى فى مصر قد أرسلت مباشرة إلى فيينا، ولكنها أرسلت لسفير الفاتيكان النمساوى فى القسطنطينية، الذى كان يجمع تقارير القناصل النمساويين فى الشرق، الذين كانوا يتبعونه، وكان يرسلها بعد ذلك إلى فيينا مع ملاحظاته. والآن، فى حين كانت تقارير السفير البابوى وتقارير القناصل التابعين المكتوبة بالفرنسية أو الألمانية قصيرة جدا غالبا، فإن التقارير القادمة من مصر، والمكتوبة أيضا بالإيطالية، كانت مسهبة جدا ومكدسة بالأخبار.

وبعد وفاة دي روسيتى، استمرت القنصلية النمساوية فى العمل تحت إدارة الإيطاليين، ومن بينهم بصفة خاصة جوزيبى أنشيريى مانتوفا الشهير (١٧٧٣-

١٨٤٦) وهو رحالة وكاتب مرموق. ومن المعروف أن أتشيري كان مؤسساً لمجلة La Bibbioteca Italiana المعروفة. وأثناء إقامته الطويلة في مصر (١٨٢٦-١٨٣٥) أرسل أتشيري للمجلة مراسلات تبين وتكمل رسائله. وقد خطط لأن يجمع في مجلد واحد تلك المراسلات، التي يمكن اعتبارها تقريبا كما لو كانت لم يسبق لها النشر، لأنها حتى الآن غير معروفة ونادرا ما استخدمت لأغراض المعرفة التاريخية، وقد دفنت كما هي في المجلدات الكثيرة والنادرة في المكتبة الإيطالية.

ويحتفظ لأتشيري، علاوة على ذلك، في المكتبة البلدية في مانتوفا، بالمخطوطات التي لم يسبق لها النشر والخاصة بعمل كبير في علم المصريات والمراسلات، وفي هذه خطاب لشامبليون، يبين التقدير الكبير الذي خصه به لحله شفرة الكتابات الهيروغليفية. وسيتم الرجوع لهذه المصادر، وإذا اعترف بأهميتها فإنها ستنتشر.

وبعد أوراق فيينا تأتي، من حيث الترتيب الزمني، أوراق مملكة الصقليين التي أسست قنصلية لها في مصر في ١٨١٢. وتبدأ المراسلات من ذلك التاريخ، ولكنها تصبح بالفعل منتظمة وغزيرة فقط مع ١٨١٦، أي عند عودة البوربون إلى نابولي بعد استعادة الحكم عام ١٨١٥.

وقد كانت وثائق نابولي أكثر غزارة من وثائق كل الولايات الأخرى، ولإعطاء فكرة عن ذلك بالتقريب سنقول إنها شكلت كومة أعلى من متر. وهي تتضمن أخبارا دقيقة وحصينة بالنسبة لكل ما يقال عن النشاط السياسي والعسكري والاقتصادي في مصر. ويوضح عمل محمد علي فيها من خلال التعليق رجل ذكي ومحاميد، هو ريكاردو فانتوتسي، قنصل السويد قبل ١٨١٢، ثم القنصل البوربوني أثناء كل حكم محمد علي تقريبا. وفي المراسلة نجد مرفقات ثمينة: بيانات عسكرية، وقوائم الأسعار في السوق وأخبارا إحصائية، وقرارات من صحف العصر، ومشروعات تشريعية في مجال الضرائب وأخبارا عن الآثار والفنون الجميلة... إلخ.

وكانت الرسائل الخاصة بحملة اليونان (١٨٢٣-١٨٢٨) عديدة وغنية بالمعلومات، وعلاوة على ذلك هناك تقارير لمبعوثين خاصين في معسكر إبراهيم عن الحملة الأولى في سوريا.

وقد كتبت أيضا تقارير القنصل البوربونى فى القسطنطينية، وهى توضح جيدا جدا الحرب الذكية المصرية عند اندلاعها وفى تطورها وفى مرحلتها الحاسمة.

وأخيرا يجب أن نلاحظ أن أرشيف نابولى كان يضم مكتبة، كان يتم فيها فرز أشهر المجلات والصحف الأوروبية بمعيار حديث جدا وكانت تجمع وثائق من مصادر غير دبلوماسية على سبيل المثال، العديد من الخطابات الخاصة، واليوميات، وقد أخذت عن هذه المصادر أيضا بصورة مناسبة جدا جميع النسخ فيما يتعلق بمصر، وهى تمثل عناصر مفيدة مكملة للتقارير القنصلية، ولن يفوتنا نشر أهمها.

ولم يرسل أى أرشيف آخر وثائق من هذا النوع. وتشكل وثائق أرشيف الدولة فى فلورنسا فى مجموعها كما يقل قليلا عن وثائق نابولى. ونظرا لأحداث توسكانا التاريخية، فإن الفترة من ١٨٠٠ إلى ١٨٥٠ تعد فجوة كاملة تقريبا، لأن السياسة الخارجية لتوسكانا فى تلك الفترة كانت تقوم بها إسبانيا أثناء السيطرة البوربونىة (١٨٠١-١٨٠٧)، ثم فرنسا طوال كل السيطرة النابليونية (١٨٠٨-١٨١٤). وبعد العودة إلى الحكم كان التمثيل الدبلوماسى فى مرحلة أولى مشتركا مع النمسا، كما أشرنا، ولكن الأعمال بقيت منفصلة، وفى سلاسل المراسلات مع الممثلين الدبلوماسيين والقنصلين هناك العديد من الأخبار المتعلقة بمصر.

وبعد ١٨٢٢، كان هناك بعد ذلك سلك قنصلى حقيقى من توسكانا، وزادت الأعمال التجارية. ومن بين أوراق فلورنسا هناك تقارير قنصلية من القسطنطينية، وقد كتبها لفترة معينة (١٨١٥ - ١٨٣٤) ممثل قنصلى نمساوى فى القسطنطينية، مثل التقارير السابقة، ثم مكلف بالأعمال من توسكانا بعد ذلك، بل إنه بالنسبة

للسنتين ١٨٣٣-١٨٣٤ كانت هناك تقارير الممثلين. ومن الواضح أن المكلف بالأعمال التوسكاني قام بفترة تجربة تحت إدارة الممثل النمساوي، الذي كان البارون ستورمر الشهير، والمبعوث غير العادي والوزير المفوض لدى الباب العالي. وكل هذه المراسلات من القسطنطينية لها فائدة كبيرة جدا لاستكمال المعلومات القادمة من مصر والتحقق منها.

وجدير بالذكر أن الوثائق التوسكانية، بخلاف كل الوثائق الأخرى، تنقسم إلى سلسلتين: إحداهما هي سلسلة شئون البروتوكول العام لوزارة الشئون الخارجية، وتتعلق بالقضايا الناشئة عن التقارير المباشرة والسياسية والتجارية بين مصر وتوسكانا، أو مواطني توسكانا المقيمين في مصر. وهذه الأوراق له قيمة خاصة بالنسبة لتاريخ مصر، ولكنها مهمة بصفة خاصة بالنسبة لمعرفة الهجرة والنشاط الإيطاليين، وقد أعيد ترتيب مختلف الملازم بالكامل بدقة كبيرة مثل حبات المسبحة، أي بملخص يضم مسودات السكرتارية ويعطى إشارة لأداء العمل، مرفقا بها أيضا الوثائق القادمة للسكرتارية وخطابات المراسلين... إلخ.

وتتكون السلسلة من المراسلة السياسية الخاصة بالمعلومات لسكرتارية وزارة الشئون الخارجية، وهي الأهم من الناحية التاريخية لمصر، لأنها تسجل وقائع الأحداث، مع إعطاء أخبار كثيرة كانت آنذاك غير معروفة لمعظم الجمهور. وفي هذه السلسلة غالبا ما توجد بيانات الحركة البحرية للإسكندرية وأخبار صحية.

ونظرا لأهمية تجارة ليفورنو مع مصر، فإن الممثل التوسكاني كانت له مع هذه المدينة مراسلات خاصة، تكرر في جوهر الأمر الرسائل نفسها المرسله إلى فلورنسا، ولكنها تتضمن أيضا أخبارا مختلفة وأحيانا مهمة جدا.

وتبدأ وثائق أرشيف الدولة في تورينو فقط من ١٨٢٥، وهي ليست كثيرة جدا، ولكنها تمثل في المقابل أهمية من الدرجة الأولى. وقد كتب معظمها باولو تشيروتى، القنصل العام من ١٨٣٧ إلى ١٨٥٤، وهو رجل نشط جدا وذكى، وقد أملى تقارير تعد نماذج من نوعها. وخاصة حول أزمة القضية الشرقية الخطيرة

فى (١٨٣٨ - ١٨٤١) وتقدم هذه الأوراق كمية من الأخبار الدسمة والدقيقة، وتصور من الواقع الحى صراع النفوذ والمصالح بين مختلف القوى. وهناك رسالة بتاريخ ١٦ نوفمبر ١٨٤٠، حول نوايا ومصالح إنجلترا فى مصر تبدو وكأنها مكتوبة اليوم، لدقة الآراء والتوقعات، وعلاوة على ذلك فإن هذه الوثائق تزداد ثراء بالكثير من الوثائق الرسمية والمصادر الأخرى المهمة، التى تنقل باختصار أو بالكامل، وهناك بصفة خاصة العديد من خطابات إبراهيم باشا المعروفة بشأن الحملة الثانية ضد تركيا. وكذلك فإن هناك وفرة فى الأخبار المفيدة تتميز بها تقارير نائب القنصل القادم من بيمونتى روبرتو فيرنونى، الذى كان يقيم فى القاهرة. وكان القنصل العام يسكن الإسكندرية طبقا للعرف السائد بين ممثلى الدول الأخرى. وهناك تقرير طويل جدا يرجع لىونيو ١٨٤٧ ويمثل أهمية خاصة، فهو يتحدث بتفاصيل كثيرة عن الدراسات التى كانت تجرى لافتتاح قناة السويس والإسهام الضخم الذى شارك به فيها المهندسون الإيطاليون وكانت التقارير مؤثرة فى العامين ١٨٤٩، و ١٨٥٠ حول نهاية إبراهيم ومحمد على وحول العلامات الأولى على تدهور عملهما تحت حكم خليفتهما.

وبفحص وثائق أرشيفات فينيسيا، نزل مندهشين من الضالة وانعدام أى أهمية سياسية تمثلها. وهى تعنى فقط تقريبا بالشئون التجارية. وتتوقف المفاجأة عند دراسة وثائق فيينا التى تتعلق، كما أشرنا بالنسبة للجزء السياسى، ببعض الولايات الإيطالية أيضا، ومن بينها فينيسيا.

وعلى صعيد نشر الوثائق، اخترنا النظام الكرونولوجى البحث. وتظهر الخطة المنظمة، التى اتبعها بعض الباحثين، فى جمع الوثائق على شكل فصول ومجلدات، كل منها يتعلق فقط بموضوع أو قضية واحدة، وهى مشكلة استخلاص حدث وقضية من المجموع المترامن للأحداث والقضايا الأخرى التى ترتبط بها فى علاقة من الاعتماد المتبادل. وبهذا النظام يمكن أن يحدث أيضا أن وثيقة تكون تاريخيا جزءا متكاملًا لا ينفصل، تقسم إلى العديد من الأجزاء بعدد الأحداث أو القضايا التى تتناولها، على حساب الوضوح. ولكن الترتيب الكرونولوجى يعيد

طرح الوثائق كاملة وفي مكانها من الزمن، تاركين إمكانية جمعها وإعدادها للمؤرخين طبقا لأفكارهم وأهدافهم. ولتسهيل هذه المهمة سيكون كل جزء ملحق به فهرس وجدول زمني للوثائق وسجل للأسماء. وبهذه الطريقة سيستطيع من يدرس قضية أو حدثا وليست لديه الرغبة أو الوقت لقراءته كله أن يبحث بسهولة عن الوثائق التي تتعلق بموضوعه. وعلاوة على ذلك، سيسبق كل مجلد مقدمة، ستدرج فيها الوثائق وتوضح تاريخيا من خلال أهم الإسهامات التي جاءت بها للمعرفة التاريخية. وسوف ترتبط مقدمات مختلف الأجزاء فيما بينها بحيث تشكل تاريخا كاملا لملك محمد علي.

وبالمثل ستكون الفهارس والجداول الزمنية وسجلات الأسماء منصهرة في نهاية العمل في موضع واحد لتسهيل الرجوع إلى كل العمل، الذي يمكن أن يشمل ما يقرب من ثلاثين مجلدا يضم كل منها ثلاثمائة صفحة ويسمح لنا الترتيب الكرونولوجي بإنهاء المجلد في أي تاريخ، بحيث لا يبدو أكبر بكثير من أي مجلد آخر، ولكننا سنراعى أن نهاية كل مجلد ستتوافق مع تاريخ مهم.

وتبدأ المجموعة باللحظة التي ترك فيها الفرنسيون مصر (١٨٠١) على الرغم من أن ملك محمد علي بدأ مع ١٨٠٥، ولكننا لا يمكننا أن نفهم ونبرر تأسيس ملك محمد علي سوى بمعرفة السنوات المضطربة للغاية ١٨٠١ - ١٨٠٥.

وبإلقاء الضوء على كم هائل جدا من وثائق سفارات الدولة لن نتمكن من معرفة تاريخ محمد علي فحسب، بل إنه سيبدو أيضا جديرا بمزيد من الإعجاب. وستبدو مواهبه كغاز وكسياسي أكبر حجما، وستزداد دهشتنا بصحة واتساع أفكاره وروح التسامح عنده. وسنرى أيضا أن كل عمله يسوده شعور نبيل من الكرم الإنساني، الذي لا يريد أن يعترف به الجميع الآن. وسيبدو محمد علي، على ما كان عليه بالفعل، الباعث العبقري لمصر الحديثة.

وأخيرا يجدر بنا أن نبرز أن هذا النشر الواسع للوثائق، إذا كان يمثل بالنسبة لمصر تقدما في معرفة الفترة الأساسية من تاريخها الحديث وشيئا من

الإنصاف لذكرى بطل تلك الفترة، فإنه سيحمل إلينا الإيطاليون أيضا نتيجتين مماثلتين مفيدتين، فالأحداث المعروفة حتى الآن بصورة مبهمة عن تاريخ هجرتنا إلى مصر والتي شهدت في النصف الأول من القرن الماضي زيادة نتيجة لظروف إيطاليا السياسية، ستعاد روايتها بدقة، وبالتالي سنعرف بصورة أفضل أيضا صفحة من نهضتنا. وعلاوة على ذلك، فإن الإسهام القيم الذي قام به مواطنونا، وهم رجال يتسمون غالبا بالفكر القوي والنشاط المتوهج، في كل المجالات، تحت حكم محمد على لتجديد مصر، سيتأكد بجدية علمية. وسيتناول مجلد خاص هذا الموضوع، وسيكتبه كاتب هذا المقال بالتعاون مع إرنستو فيروتشي بك، المهندس المعماري ورئيس القصور الملكية في مصر.

هوامش

(١) بول مورييه، Histire de Méhémet Ali، باريس، ١٨٥٨، المجلد ١، انظر التالي.

(٢) فيلكيس مينجين

Histoire sommaire de l'Egypte sous le gouvernement de Mohammed Aly (1823- 38)

باريس ١٨٣٩، ص ٢٣؛ وهذا العمل يلي الاخر للمؤلف نفسه:

Histoire de l'Egypte sous le gouvernement de Mohammed Aly

باريس، ١٨٢٣، مجلدان.

(٣) أ. كاد القيمة، أ. بارو.

Histoire de la cuerre de méhémet Ali en syrie et en Asie Mineure, 1832- 1833,

باريس، ١٨٣٦؛ المرجع نفسه

Deux années de l'histoire de l'orient, 1839-1840,

باريس ١٨٤٠، مجلدان.

(٤) جورج نوان،

l'Egypte de 1802 a 1804: cosrespondance des Consuls de france en Egypt

القاهرة، ١٩٢٥، المرجع نفسه،

Mohamed Aly pacha du Caire (1805-1807):Correspondance des consuls France en Egypt

القاهرة، ١٩٢٦؛ إيوارد تريو،

Mohamed Aly et Napoléon (1807-1814): Correspondance des consuls de France en Egypte

القاهرة، ١٩٢٥؛ المرجع نفسه،

Lormation de lempise de Mohamed aly: de laralere au Soudan (1814-1823)

القاهرة، ١٩٧٢؛ جورج دوران ومدام اس. فوتيه- جونز،

Langleterre et lEgypte: campagne de 1807 القاهرة، ١٩٢٨.

إلى جانب هذه المجموعات من الوثائق، نشرت في المجموعة أعمال رواية تاريخية، من بينها عمل كبير جدال ف. شارل- روكسي عن إنجلترا الفرنسية في مصر.

(٥) ولد في ميلانو في ٢٦ ديسمبر ١٨٧٨، وتوفي في القاهرة في ٣ مايو ١٩٢٥. انظر بشأنه النعم الطويل و المتعلق ل ج. ليف، ديلا فيدا في، Riviste degli studi Orientali، في روما، المجلد العاشر، ١٩٢٥، ص ص ٧٢٦-٧٣٠؛ س.ا. نالينو، في Rivista، في روما، العام الثاني، ١٩٢٥، ص ص ١٢٤-١٣٢؛ ج. ريكيري، في Rendiconti del R.Lstituto، في lomlasdo في ميلانو، المجلد الثامن والخمسون، ١٩٢٥؛ و كتيب السناتور لوفيا بلترامي،

Eugenio criffini Bey (MDCCCLXXVIII-MCMXXV)

ميلانو ١٩٢٦ (الذي راجعه، مع بعض التعديلات، س.ا. نالينو. في Oriente Moderns، العدد السادس، ١٩٢٦، ص ص ٦٤٤-٦٤٥).

(٦) حول هذا الإيطالي العظيم، الذي كانت له أهمية كبيرة في فترة حاسمة من تاريخ مصر واشتهر بخدمة هذا البلد، لا يوجد أي عمل. ولد هذه الثغرة بصورة ما نقتر ح رسم صورة لسيرة دي روسيتي، في طبعة قادمة، على أساس الوثائق التي لم ينشر معظمها.

حول ترجمتين عربيتين لرواية «الأمير» لماكيا فيللي

ماريا نالينو

استرعى البروفيسور أنجلو سان ماركو، العارف المتعمق فى الوثائق الأرشيفية والمصادر الأوروبية التاريخية الأخرى عن مصر تحت حكم الباشا محمد على، استرعى انتباهى بصورة لطيفة لحقيقة أن هذا الملك (١٨٠٥ - ١٨٤٩)، بعد أن سمع عن رواية الأمير لماكيا فيللي، أراد معرفة هذا الكتاب، كما يتضح مما كتبه فى جريدة ج. ب. بروكى (١٧٧٢ - ١٨٢٦) للرحلات، "الجورنالى" ومن خطاب جوزيبي أتشير بي من مدينة مانتوفا (١٧٧٣ - ١٨٤٦)، والقنصل النمساوى فى مصر.

وقد كتب بروكى فى ١٣ يوليو ١٨٢٣ (الجورنالى^(١))، الجزء الثانى، ص ٣٦٩ - ٣٧٠): "لقد تحدثت فى مواضع أخرى عن المطبعة التى أنشأها فى القاهرة الباشا الحالى، والكتب التى نشرت فيها. وهناك ترجمة إلى العربية لرواية الأمير لماكيا فيللي يقوم بها الآن د. رفائيلى، أستاذ اللغة العربية فى مدرسة بولاق بأمر من الباشا، الذى قيل له إن هذا الكتاب يتضمن "حكما متميزة فى السياسة"، ويعلم الحكام المستبدين فن الحكم. وقد تحول عنوان الكتاب الإيطالى إلى العربية "الأمير" ولكن لماكيا فيللي يعلم أميرا كيف يمكن أن يصبح طاغية بنعومة وفن، ولا أعرف مدى الحاجة لهذه الحيل عندما يحكم بالسيف، دون الاعتناء بالحفاظ على المظهر، والسير بصراحة فى الطريق المستقيم: Stat Pro rotione voluntas

وقد يكتب أتشير بي بدوره، فى خطاب^(٢) من فيينا بتاريخ ٢٠ ديسمبر

١٨٣٠، (المكتبة الإيطالية، T.LXI، ص ٢٨٩ - ٢٩٠): "سنجد أن من الغريب إلى حد ما أننا تحدثنا أيضا عن الكتب والأدب في المحادثات العديدة التي سمحت بها إقامتي في الإسكندرية وفي القاهرة مع الباشا محمد علي نائب ملك مصر، ولكنك ستذهل ربما من الاستغراب عندما تعرف أن باشا مصر طلب خصيصا لنفسه ترجمة إلى التركية لرواية ماكيا فيللي "الأمير"، حيث كان يتوق لمعرفة موضوع كتاب تحدث عنه بعض الأوروبيين بإعجاب غير عادى.

"وفي إحدى محادثاتنا العائلية، التي لم تكن تتدخل فيها إطلاقا شئون العمل، تحدثت معي تقريبا بالطريقة التالية، كما ترجم لي مترجمه. وقد حدث هذا في القاهرة في ١٨٢٨.

"إنكم تحدثون ضجة كبيرة عن كاتبكم ماكيا فيللي. ولقد عملت على ترجمته إلى التركية لأعرف ماذا يقول؛ ولكنني أعترف أنني وجدته دون توقعاتي ودون شهرته. وقد استولت على الدهشة أكثر عند قراءة عمل مكتوب أصلا بالعربية، ولكنه مترجم أيضا إلى التركية؛ وهذا العمل هو قصة ابن خلدون. فهو كاتب أكثر حرية بكثير من كاتبكم ماكيا فيللي، وهو في رأي أكثر فائدة منه بكثير. وأنتم تقولون إن ماكيا فيللي محظور في مختلف دول أوروبا، وربما كان ابن خلدون أكثر منه بكثير"^(٣).

وكما نرى، في حين يتحدث الـ "بروكي" عن ترجمة عربية، يشير بي إلى ترجمة تركية لكتاب "الأمير". ويبدو أن التناقض يجب أن يحل هكذا، أن دون رفائلي الذي سنتحدث عنه فيما بعد، أعد الترجمة العربية عن الإيطالية، وأن محمد علي الذي كانت لغته التركية وكان يفهم العربية الفصحى قليلا جدا، عمل على ترجمة الكتاب من العربية إلى التركية، إما شفاهة، أو كتابة.

ويقدم الـ "بروكي" أخبارا قصيرة عن المترجم العربي في قطعتين من جريدته "الجورنالي". ففي الجزء الأول، ص ٩٥١، كتب يقول: ٥ ديسمبر (١٨٢٢) - مررت ببولاق لزيارة المدرسة التي أسسها الباشا الحالي وهي حاليا في قصر

إبراهيم باشا ابنه، وتدرس فيها المساحة والرياضيات واللغة الإيطالية واللغة الفرنسية والعربية. والشىء الفريد هو أن من بين الأساتذة هناك ثلاثة من الرهبان المسيحيين: أحدهم هو د. كارلو بيلوتى من كالايريا، الذى يدرس الرياضيات، والآخر هو الراهب سكاليني من بيمونتي، وهو رجل دون المستوى جدا، وكان مدرسا للغة الإيطالية ولكنه كان بالأحرى مدرسا ومشرفا على المطبخ، والثالث هو د. رفائلى مارونيتا^(٤) الذى كان أمينا للمكتبة فى باريس، ويدرس اللغة العربية". وفى الكتاب نفسه، ص ١٧٢ - ١٧٣، كتب الـ "بروكى" يقول: "١١ ديسمبر (١٨٢٢) - أقيمت نظرة على بولاق.. وفى هذا البلد زرت المطبعة التى أسسها الباشا الحالى.. وهم مستعدون لطباعة كتاب عن "الصباغة" مترجم عن الإيطالية^(٥)، وقاموسا إيطاليا - عربيا ألفه د. رفائلى، أستاذ اللغة العربية فى بولاق، والذى أقام لسنوات طويلة فى باريس بصفته أمينا لمكتبة الإرساليات الشرقية وهو خبير فى الإيطالية".

ودون رفائلى الذى ينقل لنا الـ "بروكى" عنه الأخبار المذكورة عالياه، كان ملحقا كمترجم فى بعثة بونابرت فى مصر، وكان معروفا بين الفرنسيين، باسم دون رفائيل، وكذلك ببساطة كـ (رفائل) المترجم"، المذكور ثلاث مرات فى الوقائع العربية للجبرتى^(٦). ولكن اسمه الكامل كان رفائيل أنطون زخور، كما يتضح ليس فقط من ترجمته العربية لرواية "الأمير" التى سنتحدث عنها، ولكن أيضا من مقدمة القاموس الإيطالى والعربى، الذى نشر بدون اسم المؤلف ("بولاكو") فى ١٨٢٢ - ١٢٣٨ هجرية^(٧).

وهناك أخبار أخرى موجودة فى مقال حديث للغاية لـ "باشاملى"^(٦)، الذى استخلصها من مخطوط مختلط لم يسبق له النشر لدون رفائلى، وقد ولد فى القاهرة فى أسرة سورية من حلب، ودرس فى روما حتى أصبحت الإيطالية بالنسبة له لغة ثانية تقريبا^(٧). وأثناء الاحتلال الفرنسى لمصر (١٧٩٨ - ١٨٠١) كان - كما يؤكد فى مخطوطه - "سكرتيرا ومترجما فى الإدارة العامة للمالية فى مصر،

وعضوا في المعهد القومي لمصر (٨) ولجنة العلوم، والمترجم الأول في ديوان (٩) القاهرة.

وبعد رحيل القوات الفرنسية، بقي عامين في القاهرة، ولكنه سافر بالسفينة في ١٨٠٣ إلى فرنسا حيث عمل "أستاذا للغة العربية في باريس في المدرسة الملحقة بالمكتبة القومية" (١٠) ولا نعرف السنة التي عاد فيها إلى مصر، ولكننا يجب أن نضع عودته بين ١٨١٣ (في المخطوط المختلط نتيجة لعام ٨١٣ كتبت في باريس) و ١٨٢١ (وهو العام الذي تؤرخ فيه مذكرة لدون رفائيلي عن حالة الماليات المصرية أيام الفرنسيين وبداية حكم محمد علي).

وكان دون رفائيلي أيضا طبيبا، ويظهر اسمه في تقارير مدرسة الطب في أبو زعل كملحق فيها في السنوات ١٨٢٨ و ١٨٣٢ (١١).

ويوجد مخطوط الترجمة العربية لرواية "الأمير" الآن في المكتبة القومية في القاهرة (١٢)، بعد أن مر بأحداث عديدة؛ فقد وصل بالفعل إلى المكتبة في ١٨٧٦ من مسجد سيدنا الحسين، حيث كان موضوعا كوقف (١٣)، ولم يعرف أحد كيف وصل إلى هناك. وتبلغ أبعاده ١٢ × ٦١؛ وهو مكتوب بخط النسخ، بكتابة جميلة في الظاهر ولكن قراءته صعبة إلى حد ما، لأن حرفي النون والتاء وغيرهما من الأحرف في بداية الكلمات مكتوبة بتضخيم من أعلى يجعلهما يبدوان تقريبا كحرفي ف وق على الترتيب في بداية الكلمات.

وهو مؤلف من ٨٢ ورقة، بكل منها ٢٠ سطرا في كل صفحة، وتتضمن الأوراق 2r1 - r مقدمة قصير للمترجم (١٤) والورقة من بينها العنوان (مجموعة على أساس الورقة الأصلية في المخطوط في الورقة r٣)، المجلد الرابع في مصنفات (١٥) في التواريخ وفي علم حسن التدبير في الأحكام "المجلد الرابع من أعمال نيكولو حول تواريخ وعلم حسن التنظيم للحكومات" (١٦). ومع الورقة r٣ تبدأ ترجمة "الأمير"، ولكن ضاعت ورقتان (ص ٤٤١ - ٧٤١) من المقرر أن تكون وسط الأوراق من ٧٠ إلى ٧١ التي تتضمن تقريبا كل لفصل الـ ٢٣ وجزءا

كبيراً من الفصل ٤٢، وهكذا لا توجد أيضاً الصفحات الأخيرة، حتى إن الترجمة تنتهي فجأة بالورقة ٢٧٤ (ص ١٥٥ من الترقيم الأصلي)، وبالتحديد بالكلمات: فإنهم لسعيدون إذا توفقوا مع الأوقات والأحوال ولتعيسون إذا وقع ومع الكلمة الأخيرة، وهو ما يقابل في النص الإيطالي المقطع "في الختام، إذن مع تغير الخط ومع بقاء الناس في أساليبهم العنيدة، يكونون سعداء عندما يتفوقون معاً وتعساء عندما يختلفون" (الفصل ٥٢، الفقرة الرابعة من النهاية). وبالتالي فإنه لا توجد نهاية الفصل ٥٢ وكل الفصل الـ ٢٦ (١٦).

والأوراق التالية (٢٧٥ - ٢٨٢) من نفس حكم الأوراق السابقة، ولها نفس عدد السطور في كل صفحة، وهي مكتوبة باليد نفسها ولكن بحبر أغمق قليلاً، لكن ليست لها أية علاقة بكتاب "الأمير" لأننا نرى من الترقيم الأصلي أنها الصفحات ٤١ - ٨٢ من كتاب عنوانه "مقدمات في حق الأمم" مكتوب في أعلى كل منها: مقدمات (في الصفحات الفردية) وفي حق الأمم (في الزوجية)؛ وما يبقى يتضمن نهاية الفصل (القسم) الـ ١١ والفصول التالية بما في ذلك الفصل الـ ٢٨ (١٧) الذي ينتهي معه العمل.

لم تكن ترجمة دون رفائيلي بلغة عربية جيدة، فقد كان عبداً للنص الإيطالي، الذي ترجمه تقريباً كلمة كلمة، دون أن يعنى بالبناء البعيد عن العربية الناتج عن ذلك، حتى إن الترجمة لا يمكن أن تبدو واضحة جداً لمن ليس تحت نظره النص الإيطالي. وأيضاً في مقدمته القصيرة، التي لم يكن فيها دون رفائيلي مرتبطاً بأي نص إيطالي، لم تكن الصياغة أنيقة جداً وتتضمن علاوة على ذلك بعض الأخطاء في الأسلوب وهي ترجع بالطبع لتأثير الإيطالية المألوفة جداً بالنسبة له، ونلاحظ على الفور، عندما نقرأها، أن دون رفائيلي لم يكن خبيراً جداً باللغة العربية الفصحى. فنجد على سبيل المثال، تركيب المبنى للمجهول المتبوع بكلمة "من" الخاصة بالفاعل (وهو غير عربي ومصاغ على غرار اللغات الأوروبية) مستخدماً مرتين (١٨) وهو تركيب معتاد عند دون رفائيلي، الذي استخدمه أيضاً في مقدمة القاموس الإيطالي - العربي.

وفى ترجمة "الأمير" نجد جملا أبعد ما تكون عن العربية، كما هو الحال، على سبيل المثال، فى الإهداء الموجه إلى لورنتسو دى ميديتشى: إنه لقد يعتاد فى غالب الأوقات أولئك الذين يرغبون نعمة (فى المخطوط كلمة "نعمة" مشكلة بالفتح نعمة) عند الأمير أن يتقدموا له بتلك الأشياء التى فيما بين ما يمتلكونه أعز مما عندهم والذى يروى النبأ تسره أفكار من غيرها. (وفى الأصل: "غالبا ما يعتاد أولئك الذين يرغبون كسب النعمة لدى الأمير، أن يتقدموا بتلك الأشياء التى يعتزون بها فيما بينهم، أو التى يرون أنه يفرح بها").

وفى الفصل الأول: إن كل الأحكام وكل السیادات تلك التى قد ملكت وتملكت سلطانا على الناس كانت لا تزال إما مشیخة وإما أميرية. (وفى الأصل: "كل الدول، وكل الممالك التى كان لها ولا يزال سلطان على الناس، كانت ولا تزال إما جمهوريات وإما إمارات"). وفى كلتا الفقرتين يتضح التقليد الحرفى للإيطالية، وهو ما يجعل العربية مشوشة جدا وبتراكيب غير عربية.

ولم يكن هناك مؤيدون لمشروع الطباعة، ويمكن أن نفترض أن هذا راجع إما لرأى محمد على المذكور أعلاه وغير المشجع جدا لمحتوى كتاب ماكيا فيلى، وإما لأن ترجمة دون رفائلى رخور كانت لابد أن تبدو لمصحى الطباعة فى بولاق، بربرية من الناحية اللغوية وغامضة جدا فيما يتعلق بالمضمون. وقد حفظت لنا بالتالى هذه الرواية الأولى للأمير فى المخطوط الوحيد الذى تحدثنا عنه والذى وصل إلى مكتبة القاهرة عن طريق أحداث غريبة ذكرناها.

وبعد ما يقرب من قرن من عمل دون رفائلى رخور، الذى بقى طى النسيان، ظهر فجأة الحماس لماكيا فيلى فى روح محام وكاتب شهير فى القاهرة لا يزال حيا: محمد لطفى جمعة. ودون أن يعلم اهتمام محمد على بالكتاب ودون حتى أن يشك فى أن مصرىا آخر سبقه، نشر فى ١٩١٢ الترجمة العربية للأمير (١٩) التى انجذب إليها بإعجاب لعمل الإيطالى العظيم، وهو ما لم يكن من الممكن أن نتوقعه من كاتب شرقى.

وقد ألف محمد لطفى جمعة بعض الأعمال الأدبية (من بينها مسرحيتان حصلتا على جوائز فى ١٩٢٦)، وكتابات فى تاريخ الفلسفة وعلم الاجتماع؛ وبعض هذه الأعمال ترجمات من الفرنسية ومن الإنجليزية، ومن بين الترجمات سنلاحظ الـ convito لأفلاطون، الذى نشر فى ١٩٢٠. وتوجد قائمة الأعمال التى نشرها حتى ١٩٢٦ فى ص ٣١٧ من كتابه "الشباب الرشيد" (نقد لكتاب عن الشعر الجاهلى لطفه حسين)، القاهرة ١٣٤٤ من الهجرة، ١٩٢٦ ميلادية، وبهذا الكتاب وحذف المسرحيتين (اللتين مثلتا ولكنهما لم تطبعا) قد تصل كتبه المطبوعة إلى ١٥ (٢٠). ويضاف إليها بعد ذلك "تاريخ فلسفة الإسلام فى المشرق والمغرب"، القاهرة ١٩٢٧، وهو مأخوذ فى معظمه من مقالات "مونك" الشهيرة.

وتسبق ترجمة الأمير سيرة لماكيا فيللى (ص ٣ - ٢٠)، وبعض الأخبار عن أعماله (ص ٢١ - ٢٩)، و"ذكريات ماكيا فيللى" (ص ٣٠ - ٣٩)، و"الليلة الأخيرة" (ص ٤٠ - ٥٠)، ووصف خيالى لموت الكاتب العظيم الذى عاش فى فلورنسا.

وأعتقد أن من المناسب تقديم الترجمة الكاملة لـ "ذكريات ماكيا فيللى المهمة جدا لأنها تبين لنا الحماس الكبير الذى حرك المترجم:

"إن معرفتى ببنيقولا ماكيا فيللى وبأعماله، التى قلما نجد نظيرا لها، حدثت بهذه الطريقة: أنه بينما كنت أجرى محادثة مع شخص يشغل منصبا سياسيا دوليا فى مصر، قال لى: "إن الخير يجب أن يوزع على الشعوب مثل المطر الخفيف، وليس كالمطر العنيف، وعندئذ سيلقى تقديرا أكبر وسيكون العرفان أكبر بالفائدة وهذا هو رأى ماكيا فيللى". وبعد أن تناقشت معه سألته: "ومن هو ماكيا فيللى؟" يرد بأنه سكرتير جمهورية فلورنسا فى بداية القرن السادس عشر، وأنه مؤلف كتاب الأمير (٢١)، لم يصف شيئا آخر. ولكن فى محادثات أخرى كان يذكر أقوالا حافلة بالحكم وفقرات كانت تدهشنى لاختصارها وتفردتها وكان ينسبها لسكرتير جمهورية فلورنسا. وقد حدث هذا منذ سبع سنوات، أى فى نهاية ١٩٠٥. وقد

سألته بعد ذلك ذات يوم عن كتاب الأمير الذي كان يذكره وقال لى إنه كان قد قرأه بالإيطالية ولم يكن يعرف ما إذا كانت توجد له ترجمة بالإنجليزية. ولكنه كان يعلم أنه ترجم إلى الفرنسية والألمانية. وعندئذ قمت بأبحاث فى المكتبات الأجنبية فى العاصمة باحثا ومستكشفا وأنا أسأل بإلحاح عن كتاب ماكيا فيللى، ولكننى لم أجد لا الأصل ولا الترجمة العربية. وكنت أتوق لدخول فكر هذا الرجل الذى يحمل اسما سحرىا يجذب الروح لمجرد سماعه، ولكننى لم أكن على الطريق القويم، حيث إننى لجأت إلى صديق، وسألته عن الأمر؛ وقد قال لى إن الكتاب محفوظ بعناية ولا شك فى أننى سأحصل عليه فى اللحظة المناسبة. ولكن هذا الرد لم يشف شغفى وحاولت أن أعر على بعض الأخبار حول ماكيا فيللى فى المكتبات، وكل ما كنت أقرأه فيها كان يزيد من رغبتى فى الكتاب، لاتفاق المؤرخين على تمجيد "الأمير"، ومدح مؤلفه، وللاعتقاد بأن هذا الكتاب، على الرغم من قصره، كان مصدر العلم السياسى الحديث، حتى إن أبطال التاريخ مثل ريشليو وفديريكو الكبير ونابليون بونابرت ومترنيخ نهلوا من مصدره.

"إلا أن المؤرخين يتفقون تقريبا (على التأكيد) على أن اسم ماكيا فيللى أصبح دلالة محددة (٢٢) لكل سياسى قوى الذكاء والفؤاد لا يثنيه النبل والتحفظ وخشية الله عن ارتكاب أسوأ الجرائم للوصول إلى الهدف وخاصة عندما يجتهد الأمير بهذا من أجل مصلحة الدولة التى يمسك بدفتها. قد أصبحت كلمة الماكيا فيللية الآن صفة لكل عمل يقوم على الشر والدهاء المرتبطين بالأنانية وتقديم الهدف على جودة الوسائل.

"وقد قضيت بضعة شهور وأنا ملئ بالشوق لماكيا فيللى وكتابه باحثا عنه فى كل مكان وسائلا عنه كل إنسان، حتى وقع ما لم أكن أتوقعه. فقد كنت أتزّه ذات يوم فى ربيع ١٩٠٦، عندما لمحت رجلا يعرض كتبا بائسة على سور بوابة الإسكندرية. وقد نظرت إليها ورأيت أنها مجموعة من الروايات باليونانية والإيطالية والفرنسية، وكلها لغات كنت أجهلها. ولكن كم كانت فرحتى ودهشتى

وانتصاري كبيرا عندما سقطت عيني على كلمة الأمير (مكتوبة) على كتاب صغير مطبوع على ورق من نوعية دون المستوى؛ ثم سقط نظري إلى أعلى الصفحة على اسم نيقولا ماكيا فيللي، ولم يتبق لدى أي شك في أنني كنت أمام الشيء الذي كنت أهفو إليه. وأمسكت بالكتاب بسرعة وسألت البائع عن الثمن، فقال لي: قرش واحد. ولا أعلم كم دفعت، وأخذت الكتاب بين يدي وسرت دون أن ألتفت إلى أي شيء، إلا أنني لم أكن قد سرت ميلا واحدا، محمولا بالحمية والحماس، عندما أدركت خطأي: أنني حصلت على ما لم يكن بوسعي فهمه، لأن الكتاب كان بالإيطالية. وعلى الفور خطر ببالي ألف مشروع للخروج من هذه الهوة، مثل: طلب المساعدة من بعض الإيطاليين للتمكن شيئا فشيئا من فهم تعبيراته، والبدء في دراسة اللغة الإيطالية للوصول إلى هدفى بشأن الكتاب. ولكن حيرتني لم تطل لأن المصير الطيب قادني نحو نسخة بالإنجليزية في مكتبة الإسكندرية، وقرأت الكتاب في أقل وقت يلزم للانتهاء منه. ولكن القراءة الأولى تركتني في حيرة لصعوبة فهم الأفكار وأهمية الكتاب؛ وهكذا كنت مضطرا لإعادة قراءته مرات عديدة. وفي النهاية رضيت بدراسته بعمق وفهم معناه، وبعد قراءة كل فصل كنت كمن ينجح في اكتشاف سر غرفة مفزعة في قلعة مسحورة. وكنت أتوقف مشدوها ومضطربا بعد قراءة كل جملة؛ بل إنني في بعض الأحيان كنت أجول بعيني على السطور بخشية وخوف وكنت أسأل نفسي: "هل يقول الحق فعلا هذا الرجل الرائع؟" ثم كنت أعود بنظري إلى الصفحة وكنت أصطدم بشخصيات معروفة، وأسماء شهيرة، وأخبار معروفة، وأسماء أعلام لأماكن، ومن قبل كنت قد عرفت بالاسم تلك الأشخاص وزرت بعض الأماكن التي يتحدث عنها. ولكن كتاب "الأمير" كان يمثل لي أولئك الأبطال في ساحة الحياة الإنسانية؛ إنهم إرادات قوية ومتنوعة، دفعتهم إلى ساحة الحياة قوى مختلفة، وكل إرادة تجتهد للوصول إلى هدف خاص بها، وفي حياة النشاط الذي رسمته لنفسها أحيانا ما تقودها قوة خفية، وأحيانا ما تكون لها حرية الاختيار، وبين الحالتين تنهض وتخبو، وترتفع وتسقط، وهي سعيدة وتعيسة وتأمل وتيأس. ويمكن القول بأن الأشخاص المذكورين في "الأمير" هم من

جنس آخر من البشر، وهم مجموعة من المزايا والمصالح الخاصة والعامّة، يوجد بينهم خلاف أبدي، مستمر من أجل الهيمنة والنفوذ والمجد. وهكذا فإنني تجردت من المشاعر الضعيفة والمسكينة، ونظرت إلى الأمور كما ينظر إليها شخص نكي ودارس يقيم الأمور تبعا لقيمتها المادية والعملية.

"وفي حين ترى أولئك الزعماء الكبار يقودون الأمور بقلب غير رحيم، ترى أمما وممالك ومدنا - وهي ساحات هذه الأعمال الكبرى - تارة قوية وتارة أخرى ذليلة؛ وهكذا يبدو لك أنك في معرض رائع، أقامته على ساحة الحياة الفانية آمال البشر؛ لأنك عندما تقتفى آثار بطل يسير أمام الجميع ويشكل مملكة أو يقود دولة، وهو واثق وآمن، يرفع بناء مجده، كما لو كان عليه أن يعيش إلى الأبد، يحدث حدث غير متوقع كالتيار المتدفق ويزيح من طريقه ذلك البطل ويدمر قلاع آماله، بل إنه يدمر تلك التي حشدها. وإذا لم يكن هناك هذا الحدث المفزع، فإن الموت إذن هو المدمر الذي يمحو كل شيء.

"أي مراقب حاد الذهن أنت يا ماكيا فيللي ويا من تراقب من بعيد ومن قريب، بعين جافة، وقلب بارد وروح جف فيها نبع الدموع، لعبة الشطرنج الأبدية، التي تتكون رقعتها من الليالي والأيام، والقطع من أبطال التاريخ القديم والحديث والبيادق من جيوش ألمانيا وإسبانيا وفرنسا وإيطاليا، وأبراج قلاع روما وقلاع بيزا وفلورنسا وحملة الرايات في أساطيل جنوا وفينيسيا، في حين أن الملك هو تشيزاري بورجا.

وعندما قرأت "الأمير" شغفت به وكنيت أحمله إلى جانب رباعيات الخيام (٢٣)، وأنا أقرأ الخيام في لحظات حزن النفس وضيق الروح لكي أنتشى بخمره المقدس والمصفي، وأنا أقرأ "الأمير" لكي أفيق من سكر خمر الخيال والعودة إلى ساحة الواقع المؤلم، الذي تصطدم فيه جيوش القوى والرغبات وتتداخل سيوف الأحداث ورماح المصائب.

ثم ذهبت للمرة الأولى إلى الأقاليم الشمالية لكي أتتفس رباح الطموح الأعلى

فى معابد الرومان وللبحث عن معجزة الجمال فى التماثيل الرائعة واللوحات المؤثرة. وبينما كنت أتجول عصرا فى قاعات متحف الفن القديم والحديث فى روما، ها أنا قد وجدت نفسى وجها لوجه مع صورة رجل جالس أمام هيكل سرير مغطى بسجادة مطرزة بالذهب، كانت فوقها كتب وأوراق ملقاة ومبعثرة. وكان ينظر نحوى بعينين مليئتين بالحكمة والدهاء والحزن، وعندئذ حدثت لى حالة عجيبة وقلت (بينى وبين نفسى: "هاهو) ماكيا فيللى مع موضع رغباته".

وأسرعت بالنظر إلى رقم الصورة فى كتالوج المتحف وكان هو بالضبط نيقولا ماكيا فيللى! وكانت هذه هى المرة الأولى التى تقع فيها عيني على صورته. وقد بقيت ثابتا أمامه مندهشا وأنا أفكر، وأتساءل كما لو كنت أرغب فى كسر تلك الجمجمة لى أرى ما هى الأفكار الواضحة وما هى الأفكار الغامضة التى تضمها. ثم تذكرت أن ذلك الوجه لم يكن سوى لوحة مرسومة بالزيت وتركت المتحف، ولكن مظهر ماكيا فيللى بقى فى ذاكرتى.

"على الرغم من كل هذا لم توح إلى نفسى بترجمة "الأمير" إلى العربية حتى كان ربيع ١٩١٠ عندما نقلتلى الرحلات إلى مدينة تارارى (٢٤) فى الأرض الفرنسية، حيث دعيت مع مجموعة من الأساتذة الفرنسيين كان على رأسهم المتقف إدوارد لامبير، لحضور احتفال علمى وإلقاء محاضرة عن مصر. وكانت اللجنة العلمية التى أعدت لهذا الحفل مكونة من الرئيس والسكرتير وأمين الصندوق والأعضاء. هل تعلم أنت من كان السكرتير ولا يزال حتى اليوم؟ كان حفيد حفيد ماكيا فيللى، الذى لا يزال يحمل حتى اليوم اسم عائلته. وعندما سمعت لقبه طرت نحوه وحاولت أن أخفى مشاعري، وأخذت فى سؤاله بلطف عن أعماله، وحالته والطابع الأجنبى فى لقبه، ورد على بقوله: "إن لقبى إيطالى، ولا شك أنك يا سيدى، تعرف اسم نيقولا ماكيا فيللى الشهير". فقلت له: "لقد قرأت عنه فى بعض الكتب". ورد هو قائلا: "إنه جدى الأكبر". وعندئذ قلت فى نفسى: "يا لك من بائس، بل يا لها من عائلة بائسة الحظ! لأنه فى حين أن سلالة آل ميديتشى وسفورنسا

وفيسكونتي وجويتشاردينى يتمتعون اليوم بلذة الثراء الوفير، فإن عليك، وأنت سليل من يحمل أعظم اسم سياسى فى العالم، أن تتحمل مصاعب التدريس، وتستمر مثل جدك فى أن تكون سكرتيرا للجنة، لأنه كان سكرتيرا لدولة ولم يكن له وضع أفضل من وضعك!" ثم عند لحظة الرحيل شددت على يد ماكيا فيللى الفرنسى، واحتفظت بيده طويلا فى يدي، بينما كان لسانه يفيض بالشكر والثناء، على الرغم من أنه لم يكن يعلم أننى كنت أرى فيه جده العبقري، وبصرف النظر عن جماجم سبعة أجيال مضت فإننى كنت أمد يدي لنيقولا العظيم.

"فى تلك السنة نفسها بدأت فى دراسة الإيطالية لميلى الطبيعى للغات اللاتينية (الحديثة)، وقد تعلمتها من الأستاذ مينيون، مدرس الأدب الإيطالى فى كلية الآداب فى جامعة ليون، وقرأت الـ Cortigiano لكاستيليونى بالنثر القديم، و Gerusalemme لـ "تاسو" و فقرات مختارة من باسكولى، الذى كان أستاذا للأدب فى جامعة بولونيا وخليفة كاردوتشى. ومن بين المواقف الجميلة أننى توجهت آنذاك للأنسة ماريا ألبرتيني وهى من بولونيا، وتعلمت منها قواعد الإيطالية، على الرغم من أننى لم أنشغل بها كثيرا لعداى الطبيعى للقواعد والقيود. وعندما جاء الصيف اتجهت نحو إيطاليا وأمضيت بعض الوقت فى جنوا وراباللو ونيرفى وبيلى وكلها (أماكن) على الرفييرا الغربية. ثم سافرت إلى فلورنسا، مدينة الذكاء والجمال، وبقيت فيها لبضعة أشهر مترددا على جماعة من أدبائها الذين كانوا يملأون صفحات الـ Margorco بالمنتجات الجميلة لذهنهم الفنى. وزرت بعض الآثار، وقد فرحت نفسى بجمال تلك الجنة الأرضية، ولكن هذا ليس مجال الإطالة فى هذا الشأن. سأذكر فقط أننى وجهت اهتمامى لترجمة "الأمير" من الإيطالية إلى العربية فى فلورنسا هذه، حيث كنت أسكن فى شارع ليوناردو دافنتشى رقم ٦، وفى تلك الفترة زرت كنيسة سانتا كروتشى، حيث يرقد قبر ماكيا فيللى. ولكننى غير قادر على وصف المشاعر التى كانت تضرب فى نفسى فى تلك الوقفة (أمام القبر). وكان تأثرى من اليوم الذى زرت فيه منزل ماكيا فيللى، الذى يقع الآن فى الرقم ٧١ من شارع جويتشاردينى. وهناك وصف له (فى الفصل الذى يحمل

عنوان): "الليلة الأخيرة". وقد حدث هذا في نهاية شهر أغسطس. وكان جيران ماكيا فيللي يتجمعون حولي عندما كنت أنسخ الكلمات المكتوبة على أجزاء الرخام المعلقة على الحائط لكي توضح للناس في ذلك الزمن أن ذلك المسكن المتواضع كان مسكن الرجل الذي يتمتع بأقوى ذكاء سياسى إيطالى.

"وفي جنيف أنهيت جزءا مما بقى (من ترجمة) "الأمير". كما لو كان قد جاب معى منذ ما يقرب من ست سنوات كل الأقاليم. تارة ككتاب مقروء، وتارة كترجمة متفرقة، وقد تم الجزء الأكبر من هذه الترجمة فى فلورنسا، وطن ماكيا فيللي، بينما تمت الأجزاء الأخرى فى جنيف وليون وباريس والقاهرة وقد انتهت فى ٢٧ يونيو ١٩١١ فى جنيف، حفظها (الله) فى رقم ٧٩ من شارع بولفار كارلو فوجت، فى الجانب الشرقى من المدينة.

"والآن، أخرج للجمهور هذا الكتاب، الذى كان حليفا لوحدتى فى رحلاتى وصديق عزلتى فى البقاء وفى الترحال، وأنا أنفصل عنه بألم مختلط بالغيرة، لأنه بالأمس كان ملكى وغدا سيصبح ملكا لآلاف من أولئك الذين يقرأون اللغة العربية النبيلة".

ويجب ألا نقول إن ترجمة محمد لطفى جمعة، من الناحية اللغوية، أفضل بكثير من ترجمة رفائيلى، زاخور، فهى عمل شخصى يستخدم العربية جيدا جدا ومن دراساته كان مهيا لفهم الفكر السياسى للكاتب الإيطالى. ولكننا لا نستطيع أن نغفل أن لطفى جمعة أحيانا يترجم بحرية زائدة وغير مفيدة، ولهذا فإن بعض الفروق الطفيفة فى الإيطالية تضيع. لنأخذ مثلا الفصل الأول، الذى سننقل فيما بعد روايته:

نص ماكيا فيللي

ترجمة رواية لطفى جمعة

نرى على الفور أن فكر ماكيا فيللي غير مترجم هنا بالدقة المطلقة، سواء لإدراج بعض الكلمات (على سبيل المثال "giuste" و"moderate" فى البداية) أو لحذف كلمات أخرى، أو لخلط الفعل "acquistare" مع الفعل "comquistare"

لننتقل إلى الجزء الأخير من الفصل الأخير، ذي الإيقاع البطولي لحدث الأمير حتى يحرر إيطاليا من البرابرة، ونضع في مقارنة نص ماكيا فيللي مع إعادة ترجمة لطفى جمعة العربية:

ترجمة رواية لطفى جمعة نص ماكيا فيللي

وقد لا نحتاج للإلحاح على إبراز العيوب التي يمكن أن يكتشفها كل منا من مقارنة العمودين، ولكن يحق لنا أن نلاحظ أن العيوب تفسر غير الهينة بالنسبة لعربي، في فهم لغة ماكيا فيللي القديمة إلى حد ما، إذا لم تكن أيضا راجعة جزئيا لبعض الأخطاء في الرواية الإنجليزية، التي ربما كانت مرشدا رئيسيا للمحامي محمد لطفى جمعة الذي نشعر تجاهه على أي حال بعرفان كبير للنشاط الذي قام به في دراسته الأمور الإيطالية وفي محاولة تعريفها للشعوب الناطقة بالعربية.

ونختتم هذا العرض بإعادة الفصل الأول من "الأمير" في روايتي دون رفاتيلي زاخور وطفى جمعة، وسيبدو من الواضح هكذا، دون حاجة لملاحظات خاصة، التفاوت الهائل بين الاثنين، سواء في نوعية العربية أو في الطريقة المتبعة في الترجمة:

ترجمة دون رفاتيلي زاخور

Traduzione di don Rattaele Zahur.

الرأس الأول

في كم هي أنواع الاميريات (٢٥) وبايتما طرايق حازاي يحصل عليها (٢٦) إن كل الأحكام وكل السیادات تلك التي قد ملكت وتملك سلطة على الناس كانت ولم تزل اما مشیخات وأما اميريات، فالاميريات إما انها مستورثة وهذه دم من سادها يكون قد استمر مدة مستطيلة اميرا. واما انها مستجدة. ثم ان المستجدة اما انها كلها جديدة كما كانت اميرية مديولان على الامير فرنسيس سفورزا. واما انها كأعضاء مضافة لحكم الوارث ما للامير الذي يجوزها. كمملكة نابولس لملك اسبانيا. فان هذه سیادات هكذا محافرة او معتادة ان تعيش تحت احكام امير. او انها

اميريات اعتادت ان تكون محررة وتحاز اما بقوة اسلحة اخرين او باسلحة ناسها
خاصة او بواسطة السعد او بواسطة الفضل.

ترجمة جمعة (٢٧)

(ah Traduzione di Muh. Luft Gum ص1)

الفصل الأول

في أنواع السلطة وطرق الحصول عليها

كانت الحكومات التي حكمت الأمم في الأزمان الغابرة إحدى اثنتين، إما
جمهوريات عادلة، وإما ملكيات معتدلة. وللمكية نوعان: نوع تحكمه أسرة واحدة
عريقة في القدم يرث أفرادها الملك الواحد بعد الآخر، ونوع حديث التأسيس
وملوكه حديث العهد بالسلطان. ولذلك النوع الأخير صنفان صنف تكون الممالك
فيه حديثة بالكلية كما كانت إمارة (ميلانو) في عهد (فرنسيسكو سفورزا) وصنف
يضمه الأمير إلى ما ورثه عن آبائه وأجداده بحق الفتح مثل إمارة (نابولي) التي
ضمها ملك (إسبانيا) إلى أملاكه.

على أن بعض الممالك التي تقهر ويغلب أهلها على أمرهم يكون قبل الفتح
متعودا حكم أمير من الأمراء. ويكون بعضها حرا مستقلا ووقوع تلك الإمارات في
أيدي الفاتح يحدث إما بقوة الحرب وإما عفوا صفوا.

هوامش

(١) جريدة الملاحظات التي دونها خلال رحلاته في مصر وسوريا والنوبة ج. ب بروكي، وهو مؤلف لم ينشر بعد موت مؤلفه، باسانوما أ. روبرتي، ١٨٤١ - ١٨٤٣، في - ٨، ٥ مجلدات - على صفحات هذا الـ *Giornale*

انظر مقال البروفسيير أ. سان ماركو في *Oriente Moderno* المجلد الثامن، ١٩٢٨، ص ص ٣٧١ - ٣٨٢ و ٤٢٤ - ٤٢٩.

(٢) خطاب للسيد القنصل أتشيري، القنصل العام لـ S.M.I.R.A. في مصر للسيد القنصل جيروني، أمين مكتبة بريرا الإمبراطورية في ميلانو، حول بعض المخطوطات العربية المنقولة من مصر والمرسلة كهدية إلى المكتبة سالفه الذكر وللمكتبة الإمبراطورية في فيينا (في *Biblioteca Italiana*)، الكتاب ٦١، ميلانو ١٨٣١، ص ٢٨٩ - ٢٩٨

(٣) في الخطاب نفسه يكتب أتشيري، *Biblioteca Italiana*، العدد ٦١، ص ٢٩٥، السطر ١٩ والسطور التالية: "يجب أن أنكر أيضا لمسة لطف منه (محمد علي) الذي حدثني عنه المسابكي مدير مطبعة بولاق؛ الذي عندما تذكر محادثتنا والوعد بإعطائي نسخة من ابن خلدون، أمر بأن يطبع لكي يقدم لي منه أكثر من نسخة بسهولة؛ وكان المسابكي يعني بهذا العمل وبطباعة بعض المخطوطات الكلاسيكية الأخرى، مثل المقريزي لعبد اللطيف، ومخطوطات أخرى شرفني باختيار بعضها، حيث أنني لم أكن غافلا تماما عن هذه المادة. وأخشى جدا في نفس الوقت أن يكون موت المسابكي قد أوقف كل شيء، حيث أنه لم يكن هناك من يخلفه".

وبالفعل فإن النص العربي (وليس الترجمة التركية التي رقيت دائما دون نشر) لمقدمة ابن خلدون طبع في بولاق فقط بعد ٢٩ عاما من هذا الخطاب (١٢٧٤ هـ - ١٨٥٧ م)؛ وقد نشر وصف المقريزي في ١٢٧٠ هـ (١٨٥٣ م) في بولاق ووصف عبد اللطيف البغدادي في ١٢٨٦ هـ (١٨٦٩ - ١٨٧٠ م) في القاهرة.

وفي الخطاب يتحدث أتشيري بعد ذلك طويلا عن أبحاثه في كتاب ابن خلدون، وهي أبحاث سمحت له بأن يرسل إلى مكتبة بريرا في ميلانو بأول مجلد من المؤلف وإلى المكتبة الإمبراطورية في فيينا بمخطوط يتضمن الفصول الـ ١٤ الأولى من الفصول الـ ٢٥ من العقد الفريد لابن عبد الربحي مع مخطوطات أخرى.

- (٤) هذا خطأ من الـ "بروكي". فدون رفائيلي لم يكن مارونيا، ولكنه كان قسا يونانيا - كاثوليكية، وراهبا في جماعة الـ Basiliani التابعين لسان سلفاتورى. انظر مقال س. باشامكى الذى نشير إليه فيما بعد.
- (٥) الباشامكى يذكر بين أعمال دون رفائيلي ترجمة كتاب لـ "ماكير" عن صباغة الحرير؛ ولكن لا يمكن أن نعرف ما إذا كانت كلمات الـ "بروكي" تشير إلى ذلك.
- (٦) عبد الرحمن الجبرتي، عجائب الآثار فى التراجم والآثار. وذكر دون رفائيلي يوجد تحت تواريخ ٢٥ شعبان ١٢١٥ (١٨٠٠) و ٢٠ شوال (١٨٠١) و ١٤ محرم ١٢١٦ (١٨٠١): وفى هامش "الكامل" لابن أثير، القاهرة مطبعة ١٣٠١ هـ (نهاية ١٣٠٢) المجلد السابع، ص ١٣٦ و ١٥٢، المجلد الثامن ص ٢٣ - Merveilles biographiques et historiques ou chroniques du Cheikh Abd-el-Rahman EL-DJABARTI traduites de l'arabe القاهرة، ١٨٨٨ - ١٨٩٦، المجلد السادس، ص ٢٦٩، ٢٧٩؛ المجلد السابع، ص ٢٦.
- (٧) "Dizionario Italiano e Arabo" يتضمن باختصار كل الكلمات المستخدمة والضرورية لتعلم اللغتين بصورة صحيحة - وهو مقسم إلى جزأين - الجزء الأول من القاموس مرتب كما هو معتاد حسب الترتيب الأبجدي - والجزء الثانى يشتمل على مجموعة صغيرة من السماء الضرورية والمفيدة لدراسة اللغتين - بولاق، من المطبعة الملكية، ١٨٢٢، فى ٨، ٢٦٦ + ٦ غير مرقمة من "تصويب الأخطاء".
- وفى المقدمة المكتوبة باللغة العربية، يقول دون رفائيلي، أنه كان مكلفا من قبل محمد على، "نائب السلطان على مصر" بتعليم الإيطالية، ولكنه لم يقل ما إذا كان ذلك فى مدرسة بولاق أو فى أماكن أخرى وبالطبع فى ١٨١٢، عندما كان الـ "بروكي" يكتب فى جريدته الـ Giornale كان مدرس اللغة الإيطالية فى المدرسة من بيميونتى، هو القس سكالوتى (بروكي)، المرجع المذكور، المجلد الأول، ١٥٩، راجع المذكور عليه هنا). ويضيف دون رفائيلي، أنه ألف القاموس لخدمة الطلبة والذين مكلفين بترجمة الكتب". ومن الواضح أنه كان معدا لاستخدام العرب الذين كانوا يريدون الترجمة عن الإيطالية، وليس لاستخدام الإيطاليين. وبالفعل لم تكن الكلمات العربية مشكلة ملم تكن هناك إشارة لمعنى الكلمات العربية الموضوعه أمام كلمة إيطالية معينة.
- (٨) Un manuscrit autographe de Don (sic) Raphaël de l'Institut d'Égypte (1798) بقلم س. باشامكى فى Bulletin de l'Institut d'Égypte ، الكتاب الثامن، دورة ١٩٣٠ - ١٩٣١، القاهرة، ١٩٣١، ص ٢٧ ٣٥.
- (٩) فى هذا المزيج تظهر أربعة خطابات كتبها دون رفائيلي بالإيطالية: ثلاثة منها موجهة لنابليون بونابرت وواحد موجه لتاليران - بيريجورد وزير "العلاقات الخارجية" فى باريس.
- (١٠) فى قسم "litterature et beaux arts"، باشامكى، المرجع المذكور، ص ٢٧. وقد أسس

نابليون بوناپرت l'Institut d'Égypte الشهير في القاهرة بمرسوم في ٢١ أغسطس ١٧٩٨ وكان يضم ٤٨ عضوا موزعين على أربعة فصول أو أقسام وكلهم من الفرنسيين، باستثناء "دون رفائيلي" الذي كان يوصف بـ "القسم اليوناني في أميديه ريم" moderne: période de Égypte la domination française باريس، فيرمين ديديو، ١٨٤٨، في مجموعة l'Univers، ص ٦٦، المجموعة ١

(١١) "الديوان" الذي أصلحه نابليون بوناپرت في ٢٥ ديسمبر ١٧٩٨، كان مؤلفا من عشرة شيوخ وكان يؤلف مجلسا يناقش ويقر التعليمات الإدارية والمالية للفرنسيين فيما يتعلق بالسكان المحليين.

(١٢) هكذا يقول دون رفائيلي في مقدمة تاريخ مصر وجبل الدروز، الذي ظل غير مكتمل، باشامكي، المرجع المذكور، ص ٣١. وبالتالي فإن رأي باروكي (١ - ١٧٣) بأن دون رفائيلي كان في باريس "أمين مكتبة المخطوطات الشرقية" غير صحيح.

(١٣) انظر باشامكي، المرجع المذكور، ص ٢٨.

(١٤) "تاريخ" ٤٣٥. في الكتالوج القديم المطبوع في ١٣٠٨ هـ (والمرتب مثل الكتالوجات اللاحقة، تبعا للترتيب الأبجدي للكلمة الأولى للعناوين ودون فهرس للمؤلفين) يظهر المخطوط فقط تحت كلمة مصنفات؛ وفي الكتالوج الجديد (المجلد الخامس، تاريخ، ١٩٣٠ م، ١٣٤٨ هـ) وضع تحت كلمة "الأمير، ولكن الوصف، على الرغم من أنه أدق بكثير من السابق، إلا أنه يحتوى على الإشارات لأرقام الفصول حتى أنه قال أن المخطوط مكتوب بالزنگراف!

(١٥) هكذا يتضح من التعليق في الورقة 3٧ من المخطوط بالخط الثالث: "وقف الله تعالى"، الذي وضع تحته الموظفون في المكتبة الخديوية آنذاك: محضر من سيدنا الحسين في مارس سنة ١٨٧٦.

(١٦) المقدمة تبدأ بالثناء على الله؛ "تبتدى بعون الله ولا حول ولا قوة إلا بالله. الحمد لله الذي على مشيئته وتدبيره تتعقد سلاسل الأحاديث والأخبار، ومن فيض أحكامه ونجد (?) تقديره يجرى مجرى ما وقع في الدهور والأثمار". الخ. ثم يستطرد قائلا: "ثم يقول وهو يطلب عون القوى الرحمن الرحيم والكريم الوهاب، عبد (الله) القس رفائيلي أنطونيو زخور الراهب: عندما أضطرنى واجب وظيفتي، نزولا على أوامر من أعمل عنده، أي صاحب الفخامة الحاج الخير محمد على، صاحب القوة والنصر والوزير المكرم وولى الحكم في مصر، وفريد زمانه وعصره، والمتفرد بين أقربائه وزملائه - أطال الله في عمره وأطال سلطانه ورفعته - تلقيت الأمر بترجمة الكتاب الشهير (الذي يحمل عنوان) "كتاب الأمير" الذي ألفه المعلم ماكيافيللي، حول علم السياسة والحكم، ترجمته إلى اللغة العربية لفائدة أولئك الذين يشغلون مناصب إدارية، مع ترجمته بدقة وصحة حتى يكون واضحا وميسرا على من يقرأه: وفي هذا بذلت قصارى الجهد والنشاط وكل عناية وتعب، لأن (الكتاب) قديم في تراكيبه وصعب

في مفاهيمه، لأنه ألف في عام ١٦٠٠ (هكذا). وندعو الله أن يعيننا في البداية والله المجيد الحمد في النهاية".

(١٧) حرف الـ f بدلا من الـ n يتوقف على عيب الكتابة المشار إليه عاليا.

(١٨) عنوان ترجمة دون رفائيلي يبدو هكذا: "هذه هي مؤلفات عن تاريخ وعلم التنظيم السليم للحكومات، من تأليف نيقولو ماكيافيللي، السكرتير والمواطن الفيورنتيني. المجلد الرابع، حول صفات الأمير وواجباته". يلي ذلك الإهداء إلى لورنتو دي بييرو دي ميديتشي وبعد ذلك في الورقة ٥ الوجه الأمامي، العنوان من جديد: "حول أمير نيقولو أو حول صفات الأمير" التي يبحث عن وجودها نيقولو ماكيافيللي، السكرتير والمواطن الفيورنتيني.

(١٩) فصول "الأمير" تسمى "رأس" حتى السابع "وفصل" حتى الثاني عشر ثم "رأس" من جديد.

(٢٠) ليس ٢٧، كما قيل خطأ في الكتالوج المطبوع (المجلد الخامس، تاريخ، ١٩٣٠، ص ٣٩).

(٢١) أمرت ممن أوجب على حق الوظيفة الإذعان لأوامره؛ وفيما بعد، بكتاب الأمير المؤلف من المعلم ماكيافيللي.

(٢٢) كتاب الأمير وهو تاريخ الإمارة الغربية في القرون الوسطى تأليف نيقولا ماكيافيللي، تعريب محمد لطفى جمعة، القاهرة، مطبعة المعارف، ١٩٢٢، المجلد الأول - في ١٦، ١٩٨ صفحة + ٢ فهرس وصورتان خارج النص: صورة ماكيافيللي وصورة المترجم.

(٢٣) في Dictionnaire encyclopédique de Bibliographie Arabe، ج. أ. سركس، القاهرة، ١٩٢٨ - ١٩٣٠، المجموعة ١٦٩٢ - ١٦٩٣، قائمة الأعمال التي نشرها حتى ١٩٢٥ غير مكتملة.

(٢٤) في النص، كلمة؛ Principe مترجمة بالعربية "الأمير"، ولكنها متنوعة بنسخ عربي تقريبي للكلمة الإيطالية Principe

(٢٥) أصبح عالمان على ...، راجع ر. دوزي، Supplément aux dictionnaires arabes، ليد ١٨٨١، المجلد الثاني، ١٦٤، المجموعة ١.

(٢٦) أي الشاعر الفارسي الشهير عمر الخيام، الذي عاش في بداية القرن السادس من الهجرة، الثاني عشر الميلادي.

(٢٧) مدينة في قطاع رودانو.

(٢٨) المترجم كما نرى وقع في بعض اللبس في تفسير أبيات بترارك: فقد أخذ "virtù" بمعناها الأخلاقي الضيق، وبالتالي ترجمها "فضيلة" بينما كان بترارك يعطى الكلمة معنى الـ virtus اللاتينية، أي الشجاعة العسكرية المرتبطة بأفضل الصفات النفسية، ولم يدرك أن تعبير "contro a" يتوقف على الفعل prenderà l'armi (الذي يعنى هنا "سيثور") ولهذا فقد المنفذ

أن هذا يعنى "contraria a." ، "nemica a" ، لبخ. وفى الواقع، كان يجب أن تكون الترجمة هكذا: ستقوم المروءة على الحميا الجاهلة ويكون القتال قصيرا إذ الشجاعة القديمة لم تمت بعد فى قلوب الإيطاليين.

(٢٩) إعادة الترجمة الإيطالية كتبت هنا عليه، ص ٦١٤ وأمامها نص ماكيافيللى الأصى.

(٣٠) فى المخطوط، هذه الكلمة صاغها رفائلى زخور لترجمة الكلمة الإيطالية "principato" وهو مكتوب باستمرار بدون النقاط تحت الـ ... الأولى.

(٣١) البداية الإيطالية، طبقا للطبعات القديمة، مثل الطبعة التى استخدمها دون رفائلى، هى:

"Quante siano le specie de' principati, e con quali modi si acquistino"

القضية المصرية

من عام ١٧٩٨ إلى عام ١٨٤١

كارلو جيليو

١ - اهتمت إنجلترا بمصر متأخرا نسبيا. ولكن فرنسا كانت أكثر نشاطا بكثير، فبعد سلام باريس في عام ١٧٦٣، الذي فقدت فيه جانبا كبيرا من إمبراطوريتها، بدأت فرنسا في النظر إلى مصر كمستعمرة محتملة لها وكقاعدة للهجوم على الهند، وأيضا على خطوط الاتصال الإنجليزية عبر رأس الرجاء الصالح. وفي عام ١٧٨٥ أبرمت معاهدة للصدقة والتجارة مع الحاكم المملوكي في القاهرة^(١)، وبعد أن اندلعت الحرب ضد النمسا (١٧٩٣)، أعادت القنصلية الفرنسية إلى القاهرة، التي أغلقت في عام ١٧٧٧. وفي عام ١٩٧٨ بدأت مفاوضات مع إيران من أجل معاهدة معادية للهند، وفي عام ١٧٩٦ أرسلت بعثة ذات طابع علمي - دبلوماسي إلى طهران. ولم تكن لفرنسا علاقات وثيقة فقط مع مصر وإيران ضد إنجلترا، ولكن أيضا مع شريف مكة ومع إمام مسقط (شبه الجزيرة العربية) الذي أسست عنده في عام ١٧٩٥ قنصلية، نظرا أيضا للتبادلات التجارية النشطة مع جزيرة ماوريشيوس، ومع سلطنة ميسوري في الهند.

وبالتالي فإنه يمكن القول بأنه في عام ١٧٩٣ كانت قد تبلورت فكرة القيام بعملية مصر كخطوة أولى نحو احتلال الهند^(٢).

ويقابل النشاط الفرنسي المكثف ذلك النشاط البريطاني المحدود^(٣). فقد وصل أوائل التجار الإنجليز إلى مصر في القرن السابع عشر، ولكن على خلاف زملائهم الفرنسيين، لم تكن لهم قنصليات إلا على فترات متقطعة: في ١٦٣٠ و ١٦٤٥

و١٦٥٨. وحدث فقط بين عامى ١٦٩٦ و١٧٥٦ أن كان لهم قنصل بصورة متواصلة وحاولوا منافسة التجار الفرنسيين، ولكن فى عام ١٧٥٦ أغلقت القنصلية نظرا للأنشطة الهزيلة التى قام بها العدد الضئيل من الإنجليز المقيمين فى مصر. ومع ذلك فإن إنجلترا، بعد ذلك ببضع سنين، حاولت استخدام طريق السويس للتجارة مع الهند وأبرمت اتفاقيتان بهذا المعنى فى عام ١٧٧٣ و١٧٧٥ مع حاكم مصر والرحالة ج. بروس وحاكم البنغال البريطانى وارين هاستينجز^(٤). ولكن سلطان القسطنطينية احتج على الاتفاقيتين مذكرا بالخطر القديم المفروض على الأوروبيين بالنسبة للملاحة فى البحر الأحمر وشمال جدة. وقد اضطرت لندن للتنازل والاقتصار على استخدام طريق السويس لإرسال المراسلات بشرط أن ينقلها السكان المحليون بين جدة والسويس^(٥).

ولكن حكومة وشركة الهند استخدمتا طريق السويس قليلا جدا بين عامى ١٧٧٧ و١٧٨٠ للمراسلة بين الهند وإنجلترا. وفى أعقاب طلب من الـ India Board بشأن إمكانية تنظيم اتصال مع الهند عبر مصر، قررت الحكومة الإنجليزية إعادة فتح قنصلية القاهرة فى عام ١٧٨٦^(٦). ولكن النفقات المتعلقة بذلك وجد أنها غير مجدية، ولذا فقد ألغيت القنصلية فى عام ١٧٩٣، فى الوقت الذى كانت فرنسا تفتح فيه قنصليتها. وقد بقى القنصل بالدوين بمبادرة منه فى القاهرة معتقدا أن وجوده هناك أثناء الحرب مع فرنسا كان يمكن أن يكون مفيدا لإنجلترا. بل إنه أبرم فى ٢٠ مايو ١٧٩٤ معاهدة مع حاكمى مصر فى السلطة آنذاك^(٧).

وقد استشفت إنجلترا من عملية مصر جسامة الخطر فى أن تنتقل تلك الدولة ودول عربية أخرى إلى أيد معادية. ومنذ ذلك الحين زاد الاهتمام الإنجليزية بمصر وبشبه الجزيرة العربية بصورة ملموسة؛ ومنذ ذلك الحين، وبعد تردد وصعوبة، بدأت سياسة السيطرة الإنجليزية فى البحر المتوسط مع معاقلها الثلاثة فى جبل طارق ومالطة والإسكندرية^(٨)، التى ستضاف إليها بعد ذلك قبرص وحيفا.

٢ - بعد أن عاد نابليون منتصرا من حملة إيطاليا، تلقى من الحكومة التكليف بتنفيذ المرحلة الثانية من الخطة الفرنسية: فبعد الانتصار على الخصم

الأضعف وهو النمسا، كان لابد من محاربة الخصم الأقوى وهو إنجلترا والقضاء عليه.

وفى البداية عاد نابليون لبحث إمكانية تنظيم غزو لإنجلترا، ولكن اعتبارات عديدة جعلته يتخلى عن المشروع مثل الفترة الزمنية الطويلة اللازمة للإعداد ونقص السيطرة البحرية واستحالة المفاجأة. ولكنه اقترح تنظيم حملة إلى الشرق^(٩)، بهدف ضرب إنجلترا فى خطوط التجارة التى لا غنى عنها لحياتها.

والميل للشرق لم يكن جديدا فى نابليون، حتى إن بعض المؤرخين اعتقدوا أن هذا يفسر بوجود آثار من دماء شرقية نتيجة انحدار نسله من بعض الأجداد من أصل شرقى^(١٠) حتى إنه، فى أثناء حملة إيطاليا، وعند وصوله إلى أنكونا فى فبراير ٧٩٧١، قال: "فى ٤٢ ساعة من هنا نصل إلى مقدونيا". ولكن فكرة القيام بحملة فى الشرق، سواء لإسقاط إنجلترا أو لتكوين إمبراطورية استعمارية لفرنسا، بدأت تشق طريقها بوضوح فى عقل نابليون فى الفترة التى انقضت بين مقدمات سلام ليبون (١٨ أبريل ١٧٩٧) ومعاهدة كامبوفورميو (١٧ أكتوبر ١٧٩٧). وبعد الحصول على خطابات للقيصر باولو لفرسان مالطة، يطلب فيها القيصر السيطرة على الجزيرة، كتب نابليون فى ٦٢ مايو ١٧٩٧ إلى الحكومة حول ضرورة احتلال الجزيرة. وبعد ذلك بقليل، ومع وعود كثيرة بالحرية والاستقلال نجح نابليون فى الحصول على أسطول من جمهورية فينيسيا لاحتلال الجزر الأيونية. وهكذا كتب فى ١٣ سبتمبر ١٧٩٧ لوزير الخارجية تاليراند: "إننى أعتقد أن المبدأ الرئيسى للجمهورية الفرنسية من الآن فصاعدا يجب أن يكون عدم التخلي أبدا عن كورفو وزانتى... إلخ، بل إننا على العكس من ذلك، يجب أن نتمركز هناك بقوة؛ وسوف نجد هناك موارد هائلة للتجارة وستكون على جانب كبير من الأهمية بالنسبة لنا فى التحركات القادمة لأوروبا. ولماذا لا يتعين علينا الاستيلاء على مالطة؟". "وإذا حدث عند إبرام السلام مع إنجلترا أن اضطررنا للتنازل عن رأس الرجاء الصالح، فإننا يجب أن نستولى على مصر فمصر يجب ألا تنتمى للسلطان".

وفي نوفمبر ١٧٩٧، أرسل مبعوثه إلى مالطة لدعوة الفرسان لبيع الجزيرة لفرنسا. ولكي يحتفظ بجزر إيونية التي كانت قاعدة، في ذهنه، لخطته القادمة للسيطرة على الشرق والبحر المتوسط، سمح نابليون بالتنازل عن فينيسيا للنمسا بمعاهدة كامبو فورميو مخلا بوعوده المتكررة.

بمعرفة هذه الأحداث السابقة، يصبح من السهل فهم اقتراح نابليون بإرسال بعثة إلى مصر. وفي الوقت نفسه، كانت تتجمع في ذهنه ذكريات روما القديمة.

الصراع بين روما وقرطاجة للهيمنة على البحر المتوسط، والصراعات بين أنطونيو وبومبيو، والفرق الرومانية المنتصرة في مصر. وتحت تأثير هذه الذكريات، كان حماس نابليون يشتعل في رؤية مصر مجددة. وهكذا اصطحب معه مجموعة مختارة من العلماء^(١١).

وكانت هناك مشروعات وخطط لمثل هذه البعثة قدمها في عام ١٦٧٢ لايبنتس إلى لويس الرابع عشر، وسان بريست، السفير الفرنسي في القسطنطينية، في عام ١٧٨١؛ ولكن نابليون لم يكن على علم بها^(١٢) وأيضاً تاليران، الذي كان قد عقد مؤتمرا في ٣ يوليو من عام ١٧٩٧ في معهد فرنسا حول ضرورة إنشاء إمبراطورية استعمارية فرنسية، قدم في فبراير من عام ١٧٩٨، باتفاق مع نابليون، على ما يبدو، مشروعا لاحتلال مصر.

وعلى أساس هذا المشروع والمشروع التالي لنابليون في ٢٣ فبراير من عام ١٧٩٨، قررت الحكومة في ٢٥ فبراير إرسال البعثة^(١٣). كانت الذرائع متوافرة، وأولها المظالم التي يتعرض لها الرعايا الفرنسيون على أيدي الحكام الذين أصبحوا مستقلين عن السلطان^(١٤).

وقد أفلت الأسطول الفرنسي من مراقبة فريق من سفن الأسطول الإنجليزي، بقيادة نلسون، وأبحر من طولون في ١٩ مايو لوجهة غير معلومة، وهو يضم ثلاث عشرة سفينة ملاحية، وثلاث عشرة فرقاطة وغيرها من السفن الأصغر، مع ٣٣٦٢٩ رجلا في البعثة^(١٥). وقد احتل نابليون الجزيرة في ١٠ يونيو، محققا بذلك

مطمحا قديما لفرنسا، وساعدت على ذلك جماعة الفرسان الفرنسيين في جمعية سان جوفانى بالقدس، والتي كانت قد حصلت على مالطة كإقطاعية من كارلو الخامس، مع التزامات محددة نحو مملكة صقلية^(١٦). وقد احتل نابليون الجزيرة فى ١٠ يونيو. وعندئذ أعلن الهدف لبحارته. واحتلت الإسكندرية فى ٢ يوليو. وفى ١٢ يوليو وقعت معركة الأهرام، التى دمر فيها نابليون الجيش المصرى.

وبعد أن علم نلسون برحيل الأسطول الفرنسى دعم أسطوله بوحدات أخرى (بلغت فى مجموعها ثلاث عشرة) انطلق لمطاردة نابليون، ووصل إلى مالطة بعد أن كان هذا الأخير قد رحل عنها، وواصل طريقه بعد ذلك إلى الإسكندرية، حيث وصل إلى هناك قبل نابليون بيوم واحد. ولكن عندما لم يجده هناك، عاد نلسون إلى الورا حتى سيراكوزا، ولكنه انقض على الأسطول الفرنسى الذى انتقل إلى خليج فير ودمره بالكامل تقريبا (١ - ٢ أغسطس ١٧٩٨). وكان الانتصار البحرى الكبير، المعروف بمعركة النيل عملا استثنائيا لمهارة وشجاعة وقوة نلسون، الذى وجد الإنجليز فيه بطلا قوميا يمكن أن يقوى على مواجهة نابليون^(١٧).

وفى تلك الفترة الزمنية نفسها (يونيو و١٧٩٨) انفجر تمرد الأسطول الإنجليزى، الذى كان يحاصر قادش، وقمع بسرعة^(١٨).

وقد رفع انتصار نلسون من مكانة إنجلترا، التى كانت أحداث عامى ١٧٩٦ - ١٧٩٧ قد هبطت بها، وشجع النمسا وروسيا على قبول عروض إنجلترا لتكوين تحالف ثان، وأعاد التأكيد على السيطرة الإنجليزية فى البحر المتوسط. وبإبعاده لتهديد نابليون، أسهم فى التخفيف من الموقف الهندى الخطير. وأصبحت مالطة وصقلية، التى لجأ إليها ملك نابولى، صديق نلسون، القاعدتين الإنجليزيتين الكبيرتين فى البحر المتوسط^(١٩).

وقد غضب السلطان من احتلال نابليون للعديد من الأراضى فأعلن الحرب على فرنسا (١١ سبتمبر ١٧٩٨) وعقد تحالفا دفاعيا مع بولس الأول قيصر روسيا (٢٣ ديسمبر ١٧٩٨)^(٢٠). ونتيجة لهذه المعاهدة، كانت روسيا تلتزم بتقديم اثنتى

عشرة سفينة حربية إلى تركيا، وتحصل في مقابل ذلك على حق مرور سفنها عبر الدرنيل. وكانت روسيا آنذاك معادية جدا لفرنسا بسبب احتلال مالطة (١٠ يونيو ١٧٩٨)، التي كانت جمعيتها قد اقترحت وعينت القيصر بولس الأول "معلما كبيرا" (١٠ أكتوبر ١٧٩٨)، على الرغم من الاحتلال الفرنسي^(٢١). وقام أسطول روسي - تركي باحتلال جزر إيونية (أكتوبر ١٧٩٨) في الوقت الذي قام فيه أسطول بريطاني آخر باحتلال مينوركا (٥ نوفمبر)^(٢٢). وقد انضمت إنجلترا عمليا للتحالف التركي - الروسي بالاتفاق الأنجلو - تركي في ٢ يونيو من عام ١٧٩٩^(٢٣).

وباتفاقية أخرى في ٥ يناير ١٧٩٩، ضمنت إنجلترا وتركيا، كل منهما للأخرى، ممتلكاتهما لفترة ثماني سنوات. وكان "بيت" قد أعطى مثل هذا الضمان لتركيا لاقتناعه بالعواقب الضارة لتفكيك أوصالها وأبقى على سرية المعاهدة بسبب العداء الشديد لتركيا في البرلمان (فوكس، بيرك)^(٢٤). وفي الوقت نفسه كانت إنجلترا قد سمعت لوضع حد لعمل نابليون بالدبلوماسية أيضا، بأن أرسلت وفدا إلى بغداد في عام ١٧٩٧ برئاسة هـ. جونز، بهدف خلق توازن لتأثير العناصر الفرنسية، وفي الوقت نفسه كان الحاكم العام للهند ويلزلي يستعين بعميل إيراني في "شركة الهند الشرقية" لإبرام معاهدة مع إمام مسقط (١٢ أكتوبر ١٧٩٨)، وكان هذا هو الفصل الأول في السياسة الإنجليزية في شبه الجزيرة العربية. وفي يناير من عام ١٨٠٠ قام بتجديده القبطان جون مالكولم. فقد أبرم هذا الأخير معاهدة أيضا مع شاه إيران مؤكدا على المساعدة الفرنسية ضد أي هجوم فرنسي. وفي عام ١٧٩٩، قام أسطول رحل من بومباي باحتلال جزيرة "بريم" وبعد ذلك، عندما وجد أنها غير صحية، احتل عدن، التي أبرم قائد الأسطول مع سلطانها معاهدة صداقة وتجارة (٢٠٨١)^(٢٥).

ومع بعثة مصر، ارتكبت فرنسا خطأ من ناحية، لأنها علاوة على تشجيع تكوين التحالف الثاني وجذب الاهتمام الشره لإنجلترا تجاه مصر، خسرت السلطان، الذي اعتمدت عليه دائما لوقف القوات النمساوية والروسية على الحدود مع الإمبراطورية العثمانية، في الوقت الذي كانت تخوض فيه حربها؛ ولكنها من

الناحية الأخرى، أرست القواعد الصلبة لنفوذها القادم في مصر^(٢٦).

وكان انتصار أبو قير قد عزل عن الوطن جيش نابليون الذي قرر مع ذلك البقاء في موقعه، استعدادا لمواجهة الجيشين اللذين كان السلطان قد أرسلهما ضده عن طريق البر والبحر، بالقوة نفسها. وفي هذا الظرف كتب نابليون في خطاب ٧ أكتوبر ١٧٩٨ إلى الحكومة: "إن القوة التي تحكم مصر، هي التي تحكم الهند، على المدى الطويل"^(٢٧).

ويجدر بنا أن نلاحظ هنا، كما يقول الـ"روز"، أنه إذا كان نابليون يهدف لوضع الأسس لعمل قائم محتمل ضد القسطنطينية والهند، باحتلال مصر وبالاتفاقات مع إمام مسقط، وكما حدث فيما بعد في محاولة احتلال سوريا، فإن كل مراسلاته مع الحكومة تبين مع ذلك أنه لم يكن يفكر في تحقيق مثل هذه الخطة في تلك اللحظة، سواء لضالة الإمكانيات المتاحة، أو بسبب الموقف السياسي الدولي، أو لعدم وجود أسطول. وبعد هزيمة الجيش التركي في العريش (٢٠ فبراير ١٧٩٩) واحتلال يافا (٧ مارس ١٧٩٩)، فرض نابليون الحصار على سان جوفاني داكري التي قاومت بعناد، بعد أن قام الإنجليز بتزويدها بالإمدادات. وقد اضطر نابليون في النهاية للتخلي عن مشروعه والعودة إلى مصر (٢١ مايو ١٧٩٩)^(٢٨)، حيث حقق نصرا كبيرا في أبو قير على الجيش الآخر الذي أرسله السلطان (٢١ يوليو ١٧٩٩)^(٢٩). وفي المقابل، قامت إنجلترا، من خلال فرقة بحرية تابعة لها، باحتلال بريم (١٧٩٩) التي تخلت عنها بعد ذلك للاستيلاء على عدن. وفي أعقاب ذلك تخلت أيضا عن عدن لكي تستعيدها نهائيا في عام ١٨٣٩.

وقد ترك نابليون مصر، وركب السفينة متجها إلى فرنسا في ٩ أكتوبر بعد أن استدعته الحكومة للعودة إلى الوطن، بسبب الأحداث الجديدة التي كانت تتطور في أوروبا.

وقد عقد الجنرال كليبر، الذي تركه نابليون لقيادة القوات الفرنسية، اتفاقا مع تركيا (معاهدة العريش، ٢٤ يناير ١٨٠٠)^(٣٠) للجلء عن مصر، ولكن أمام فرض

إنجلترا منح السلام بشرط اعتبار كل أفراد الحملة أسرى حرب، استأنف الحرب وأوقع هزيمة بالأتراك في هليوبوليس (٢٠ مارس ١٨٠٠). وبعد ذلك بقليل اغتيل كليبر، وفي مارس من عام ١٨٠١ هبطت قوات بريطانية بقيادة السير أبركرومبي في أبو قير وأسرت حاميات الإسكندرية والقاهرة في حين قامت قوات أخرى، قادمة من الهند ومن مدينة رأس الرجاء الصالح بالهبوط في القصير. وقد استسلمت القوات الفرنسية نهائيا في أغسطس من عام ١٨٠١. ومن ناحية أخرى، أدى اغتيال القيصر بولس الأول (٢٤ مارس ١٨٠١) إلى غروب خطة غزو الهند، المتفق عليها بين القيصر ونابليون والتي كانت بالفعل في طريقها للتنفيذ^(٣١).

وبعد الجلاء عن مصر، عقدت فرنسا السلام أيضا مع تركيا، وتم التوقيع على المقدمات في ٩ أكتوبر من عام ١٨٠١. وقد أعاد السلام مصر للسلطان وضمن سلامة أراضي الإمبراطورية العثمانية، بينما وضعت جزر إيونية تحت حماية تركيا وروسيا. وبعد ذلك بيومين أرسل نابليون في مهمة خاصة إلى القسطنطينية الكولونيل سيباستيانى، حاملا رسالة منه إلى السلطان^(٣٢). وقد وقع السلام النهائي في ٦٢ يونيو من عام ١٨٠٢.

وهكذا غرب حلم نابليون في إمبراطورية فرنسية كبيرة في الشرق. وإلى الآن، لأنه حتى إذا كانت الفكرة قد داعبته من جديد في ١٨٠٣ و ١٨٠٧ و ١٨١٠، فإنه لم يكن بوسعها تحقيقها^(٣٣).

٣ - كانت انتصارات أبركرومبي والقضاء على العامل الفرنسي قد فرضت على الحكومة الإنجليزية مشكلة التوجيهات الواجب اتخاذها إزاء مصر. وقد أبلغ وزير الخارجية، اللورد هوكسبرى (١٩ مايو ١٨٠١) السفير في القسطنطينية، اللورد إلجين، بأن إنجلترا قد عقدت "العزم الراسخ والأكيد على إعادة كل مصر للباب العالي"، باستثناء الحق في إقامة حامية إنجليزية بطول الساحل طوال مدة الحرب أو لفترة أقل "بهدف حماية مصر ضد أي مخطط للغزو في المستقبل"، وهو ما ستنفذه الحكومة الفرنسية بالتأكيد إذا سنحت لها الفرصة المواتية^(٣٤). ولكن هذه

التوجيهات لم يكن لها أن تستمر طويلا أمام سير الأحداث في مصر والتدخلات التركية. وبالفعل، في الوقت الذي كانت فيه حكومة لندن واللورد إيجين والجنرال هتشنسون، الذي خلف السير أبركرومبي في قيادة القوات في مصر يؤيدون حكام مصر المماليك - الذين ساعدوا الإنجليز على نطاق واسع، والذين كان يبدو أنهم القوة الوحيدة المنظمة تنظيما جيدا والقادرة على التعاون لصد أي غزوات محتملة أخرى. وكانوا ينوون تثبيتهم في امتيازاتهم وممتلكاتهم المكتسبة، كانت الحكومة العثمانية تتوى طردهم من مصر لأنها كانت تعتبرهم مغتصبين للسلطة التركية في البلاد، وكانت تخشاهم بصفة خاصة لأنهم كانوا موضع إعجاب من السكان الذين كانوا، على العكس من ذلك، يكرهون الموظفين الأتراك^(٣٥). وفي مبادرة خاصة من الجنرال هتشنسون، أكد رسميا لزعماء المماليك، الذين كانوا منقسمين إلى ثلاث مجموعات (إبراهيم، عثمان البرديسي ومحمد الألفي) على حماية إنجلترا (٥ مايو ١٨٠١)^(٣٦)، وأعطى بيانا بذلك لوزير الخارجية التركي (٧ يوليو)^(٣٧)، ودعا لإعطاء تعليمات للوزير الكبير، الذي كان آنذاك في القاهرة، حتى يعيد لزعماء المماليك ممتلكاتهم وقراهم. وقد اقترحت حكومة لندن، بدورها، الاعتراف بحقوق الزعماء المماليك (٢٨ يوليو ١٨٠١)^(٣٨)، عندما طلب منها الباب العالي النصح بشأن شكل الحكومة المصرية. ولكن تركيا كانت محجمة عن قبول هذه النصائح^(٣٩). بل إن الوزير الكبير يوسف باشا، قائد القوات البرية والادميرال الكبير أو الكابتن الباشا، حسين، بأمر من السلطان، وأوقعا زعماء المماليك في كمينين، فقتل بعضهم وأسر البعض الآخر (أكتوبر). وبتدخل قوى من الجنرال هتشنسون، الذي وصف الواقعة بأنها إهانة لإنجلترا، التي كان الحكام المماليك تحت حمايتها، أعاد الأدميرال الكبير الأسرى ودفن القتلى مع تكريمهم^(٤٠). ووافقت الحكومة الإنجليزية تماما على عمل الجنرال هتشنسون (٢٧ يناير ١٨٠٢)^(٤١)، فتدخلت هكذا صراحة في الصراع بين الإمبراطورية العثمانية وحكام المماليك لصالح هذا الفريق الأخير.

وهناك محاولة تمت عن طريق ستراتون، سكرتير السفير البريطاني في

القسطنطينية واللورد كافان؛ القائد الجديد للقوات الإنجليزية، لدفع الحكام المماليك للتخلي عن مصر بالذهاب إلى القسطنطينية أو إلى أرض بريطانية، وباعت بالفشل (يناير - مارس ١٨٠٢)^(٤٢) وعندئذ بدأ صراع عنيف بين العناصر التركية والمملوكية، خاصة بعد أن عين محمد خوسريف باشا على مصر (يناير ١٨٠٢).

وفي أعقاب معاهدة أمينز في ٢٥ مارس ١٨٠٢، التي كانت تفرض في الوقت نفسه على فرنسا وعلى إنجلترا الجلاء من النقاط المحتلة في البحر المتوسط بالقوات المسلحة للبلدين، كان على إنجلترا الجلاء عن مصر. وقد فكرت في الحفاظ على مصالحها في البلاد بتدعيم قوة الحكام المماليك، الذين كان عليهم أن يتولوا من جديد زمام الأمور بدفع جزية كبيرة في مقابل ذلك للباب العالي. وبهذه الطريقة ستكون لها في مصر حكومة ودية وفي الوقت نفسه قادرة على مواجهة أي عمليات فرنسية محتملة. وقد عهد بتنفيذ هذا المشروع للعميد ستيوارت، الذي كان قد نصح به في الوقت نفسه^(٤٣). وقد أعطيت أيضا لستيوارت التعليمات بالمرور بالقسطنطينية، للحصول على موافقة الباب العالي على المشروع المذكور أو ما يتبع ذلك من موافقة على مشروع إبعاد الحكام المماليك إلى أقاليم صعيد مصر (١٠ أغسطس ١٨٠٢)^(٤٤). وعند وصوله إلى القسطنطينية، قابل ستيوارت المعارضة الحاسمة للباب العالي لأي مشروع لا يتضمن إبعاد المماليك عن مصر (يوليو - أغسطس ١٨٠٢)^(٤٥). وبعد انتقاله إلى مصر، حيث تولى بعد ذلك بقليل قيادة القوات البريطانية (١٠ أكتوبر)، حاول ستيوارت الوصول إلى اتفاق بشأن المماليك مع خوسريف باشا، ونصح الحكومة البريطانية في الوقت نفسه بإطالة أمد الاحتلال لتسهيل مباحثاته واحتلال بعض حصون الإسكندرية^(٤٦).

وفي ١٦ أكتوبر وصل الإسكندرية الكولونيل سييستياني، الذي بعثه نابليون في مهمة، تجارية على ما يبدو، في البحر المتوسط، والذي أعرب عن احتجاجه للجنرال ستيوارت لأن القوات الإنجليزية كانت لا تزال في مصر على الرغم من الالتزام بمعاهدة أمينز؛ وعندئذ واصل طريقة إلى القاهرة حيث أبلغ خوسريف باشا

بنية القنصل الأول إعادة العلاقات التجارية بين فرنسا ومصر وقدم مساعيه الحميدة للوصول إلى اتفاق بينه وبين المماليك، وهي خدمات رفضها الباشا^(٤٧). واستجابة لاحتجاج سيباستياني وإحاح الباب العالي، على الرغم من المخاوف من عمل العميل الفرنسي، أصدرت الحكومة البريطانية الأمر في ٢٦ نوفمبر للجنرال ستيوارت بالسعي للجلاء عن مصر^(٤٨). وفي الوقت نفسه، كانت قد حدثت هناك في شهر نوفمبر مصادمات شديدة بين قوات الحاكم المملوكي الألفي وقوات خوسريف التركية، وهي مصادمات انتهت لصالح الفريق الأول.

وقد بقي ستيوارت محايدا بين الجماعتين، وبعث مساعده في الميدان، اللورد بلانتير إلى القسطنطينية لدفع اللورد إيجين للتدخل لدى الباب العالي للحصول على تسوية للموقف المصري لصالح الحكام المماليك (٢١ نوفمبر ١٨٠٢)(٤٩).

وقد دفعت الأخبار المرسلة من خوسريف حول النشاط الذي قام به سيباستياني في القاهرة وتلك التي نقلها من باريس دبلوماسي تركي حول نوايا نابليون في الاهتمام بإعادة سلطة المماليك، بالإضافة إلى الأخبار التي قدمها عند عودته اللورد بلانتير حول الهزائم التي تعرضت لها القوات التركية في مصر (٥٠)، كل هذه الأخبار دفعت الباب العالي (٣ - ٥ يناير ١٨٠٣) لإعطاء الحكام المماليك إقليم أسوان، في صعيد مصر، ومعاشات ضعف تلك التي كانوا يتقاضونها في السابق، بشرط عدم التدخل في حكم البلاد (٥١).

وفي الوقت نفسه كان الجنرال ستيوارت قد استمر في إجراء المفاوضات بين المماليك وخوسريف؛ ولكن بعد تلقيه الأمر في ١٩ يناير ١٨٠٣ بالجلاء بتاريخ ٢٦ نوفمبر، نصح المماليك بانتظار قرارات القسطنطينية (٥٢) إلا أنه عندما وصل اللورد بلانتير إلى القسطنطينية، لم يشعر بضرورة إبلاغ المماليك بالقرارات المتخذة حيث إن إقليم أسوان كان صغيرا وبائسا، وغير كاف لإعاشة القوات والزعماء المماليك (٥٣)؛ ولذا فإنه رحل من الإسكندرية مع القوات في ١١ مارس ١٨٠٣، مصطحبا معه الحاكم المملوكي الألفي ليستخدمه في اللحظة المناسبة.

وهكذا فشلت السياسة الإنجليزية، التي كانت تهدف للوصول إلى اتفاق بين الباب العالي والمماليك وتدعيم قوة هذا الفريق الأخير.

٤ - وعند رحيله، ترك الجنرال ستيوارت في القاهرة "وزيراً بريطانياً مقيماً لدى باشا مصر"، وهو الميجور ميسير، مع الأمر بمراقبة نشاط نابليون في مصر ومنع استخدام الباشا أو السلطان لعناصر فرنسية، مع البقاء بعيداً عن قضية المماليك (٥٤). وقد تلقى ضابط مدفعية بقي مع ميسير، من الجنرال تعليمات تفصيلية للدفاع عن ميناء الإسكندرية، التي كان من المقرر أن تكون النقطة الحصينة الرئيسية ضد أي هجوم محتمل لنابليون (٥٥).

كان نشر التقرير الشهير لسيباستياني (٣ يناير ١٨٠١) الذي كشف المخططات الطموحة لنابليون بشأن الشرق الأدنى وخاصة بشأن مصر، قد دفع إنجلترا للاحتفاظ بمالطة (التي كان يتعين عليها بموجب معاهدة أمينز، إعادتها لجمعية الفرسان)، وبالتالي لبدء الحرب من جديد مع نابليون (مايو ١٨٠٣). وكان من المقرر أن تنطلق من مالطة القوات البحرية وقوات الإنزال لحماية مصر أو أي نقطة أخرى في البحر المتوسط يحاول نابليون التمرکز فيها.

وفي الوقت نفسه كان الجنود الألبان (الأرناؤوط) الغاضبون في مصر لعدم تقاضيهم أجرهم منذ زمن طويل، قد تمردوا وطردهوا خوسريف، وكونوا بالتالي تحالفاً مع الحكام المماليك لمواجهة الانكشاريين، القادمين لمساعدة خوسريف. وبتحاديهم على هذا النحو، احتل الألبان، بقيادة محمد علي والمماليك كل مصر باستثناء الإسكندرية (أبريل - يوليو ١٨٠٣)، واقتسموا السلطة في البلاد (٥٦). كان الباب العالي قد قبل بالأمر الواقع، وعين الباشا الجديد، محمد علي، معترفاً بسلطة المماليك (٥٧)، ولكن المماليك لم يقبلوا ذلك ولا حتى الباشا الجديد، الذي بقي في منصبه حتى ديسمبر ١٨٠٣ (٥٨). وقد قام حاكم مالطة، عن طريق المبعوث الإيطالي (الكابتن فينتشنتسو تابيرنا)، وحكومة لندن، عن طريق الألفي المملوكي، المبعوث من جديد إلى القاهرة، والميجور ميست والقنصل العام الجديد

"لوك"، قاموا بالاتصال من جديد بالحكام المماليك ووعدهم بالتدخل لدى الباب العالي للاعتراف بحقوقهم (٥٩). بعد أن انزعجوا من أن المماليك قد لقوا مساندة القنصل الفرنسي ديليسبس، ولذا فإنهم يمكن أن يشجعوا إنزالا بحريا فرنسيا في مصر.

وقد توجه ديليسبس بدوره نحو الألبان (٦٠) إلا أن الخصومة فيما بينهم، والتوتر مع القوات الألبانية، بقيادة الماهر محمد علي، والاستياء الذي تولد بين السكان بسبب إدارتهم السيئة أدى بالمماليك إلى الدمار. وفي ١١ مارس ١٨٠٤ هاجمت القوات الألبانية المماليك الذين نجحوا بصعوبة في الهروب من القاهرة. وقد أصدر محمد علي فرمانا زائفا يعين خورشيد باشا حاكما لمصر، بعد أن أعيد وضع خوسريف مكانه لمدة ٤٠ ساعة فقط (٦١). وفي أثناء عام ١٨٠٤ احتدمت الحرب الأهلية في مصر؛ في البداية، محمد علي وخورشيد ضد المماليك، وبعد ذلك محمد علي ضد خورشيد والقوات المبعوثة من تركيا. وكانت نتيجة هذه الحرب أن محمد علي عمل على تعيين نفسه باشا للقاهرة (أي لمصر) بمساعدة علماء الدين والقضاء في ١٣ مايو ١٨٠٥، بعد أن اتضح أنه الأقوى والأقدر، حيث وعد بإصلاحات واسعة في الوقت نفسه. وقد قام مندوب من السلطان بالتصديق على هذا المنصب في ٢٤ يوليو التالي (٦٢). وقد اعتبر الـ"ميسر" انتصار محمد علي نجاحا للنفوذ الفرنسي، ولذا فقد توجه من جديد نحو الحكام المماليك وهاجم "الإجراءات الإجرامية" التي استولى بها محمد علي، على السلطة (٦٣). وهناك موقف مماثل اتخذه الباب العالي الذي أجرى مفاوضات مع الألفي، الحاكم المملوكي، الذي كان قد حقق في الشهور الأولى من عام ١٨٠٦ نجاحات ضد القوات الألبانية. وفي ٢ يونيو ١٨٠٦ تم التوصل إلى اتفاق بين ممثل الألفي المملوكي والباب العالي: كان من المقرر أن يعين محمد علي باشا لسوريا، وكان سيأخذ مكانه موسى باشا وهو من مدينة سالونيك، في حين أن المماليك كانوا سيحصلون على بعض الامتيازات (٢ يوليو ١٨٠٦) (٦٤)، ولكن عندما أبلغ الأدميرال الكبير محمد علي بقرارات الباب العالي (٦٥)، فإن هذا الأخير، بمساندة

ونصح من القنصل الفرنسي نورفيتي، اعترض بشدة (٦٦). وبعد أن خلق خلافات بين الزعماء المماليك، وتصرف بمهارة بين علماء الدين والقضاء، أقنع محمد علي الأدميرال الكبير باستحالة تحقيق مشروعه. وفي ٢٩ سبتمبر صدق الباب العالي من جديد على تعيينه باشا لمصر (٦٧).

وخرجت السياسة الإنجليزية مهزومة مرة أخرى، فقد فشلت تماما محاولة خلق حكومة مملوكية قوية، موالية لإنجلترا ومعادية لفرنسا، وقادرة على مواجهة أية مشروعات نابليونية محتملة للإنزال في مصر.

ولكن الحقيقة هي أن وزير الخارجية هاروي منذ الـ ١٩ من أكتوبر ١٨٠٤، على الرغم من عدم موافقته على الاقتراح المقدم للباب العالي بإرسال حامية إنجليزية إلى الإسكندرية، فإنه أعطى تعليماته لستراتون حتى يحذر الباب العالي من أنه في حالة حدوث تهديد من جانب فرنسا بالقيام بإنزال في مصر، فإن إنجلترا ستتدخل على الفور، دون انتظار موافقة الباب العالي (٦٨).

٥ - وفي الوقت نفسه أبرمت روسيا في القسطنطينية معاهدة تحالف مع تركيا (٢٣ سبتمبر ١٨٠٥) بفضل التدخل الفعال للسفير الإنجليزي أربوثوت، وبعد أن قضى على نفوذ السفير الفرنسي برون في عام ١٨٠٤، وبموجب هذه المعاهدة دخلت روسيا عمليا لتكون جزءا من التحالف الثالث المناوئ لنابليون، والذي كان يقوم "ببيت" بتكوينه شيئا فشيئا. وقد صدقت المعاهدة من جديد علاوة على ذلك على حق السفن الحربية الروسية في المرور في الدردنيل (٦٩). إلا أن خبر انتصار نابليون على الجيوش النمساوية الروسية في أوسترليتس (٢ ديسمبر ١٨٠٥)، وما أعقب ذلك من إبرام للسلام في برسبورج (٢٦ ديسمبر) مع التنازل عن دالماتسيا لفرنسا، مما جعلها على اتصال بالأراضي العثمانية، كل هذا قدم مبررات ممتازة لرجال الدبلوماسية الفرنسيين في القسطنطينية لإبعاد السلطان عن التحالف مع روسيا وإنجلترا وتوجيهه من جديد نحو فرنسا. وهكذا رفض السلطان تجديد المعاهدة مع إنجلترا واتخذ موقفا معاديا تجاه روسيا، واضعا بعض

المصاعب عند مرور السفن الحربية الروسية في الدردنيل، وهو ما تنص عليه معاهدة ٢٣ سبتمبر المذكورة، وألغى في الوقت نفسه امتيازات الرعايا الروس في تركيا (٧٠). وقد تدخل السفير الفرنسي الجديد سيياستياني ليحسم نهائيا موقف السلطان المناوئ لروسيا، فقد أعطاه نابليون توجيهات محددة (٩ يونيو ١٨٠٦) (٧١): إبرام تحالف بين فرنسا والباب العالي وإيران، ونزع الثقة عن روسيا وإغلاق البوسفور أمام سفنها؛ واستعادة السيطرة على فالاكيا ومولدافيا.

كان سيياستياني قد وصل منذ عدة أيام إلى القسطنطينية (١٠ أغسطس ١٨٠٦) عندما وصل الخبر بأن سلاما منفصلا قد تم التوقيع عليه في باريس بين روسيا وفرنسا (وهو ما يسمى بمعاهدة أوبريل في ٢٠ يوليو ١٨٠٦). وقبل أن تبلغ بطرسبرج الباب العالي أن السفير الروسي دوبريل لم يكن مفوضا لإبرام هذا السلام، كان سيياستياني قد استغل الخبر للإيعاز للسلطان بأن روسيا أصبحت خارج القتال ولدفعه لإقالة الـ *gospodar* في مولدافيا وفالاكيا، في انتهاك للاتفاقيات القائمة مع روسيا. وقد حاول السفيران الروسي والإنجليزي بكل السبل العمل على تراجع السلطان عن موقفه. وكانا على وشك النجاح في ذلك، ولكن الحضور اليقظ لسيياستياني، الذي مجد انتصار وقوة نابليون، أحبط كل جهودهما. وعندما لم ترض روسيا بما حدث قامت بغزو مولدافيا وفي ٢٣ ديسمبر ١٨٠٦ أعلن السلطان الحرب على روسيا (٧٢).

وفي الوقت الذي كانت تحدث فيه هذه الأحداث في القسطنطينية، كان نابليون قد أجرى مفاوضات مع إنجلترا وروسيا لإبرام السلام (مارس - سبتمبر ١٨٠٦)، وهي مفاوضات لم تسفر عن شيء بالنسبة لمحاولة نابليون الفصل بين القوتين. وفي تزامن مع هذه المفاوضات، كانت روسيا قد اقترحت على إنجلترا اعتبار اليونان والإمارات السلافية دولا مستقلة مع وضعها تحت سيطرتها. وكانت قد تقدمت بمثل هذا الاقتراح ضد الإمبراطورية العثمانية لتعويض الخسائر التي تعرضت لها في أعقاب معركة أوستيرليتس ومعاهدة بريسيرج. وكان فوكس الذي أصبح وزير للخارجية قد غير موقفه المناوئ لتركيا، ورد بصورة غير مباشرة

على روسيا بأن المصلحة الإنجليزية تقتضى الحفاظ على سلامة الأراضي العثمانية، حيث إن كل استيلاء روسى سيؤدى إلى استيلاء فرنسى آخر فى الجنوب وهو الاستيلاء على مصر، وهو أمر لا يمكن قبوله بالنسبة لإنجلترا لأنها ستترى فيه تهديدا لطريق الهند. ومع ذلك فإنه فى حالة تقسيم تركيا، فى رأى فوكس، ستقوم إنجلترا باحتلال الإسكندرية فى مصر وكريت (٧٣).

وبعد اندلاع الحرب بين روسيا وتركيا وإغلاق المضائق (١٦ يناير) أصبحت العلاقات بين السفير الإنجليزى والباب العالى متوترة، حتى إن السير أربوثت اضطر للهروب على متن سفينة حربية إنجليزية والخروج من الدردنيل (٢٩ يناير ١٨٠٧) (٧٤) ولمساندة الحليفة روسيا، ودون إعلان الحرب، كانت لندن فى الوقت نفسه قد أرسلت فرقة بحرية إلى الدردنيل، بقيادة السير دكورت لإجبار تركيا بالقوة على إبرام السلام مع روسيا واستعادة الوضع السابق. وبعد اقتحام ممر الدردنيل وتدمير الأسطول التركى (١٩ فبراير ١٨٠٧) أجرى دكورت وأربوثت مفاوضات مع وزير الخارجية التركى، ولكن دون أى نتيجة. ونظرا لأن تركيا، فى الوقت نفسه، وبالتعاون مع الفنيين وضباط سلاح المهندسين الذين استدعاهم سيباستيانى من دالماتسيا، كانت قد حصنت الساحلين بقوة، فإن السير دكورت اعتبر أن من الممكن القيام بعملية قوة ضد القسطنطينية، على الرغم من إحاح الأدميرال الروسى الذى وصل بفرقة أخرى؛ ولهذا فقد أصدر الأمر بعبور الدردنيل من جديد والتوجه نحو الإسكندرية فى مصر (١٣ مارس ١٨٠٧) (٧٥).

وهناك كان يجرى (١٦ - ١٩ مارس) إنزال قوة من ٦٠٠٠ رجل، بقيادة الجنرال فريزر، التابع للقيادة البريطانية فى صقلية. وبعد احتلال الإسكندرية فى ٢٠ مارس، تعرض الإنجليز لهزيمة شديدة فى رشيد (٣١ مارس). وقد تعرضوا لهزيمة أكبر فى المنطقة نفسها فى ٢١ أبريل عندما وصل محمد على. وعند إنزال الإنجليز كان محمد على مشغولا فى صعيد مصر ضد المماليك، ولكن بعد إبرام السلام معهم، هرع إلى الشمال، بعد أن نصحه أيضا القنصل الفرنسى دروفيتى، القادم من إقليم بيمبونتى، والذى كان على اتصال بسيباستيانى فى القسطنطينية. وقد

واجه محمد على الإنجليز، وهزمهم في رشيد وأجبرهم على التحصن في الإسكندرية، حيث بقوا حتى سبتمبر، أي حتى تم الوصول إلى اتفاق بينه وبين فريزر للجلاء عن المدينة وتبادل الأسرى (٧٦). وقد فرض الجلاء على السلطات الإنجليزية أيضا لنقص التعزيزات، التي لم يكن من الممكن نقلها من سوريا ولا إرسالها من الوطن الأم. ومع استمرار الحرب مع تركيا، كانت صقلية تبدو أكثر أهمية من مصر؛ ولهذا كان يبدو من الأنسب التخلي عن مصر. وكان الناس في إنجلترا تشعر بمرارة بهزائم القسطنطينية والإسكندرية.

٦ - بعد تكوين حكومة بورتلاند (مارس ١٨٠٧)، فكر وزير الخارجية جورج كانينج في تكرار المحاولة لدى الباب العالي من أجل سلام مع روسيا والقضاء على النفوذ الفرنسي (١٥ مايو ١٨٠٧) (٧٧).

وعندما أبرمت روسيا السلام مع نابليون بوقوفها إلى جانبه وبعد ذلك مع تركيا (هدنة سلوبورزي، ٢٤ أغسطس ١٨٠٧) (٧٨)، قرر كانينج الوصول إلى سلام منفصل مع تركيا، ومساعدتها على الإبقاء على سلامة أراضيها بمساندة الأسطول الإنجليزي والإمداد بالأسلحة والذخائر (٧٩).

وفي تيلسيت، كان نابليون والإسكندر الأول قد اتفقا على اقتسام الأقاليم الأوروبية من تركيا، المطلة على البحر الأسود وبحر إيجه، لأن نابليون أيضا لم يكن يريد السماح بدخول الأسطول الحربي الروسي في البحر المتوسط. وكانت تركيا قد تصورت وجود هذا الاتفاق الفرنسي - الروسي ضدها، ولكن نفوذ سيباستيانى كان هائلا. ولهذا فإن محاولة السلام عن طريق السير باجيه فشلت (٢٠ أكتوبر ١٨٠٧) (٨٠). وفي الوقت نفسه لم تكن تركيا مخطئة في التشكيك أيضا في إنجلترا. ففي الواقع، عندما استؤنفت المفاوضات في عام ١٨٠٨ عن طريق السفير أدير، من أجل المساعدة الواجب تقديمها لتركيا، سبق كانينج في هذا ديزرائيلى، وأعطى تعليمات للسفير للمطالبة (٢٦ يونيو ١٨٠٨) بالامتلاك أو الاحتلال المؤقت بجزيرة أو ميناء في الأرخبيل، مركزا اهتمامه بعد ذلك على كريت، "أفضل عقبة أمام تجمع القوات البحرية لفرنسا وروسيا"، سواء ضد القسطنطينية أو ضد

مصر (٨١). وكان هذا الاختيار فى الحقيقة أفضل من ذلك الذى تقدم به بعد ذلك
ديزرائيلى فى عام ١٧٧٨ عندما طالب بقبرص وحصل عليها.

وقد استمرت مفاوضات السلام طوال عام ١٨٠٨. وتم التوقيع على السلام
فى ٥ يناير ١٨٠٩ (٨٢). وفى حين لم تحصل إنجلترا على الملكية أو الاحتلال
المؤقت لآى جزيرة، فإنها قبلت الاعتراف "بالقاعدة القديمة للإمبراطورية
العثمانية" (٨٣) بشأن حظر دخول السفن الحربية الأجنبية المضايق، ووعدت، فى
بند سرى بـ ٣٠٠٠٠٠٠ جنيه استرلينى لتركيا إذا دخلت الحرب إلى جانبها ضد
نابليون. ومن خلال الإمبراطورية العثمانية استطاعت العديد من المنتجات
الاستعمارية الإنجليزية دخول أوروبا، وأفلتت هكذا من الحصار المضاد لنابليون.

وجدير بالذكر أن السلطان سليم الثالث تمت تـتـحـيته فى ٢٩ مايو ١٨٠٧ فى
أعقاب ثورة. ولفترة تزيد قليلا عن العام تولى منصبه ابن عمه مصطفى الرابع. ثم
أعلن محمود الثانى سلطانا، فى أعقاب ثورة أخرى (٢٨ يوليو ١٨٠٨).

ويجدر بنا أن نوضح، علاوة على ذلك، أن كانينج، فى إعطائه للتعليمات
الموجزة للسير أدير، كان أيضا قد صاغ السياسة البريطانية بشأن الحفاظ على
سلامة أراضى الإمبراطورية العثمانية، وهى سياسة سـيـتـبـعـها بعد ذلك الذين
سيخلفوه، باستثناء انتهاكها لصالح بريطانيا. وفى الوقت نفسه كان كانينج نفسه قد
عنى فى تعليماته بأن قال لأدير أن يتجنب أى التزام فى الاتفاق يمكن أن يعنى
"ضمانا رسميا بسلامة الأراضى العثمانية". وقد كان التزام "بيت" فى عام ١٧٩٩
الأول والأخير من هذا النوع. ومن كانينج فصاعدا، دافعت السياسة البريطانية عن
مبدأ سلامة الأراضى العثمانية ضد كل من يمكن أن يلحق الضرر بأوضاعها، وقد
انتهكت هذا المبدأ فى كل مرة كان هذا مناسبا لها. ففي عام ١٨٠٨، تجنب كانينج
إعطاء ضمان إنجليزى لأنه "كان قد شعر بأنه لم يكن يوسع ضمان مصر" (٨٤)،
أى من الاحتلال البريطانى، لو كان هذا ضروريا فى حالة حدوث غزوات روسية
أو فرنسية للأراضى العثمانية.

٧ - فى السنوات التالية مباشرة لجلاء القوات الإنجليزية عن الإسكندرية (١٨٠٨ - ١٨١٢) كانت لمصر أهمية من أربع وجهات نظر (٨٥):

أولا - الموقف الداخلى، أى العلاقات بين محمد على والمماليك.

ثانيا - خطة نابليون لغزو مصر من جديد.

ثالثا - العلاقات بين محمد على وإنجلترا.

رابعا - العلاقات بين محمد على وتركيا.

وقد قيل من قبل أنه لحظة الإنزال الإنجليزي فى الإسكندرية (مارس ١٨٠٧) كان الباشا فى حرب مع المماليك فى صعيد مصر. ولو أن الإنجليز نسقوا عملهم مع هؤلاء، لوجد محمد على نفسه فى موقف سيئ، وربما مميت. وخوفا من احتمال تكرار هذا الخطر، قرر الباشا التخلص نهائيا من خصومه، بعد أن حاول التوصل إلى اتفاقيات أو الفصل بين مختلف الزعماء عن طريق الهدايا والوعود. وهكذا هاجم زعماء المماليك فى الفيوم بقوات هائلة فى أغسطس ١٨١٠، وهزمهم هزيمة منكرة. ونظرا لأن بعض الباقين على قيد الحياة استأنفوا التآمر ضده، فقد استدرجهم محمد على إلى كمينين فى القاهرة (١ مارس ١٨١١) وإسنا (مايو ١٨١٢) وقتلهم جميعا. وقد انتهت القضية المملوكية نهائيا بهذه الأساليب السريعة (٨٦).

وفى الشهور الأولى من عام ١٨٠٨ فكر نابليون فى خطة لإعادة غزو مصر.

وقد نصح قيصر روسيا نفسه نابليون باحتلال سوريا ومصر، حيث كان يريد تنفيذ خطة تقسيم الإمبراطورية العثمانية التى ناقشها الزعيمان فى تيلسييت (٨٧). وقد كان نابليون، بدوره، بالخطاب الشهير فى ٢ فبراير ١٨٠٨، يحاول أن يدفع القيصر نحو الهند (٨٨). ويبدو أن إنجلترا كانت على علم بهذه المشروعات، إذا كانت فى فبراير ١٨٠٨ قد أبلغت محمد على مسبقا، عن طريق قنصلها، بالإنزال الفرنسى على سواحل مصر (٨٩).

وفى مايو ١٨٠٨ فكر نابليون فى حملة متزامنة ومزدوجة ضد الهند وضد مصر وأعطى أوامره فى هذا الشأن لوزير البحرية (١٣ و ٢٦ مايو) (٩٠). ولكن شتون إسبانيا والحرب الجديدة ضد النمسا أثتته عن مثل هذا المشروع. وقد عاد إليه فى ١٨١٠، حتى إنه أعطى تعليماته (١٥ يوليو) لبناء أسطول صغير للنقل فى البحر المتوسط ومطالبة القناصل الفرنسيين (٣١ أكتوبر و ٦ ديسمبر) بأخبار عن الوضع السياسى والاقتصادى والعسكرى لسوريا ومصر. وفى اللحظة المناسبة، أرسل إلى هذه الأقاليم أيضا ضابطين، أنيرسيا وألبوتان. وكان نابليون يخطط لتنفيذ الحملة ضد مصر (١٧ سبتمبر ١٨١٠ و ٨ مارس ١٨١١) (٩١). ومن القاهرة، كان القنصل دروفيتى والكولونيل بونتان يخبرانه (٥ يونيو ١٨١١)، ولكن ربما دون دقة كبيرة، بأن محمد على لن يستطيع الوقوف فى وجه غزو فرنسى؛ بل إنه، فى رأيهم كان يقوم بدراسة خطط للانسحاب، مع اعتماده على مساندة إنجلترا فى مثل هذا الاحتمال (٩٢).

إلا أن الأمور سارت بصورة مختلفة ولم يستطع نابليون تحقيق مشروعه؛ وهذا بصفة خاصة لأن التحالف الفرنسى - الروسى لم يدم طويلا. وفى أبريل ١٨٠٩، وبعد فشل المفاوضات لإبرام السلام بعد هدنة سلوبودزى، كانت تركيا قد شنت الحرب من جديد على روسيا (٩٣). وقد أعادت الخلافات مع نابليون، وخاصة فى تطبيق الحصار القارى، أعادت روسيا إلى إنجلترا. وبفضل التدخل الماهر للسفير البريطانى فى القسطنطينية، ستراتفورد كانينج البالغ من العمر أربعة وعشرين عاما، والذى أحبط محاولة للسفير الفرنسى، الذى ساندته السفير البابوى للنمسا، التى أصبحت حليفة الآن لنابليون، لجذب تركيا لصفها، قبل الإسكندر الأول مطالب السلطان (إعادة مولدافيا وفالاكيا وصربيا) وأبرم السلام معه (معاهدة بوخارست، ٢٨ مايو ١٨١٢) (٩٤).

وفى ١٨ يوليو ١٨١٢، أبرمت روسيا أيضا معاهدة سلام وتحالف (٩٥) مع إنجلترا، بعد أن كانت بعض الأعمال العدائية قد بدأت فى يونيو. وفى اليوم نفسه أبرمت أيضا معاهدة سلام وتحالف بين إنجلترا والسويد (٩٦)، اللتين كانتا فى حالة حرب من نوفمبر ١٨١٠. وهكذا تكون التحالف السادس ضد نابليون.

وأصبحت العلاقات بين محمد علي وإنجلترا، بعد عام ١٨٠٧، وثيقة جدا لسببين:

أولاً: لأن إنجلترا جعلت من مصر المركز الرئيسي للإمداد لمالطة (وخاصة من القمح)، مع ميزة كبيرة لمحمد علي، الذي طلب دفع ثمن باهظ لمنتجاته، التي لم يكن من الممكن في الوقت نفسه تصديرها إلى فرنسا (٩٧)، نتيجة لفاعلية الحصار الإنجليزي؛ ثانياً: لأنه كان يعتمد على مساندة إنجلترا للحصول على استقلال مصر عن تركيا وتنازل تركيا عن ولاية سوريا (٩٨)، وبعد ذلك أيضاً ولاية درنة في أعقاب زواجه من ابنة حاكم درنة (٩٩). والحقيقة هي أنه في أثناء عام ١٨١٠ وبالذات عندما كان يلوح في الأفق تهديد الغزو الفرنسي، أعرب محمد علي عن عدائه تجاه إنجلترا وبحث عن المساعدة الفرنسية لتحقيق استقلاله (١٠٠)، ولكنها كانت ظواهر عابرة. وفي عام ١٨١١ استند صراحة إلى إنجلترا، وفي هذا العام عين قنصلاً عاماً إنجليزياً الكولونيل ميست، الذي كان قد شارك من قبل في الحملة ضد نابليون (١٠١). وفي يوليو من عام ١٨١٦ وقع الإنجليز على معاهدة تجارية مفيدة مع مصر عن طريق القنصل الجديد سولت (١٠٢).

ويجب أن نذكر هنا الحملات المصرية في الجزيرة العربية في السنوات ١٨١١ - ١٨١٨، في إطار تاريخ مصر وعلاقاتها مع حكومة القسطنطينية والعالم الإسلامي المحيط بها.

وبعد أن حصل من الباب العالي في عام ١٨٠٩ على تكليف بقمع الثورة الوهابية في الجزيرة العربية (١٠٣)، نظم محمد علي حملة (١٠٤) وعهد بقيادتها لطوسون باشا، الذي احتل ينبع، وميناء المدينة، في سبتمبر ١٨١١ ولكنه تعرض لهزيمة منكرة في ممرات بدر الضيقة، في كمين وهروب بعض القادة. وقد تصرف محمد علي آنذاك بمنتهى القوة؛ فاستدعى إلى القاهرة مختلف القادة، عهد بقواتهم للقيادة المباشرة لطوسون. وعند استئناف الهجوم، احتل طوسون المدينة في نوفمبر ١٨١٢، ومكة في يناير ١٨١٣، ولكنه تعرض لهزيمة جسيمة على أيدي

الوهابيين فى القنفذة (مارس ١٨١٤). فى يناير من عام ١٨١٥ تولى محمد على بنفسه قيادة القوات، فاحتل الطائف والترابفة والقنفذة. وفى عام ١٨١٦، أعدت حملة أخرى بقيادة إبراهيم، ابن محمد على. فهاجم الوهابيين بقوة، وتغلغل فى نجد وفى ٩ سبتمبر ١٨١٨ احتل الدرعية عاصمة الوهابيين. ونقل ملكهم، عبد الله إلى القسطنطينية وقطعت رأسه. وقد رفعت النجاحات التى تحققت فى سبع سنوات من الحرب فى الجزيرة العربية من مكانة محمد على بصورة هائلة وشجعت خططه وطموحاته. ويبدو أنه فكر أيضا فى غزو اليمن، ولكن إنجلترا أثنته عن ذلك (١٠٥).

وبعد إخضاع الجزيرة العربية الوهابية، وجه محمد على اهتمامه إلى السودان (١٨٢٠ - ١٨٢٣)، ولكننا سنتحدث عن هذه العملية فى دراسة مستقلة.

٨ - بعد عمليات الجزيرة العربية والسودان، كرس محمد على نفسه للتتظيم الإدارى والعسكرى والتنمية الاقتصادية لمصر. وبالتعاون مع ضباط فرنسيين ماهرين - مثل الكولونيل سيف (المعروف باسم سليمان باشا) والجنرال بوير (١٠٦) - وإيطاليين (١٠٧)، نجح الباشا فى خلق كوادر وقوات من الطراز الأول، فأصلح تنظيم الجيش، مما أدى إلى ثورة فى الإسكندرية فى مارس ١٨٢٤ (١٠٨). وقد امتد نشاطه الإصلاحى إلى كل المجالات تقريبا، من المجال الإدارى (بإنشاء الإدارات الإقليمية واستبدال الموظفين) إلى المجال الاقتصادى وخاصة فى مجال إنتاج وتصدير القطن (١٠٩).

وكمكافأة قدم السلطان لمحمد على ولاية دمشق، ولكنه رفضها بعد ذلك، ويبدو تحت ضغط من خصمه القديم خوسريف، الذى كان قد طرده من القاهرة (١١٠). وكانت طموحات الباشا تتجاوز ذلك بكثير، فقد كانت تتعلق بولايات سوريا وموريا. وقد سنحت الفرصة المواتية فى يناير ١٨٢٤ عندما منحه السلطان ولاية موريا بشرط محاربة المتمردين اليونانيين (١١١). وقد قبل محمد على التكليف عن طيب خاطر لأنه رأى فيه فرصة جميلة لكى يظهر للعالم أجمع قوة

دولته الشابية، وأن يظهر للقاصى والدانى تفوقه على الباب العالى، ويحاول الإفلات من سيطرته بالخدمات المقدمة، وتنظيم ولاية موريا، ووضع نشاط اليونانيين فى خدمة مصر، بالسيطرة على جنوب أوروبا وتحويل البحر المتوسط الشرقى إلى بحيرة مصرية" (١١٢).

وأعد محمد على حملة لغزو موريا، بقيادة ابنه إبراهيم (١١٣). وبعد رحيلها من الإسكندرية فى ١٩ يوليو ١٨٢٤، عملت هذه الحملة فى البداية تحت الأوامر المباشرة للأدميرال الكبير التركى، وهو خوسريف نفسه الذى سبق ذكره، الذى تعرض لخسائر جسيمة على أيدي البحرية اليونانية بالقرب من رودس وسامو (أكتوبر)، وعندئذ توقف فى كانديا لى ينزل بعد ذلك فى مودون بالقرب من نافارينو فى موريا (فبراير ١٨٢٥) (١١٤). وفى تلك الأثناء كان أسطول خوسريف يتعرض لخسائر جسيمة (يوليو ١٨٢٥) (٧)، وقام إبراهيم خلال عام ١٨٢٥ — ١٨٢٦ بغزو كل موريا تقريبا بما فى ذلك قلعة نافارينو (٨١ مايو ١٨٢٥) وميسولونجى (٤٢ أبريل ١٨٢٦) (١١٥).

وقد حدثت هجمات من سفن حربية يونانية لميناء الإسكندرية فى أغسطس ١٨٢٥ وفى يونيو ١٨٢٧، ولكن دون نجاح، كما كانت هناك لم يكتب لها النجاح أيضا للإنزال فى سوريا فى أبريل ١٨٢٦ (١١٦).

وفى الوقت نفسه كانت هناك مصالحة بين محمد على وخوسريف فى أغسطس ١٨٢٥. وفى أكتوبر تلقى الباشا من السلطان فرمانا بالتعيين رئيسا للوزراء فى الإمبراطورية مع الوعد بالتعيين مرة أخرى كوال لدمشق (١١٧).

وقد كان محمد على مسرورا من ذلك ومررت فى ذهنه مشروعات كبيرة: حتى المشروع النابليونى بمهاجمة إنجلترا فى الهند بوضع قاعدته فى دمشق (١١٨). ولكن الخصومة بين محمد على وخوسريف، وتدخل الدبلوماسية الأوروبية (البروتوكول الإنجليزى — الروسى فى ٤ أبريل ١٨٢٤، والمعاهدة الروسية — التركية فى فبراير ١٨٢٦) والأسطول الإنجليزى (الأدميرال كوشرين)

لصالح اليونان والسلوك المتردد لفرنسا، كل هذا منع إبراهيم ومحمد علي من تحقيق كل مزايا انتصار ميسولونجى. وفي الحقيقة، كانت إنجلترا قد حاولت أيضا إبعاد محمد علي عن موريا، وبالتالي عن أوروبا، بتشجيعه لتنفيذ ملامحه بشأن سوريا. حتى إن فرنسا نصحته بإعلان استقلال مصر عن الباب العالي. ولكن إعلان الاستقلال كان سيثقل الحرب مع تركيا، علاوة على عداة إنجلترا. ولهذا عاد محمد علي لفكرته المفضلة في تحالف إنجليزى - مصرى، مفيد لكلا الطرفين. وكان علي إنجلترا أن تساند وتضمن الاستقلال المصرى. وكانت مصر ستصبح حليفا جيدا لإنجلترا المهمة بخطوط الاتصال مع الهند (١١٩). وبسبب هذه المباحثات ترك محمد علي إبراهيم دون نشاط وآخر إرسال حملة جديدة (١٢٠). ولكن المهمة الخاصة لبروكسن أوستن (أكتوبر ١٨٢٦) باءت بالفشل (١٢١).

وفي يناير ١٨٢٧، قرر السلطان استبدال خوسريف كأدميرال كبير وتعيين محمد علي قائدا عاما لكل القوات فى البحر والبر فى الإمبراطورية العثمانية ضد اليونان. وقد سلم الفرمان الخاص بذلك فى ٢٤ مارس ١٨٢٧ (١٢٢). وبعد أن تحمس محمد علي للمنصب، فكر علي الفور فى مشروعات كبيرة؛ الأمر بتجنيد ١٥ ألف رجل آخرين، وقيادة فرقة بحرية لنقل الحرب للأرخبيل والمساعدات لابنه فى موريا (١٢٣). وفى شهرى أبريل ومايو وصلت إلى الإسكندرية الفرقاطات والسفن الحربية، والمصنوعة فى مرسيليا وليفورنو علاوة على الأسطول التركى المصرى الخاص بالإمداد من نافارينو بناء على أمر منه (١٢٤). إلا أن التعيين المفاجئ لخوسريف كوزير للحربية (يونيو ١٨٢٧) كان له انعكاس قوى على روح محمد علي، حتى إنه لم يعد يعبأ إطلاقا بمشروعاته (١٢٥)، حتى إنه بدأ ميالا لتنفيذ المقترحات الإنجليزية - الفرنسية فى التمرد على الباب العالي، بإعلان استقلاله وسحب قواته من اليونان. وقد أحبط رفض القوتين إعطاء ضمانهما للدولة المصرية الجديدة نوايا محمد علي (١٢٦) الذى سارع بالاستعداد للحملة.

وقد كان مدفوعا أيضا من القنصل النمساوى، الراغب فى هزيمة

اليونانيين (١٢٧). وفي أغسطس ١٨٢٧ رحل الأسطول المصري، الذي كان يضم تسعا وثمانين وحدة، من الإسكندرية ووصل إلى نافارينو في سبتمبر.

وبمعاهدة لندن في ٦ يوليو ١٨٢٧، كانت روسيا وفرنسا وإنجلترا قد قررت في الوقت نفسه الاعتراف بالحكم الذاتي لليونان تحت حكم السلطان، وبالتالي ضرورة السلام بين تركيا والمتمردين وإرسال فرقها إلى مياه موريا لفرض الحصار. وقد أقرت المعاهدة التوجه المناوئ لتركيا. والمناوئ لمصر من جانب القوى الثلاث. وقد أظهر مترنيخ عداؤه لمصر أيضا (١٢٨). وعلى الرغم من هذا فقد أرسلت إنجلترا الكولونيل كرادوك إلى محمد علي لحثه مرة أخرى على أن يستقل بنفسه عن الباب العالي، ولكنها امتنعت عن إعطائه أي ضمان بالمساندة (أغسطس ١٨٢٧) (١٢٩).

وفي ٢٥ سبتمبر، فرض الأدميرال كودرينجتون، باسم الأميرالين الفرنسي والروسي أيضا، وقف تقديم السلاح لإبراهيم. وقد قبل هذا الأخير لمدة شهر انتظارا للحصول على أوامر من السلطان ومن والده (١٣٠). إلا أن الأدميرالات الثلاثة، بذريعة أن القوات المصرية استمرت في القيام بأعمال عنف ضد اليونانيين، قرروا نقل أساطيلهم إلى داخل خليج نافارينو ومراقبة تحركات إبراهيم عن كثب، وكان جانبا من أسطوله قد خرج من الخليج لعرقلة تحركات السفن اليونانية بقيادة الإنجليزى كوشرين.

وفي هذه الأثناء دخلت الفرق الخليج، وأطلقت بعض طلقات البنادق ضد مركب إنجليزى. وقد أشعل هذا معركة نافارينو، التي هاجمت فيها أساطيل الأمم الأوروبية الثلاث، بقيادة الأدميرال كودرينجتون الأسطول التركى المصرى ودمرته (٢٠ أكتوبر ١٨٢٧) (١٣١).

كانت الضربة قاسية بالنسبة لمحمد علي؛ حتى إنه فى النهاية نصح الباب العالي بقبول شروط القوى الكبرى (١٣٢)، ولكنه سرعان ما استعاد قوته وواجه الموقف بواقعية. وبقبوله نصائح فرنسا، بعد أن أبدى بعض المقاومة (١٣٣)، وقع

على اتفاق مع الأدميرال الإنجليزي كودرينجتون (١٠ أغسطس ١٨٢٨) (١٣٤)، الذي التزم معه بسحب قوات إبراهيم من موريا لنصف أسطوله، الذي سيرسله إلى نافارينو. ولم يكن التهديد بالحصار ضد إبراهيم وضده بواسطة الأسطول الإنجليزي غربيا عن قرار الباشا. وفي سبتمبر - أكتوبر ١٨٢٨ عادت بقايا القوات المصرية إلى الإسكندرية مع قائدها. ولكن تركيا لم ترغب في قبول نصائح محمد علي والقوى الأخرى في الاعتراف بالاستقلال وإبرام السلام. وقد عمدت روسيا عندئذ إلى فرض هذه النصائح بقوة السلاح وأعلنت الحرب على تركيا (٦ مايو ١٨٢٨). ولم تفتأ هذه الحرب أن خلقت مصاعب ومخاوف جديدة لمحمد علي، الذي طالبه السلطان بتقديم المساعدات من الرجال والعتاد والمال (١٣٥). وفي مقابل المساعدة المقدمة، رأى الباشا التصديق على سلطاته في مصر (يونيو ١٨٣٠) وحصل على حكم جزيرة كريت (١٧ أغسطس ١٨٣٠) (٢). ولكن مطامحه، التي ضربت في موريا، كانت تتجه الآن بصورة حاسمة إلى سوريا (١٣٦).

٩ - كان سلام أدريانوبولي (٤١ سبتمبر ١٨٢٩) قد وضع نهاية للحرب الروسية التركية بقبول الطلبات الروسية (إمارات مستقلة، وتنازلات عن الأراضي على البحر الأسود) (١٣٧). وكان بروتوكول لندن في ٣ فبراير ١٨٣٠ قد اعترف بوجود يونان مستقلة.

ولكن هذه الاتفاقيات لم تكن قد حلت قضية الشرق، التي استمرت في البقاء على خطورتها، لأن سلام أدريانوبولي كانت تعتبره إنجلترا، التي كانت مشغولة جدا بسياسة الحفاظ على سلامة أراضي الإمبراطورية العثمانية، بمثابة ضربة قوية لهذه السلامة وبالتالي لأمن طريق الهند. ومن ناحية أخرى كانت المكائد الروسية في اليونان وبلاد ما وراء النهرين (١٣٨)، بتهديدها هذا الطريق مباشرة، كانت تؤثر بقوة على إنجلترا.

إلا أن القيصر نيقولا الأول، بعد يومين من التوقيع على معاهدة أدريانوبولي، مقتفيا آثار بولس الأول (١٣٩) قبل المقترحات التي صاغتها لجنة

خاصة من سبعة أعضاء، ولذا فقد كان من المناسب تغيير السياسة التقليدية لروسيا تجاه الإمبراطورية العثمانية، التي كان يدعمها بنشاط ويتبعها بطرس الأكبر وكاترين، مع تشكيلها طبقا لمعيار جديد مخالف تماما: الحفاظ على سلامة تلك الإمبراطورية (١٤٠). وطبقا لتلك اللجنة، كان يمكن لطرد الأتراك من أوروبا أن يؤدي قبل كل شيء إلى تعزيز للقوة التركية في آسيا وبالتالي خلق اضطرابات للعمل الروسي في القوقاز؛ ثانيا، كان أى تفكيك للإمبراطورية العثمانية سيسير في صالح النمسا (البوسنة وألبانيا والجبل الأسود)، وفرنسا (مصر) وإنجلترا (كريت وجزر بحر إيجه). وهكذا كانت روسيا ستصبح محاطة بثلاثة جيران أقوى بدلا من واحد ضعيف، بينما سيصبح بوسع إنجلترا وفرنسا المطالبة بالوصول إلى البحر الأسود. ولذا فقد كان على السياسة الروسية أن تتجه من الآن فصاعدا لتغلغل تدريجي وسلمي للإمارات، في اليونان وفي آسيا.

ونظرا للتباعد الذى نشأ بين إنجلترا وروسيا، لم يبلغ القيصر هذه التوجيهات الجديدة لإنجلترا، التى استمرت فى مخاوفها وشكوكها نحو الخطط الروسية المزعومة للتقدم فى البحر المتوسط وفى آسيا الوسطى.

ولكن المناسبة لم تتأخر فى المجيء لتكشف السياسة الجديدة لروسيا وكانت هذه هى حرب محمد على ضد السلطان. وربما أدى نجاح باشا مصر، وربما تنصيبه نفسه فى القسطنطينية إلى بداية تقطيع أوصال الإمبراطورية العثمانية، ولذا كان سيلحق الضرر بالمصالح الروسية. ولم يكن بوسع روسيا، فى الوقت نفسه عدم مساعدة تركيا ضد الباشا المتمرد (١٤١).

وكان رأى نفسه، بعد بعض التردد، عند الحكومة الإنجليزية الجديدة بزعامة جري - بالمرستون (١٨٣٠ - ١٨٣٤)، التى خلفت الحكومة المحافظة بزعامة ويلينجتون - أبردين (١٨٢٨ - ١٨٣٠)، التى لم تستطع بسياستها المتأرجحة والضعيفة منع الحرب التركية الروسية (١٨٢٨ - ١٨٢٩) ولم يكن لها خط ثابت بشأن قضية الاستقلال اليونانى وتوسيع الدولة اليونانية الجديدة لأنه كان

يسيطر عليها التعلق بمبدأ سلامة الإمبراطورية العثمانية تارة والرغبة فى خلق عقبة أمام روسيا بتكوين يونان كبيرة وقوية تارة أخرى. ولم ينتقد جرى وبالمرستون حتى بعنف ويلينجتون وأبردين لأنهما لم يحصلوا من فرنسا على الالتزام بعدم احتلال الجزائر، الإقليم العثمانى. وخوفا من أن تتمكن فرنسا من احتلالها للمغرب وتونس بالتعاون مع محمد على، الذى كان سيحتل ليبيا فى مقابل ذلك، أسرع بالمرستون بالإعلان عن أن إنجلترا لن تسمح بمزيد من الاستقطاعات من أراضى الإمبراطورية العثمانية، وأنها مستعدة لخوض حرب من أجل سلامة هذه الأراضى. ولم تكن إنجلترا ستسمح أبدا بوجود تفوق فرنسى - مصرى فى البحر المتوسط، على طول طريق الهند (١٤٢).

وعلى الرغم من هذه الهجمات على أسلافه لأنهم سمحوا بأن تنتزع أراض فى أوروبا وآسيا وإفريقيا من سيادة السلطان فإن بالمرستون لم يبرهن على أنه مدافع جيد عن سلامة الإمبراطورية العثمانية، حيث كانت تحركه فقط المصالح الإنجليزية، وليست مصالح الإمبراطورية العثمانية، عندما فكر محمد على فى خطة لغزو سوريا والاستقلال عن السلطان. ولم يفت محمد على التمهيد دبلوماسيا أيضا لعملياته الطموحة هذه. ومع قلقه من نتائج الحملة الفرنسية فى الجزائر، واعتقاده بأن فرنسا، التى أصبحت مشغولة بالكامل فى هذه الحملة، لن تستطيع تقديم أى مساعدة، توجه الباشا إلى إنجلترا، محاولا الاعتماد على العداء التقليدى لإنجلترا ضد المشروعات الفرنسية والروسية فى البحر المتوسط. وقد اقترح فى الوقت نفسه على القنصل الإنجليزى بيكر أن يقيم "تحالفا حميما وصدائة وثيقة بين مصر وإنجلترا"، ولكن دون أى نجاح، كما لم يحالف النجاح المحاولات التالية (٢٢ يونيو و٨ يوليو) (١٤٣). وهذا لأن إنجلترا كانت معادية لظهور قوة مصرية فى البحر المتوسط، وكذلك لظهور قوة فرنسية - روسية. ولهذا السبب الأساسى، بقى بالمرستون بعيدا عن الصراع التركى - المصرى فى ١٨٣١ - ١٨٣٣. وقد رفض باشا سان جوفانى داكرى، الذى يسانده السلطان، منع الهجرة السرية لرعايا

وبضائع مصر إلى إقليمه (١٤٤). وأعطى هذا الذريعة لمحمد علي لتنفيذ مخططاته (مايو ١٨٣١).

ودون أن يتلقى أى تصريح أو استشارة من الباب العالي (١٤٥) ولكن معلنا عن رغبته فى الولاء للسلطان بشرط ألا يعرقل هذا الأخير مشروعاته، وفى هذه الحالة سيسير أيضا ضده (١٤٦)، أرسل محمد علي إلى سوريا حملة قوامها ٦٢٠٠٠ رجل، بقيادة ابنه إبراهيم. وبعد احتلال ياقا (٨ نوفمبر ١٨٣١)، فرض إبراهيم الحصار على قلعة سان جوفانى داكرى، التى لم يكن نابليون قد نجح فى اقتحامها (ولكن الحقيقة هى أن الأسطول الإنجليزى كان قد تدخل آنذاك). وبالتعاون مع الأمير بشير فى جبل لبنان ومهندسين إيطاليين مهرة، نجح إبراهيم فى اقتحام القلعة، بعد هجمات متكررة وبعد ستة أشهر من الحصار (٢٦ نوفمبر ١٨٣١ - ٢٧ مايو ١٨٣٢).

وفى الوقت نفسه، كان السلطان قد حاول التوصل إلى اتفاق مع محمد علي (١٤٧). ولكن تهديد هذا الأخير بمهاجمة السلطان لم يقبل طلبه بالولاية على سان جوفانى داكرى واحتلال طرابلس واللاذقية (مارس - أبريل ١٨٣٢) أغضب السلطان الذى أعلن الباشا متمردا فى ١١ مايو وشن عليه الحرب (١٤٨). وبعد انتصار سان جوفانى داكرى، طلب محمد علي من السلطان إبرام السلام بشرط الحصول على ولايتى داكرى وطرابلس (١٤٩)؛ ولكن هذه المحاولة للتسوية فشلت أيضا سواء للاختلاف الكبير فى وجهات نظر المتخاصمين أو بسبب الموقف المختلف لفرنسا، المؤيد لمحمد علي بصفة عامة وإنجلترا المؤيدة للسلطان (١٥٠).

وبينما كانت تجرى هذه المباحثات، واصل إبراهيم تقدمه المظفر فاحتل حمص وحلب وبيلان فى شهر يوليو ١٨٣٢. ولم تقبل تركيا اقتراحا جديدا للاتفاق تقدم به محمد علي فى ٢١ أغسطس ١٨٣٢ (١٥١)، وخاصة لأن الباشا كان قد هدد بتنحية السلطان والاستيلاء على القسطنطينية (١٥٢).

ولكن أمام نجاحات إبراهيم ومخططاته ومخططات والده الطموحة، بدأ القلق

يساور إنجلترا وفرنسا ونصحنا محمد علي بالعمل بحذر، مما أوقع الباشا في حيرة شديدة (١٥٣). ولكن هذا الأخير استسلم لضغوط الابن في مواصلة الحرب. وفي ٢١ ديسمبر ١٨٣٢ حدث صدام شديد في قونيه بين القوات المصرية والتركية، انتهى لصالح الفريق الأول. وقد أسر رئيس الوزراء نفسه (١٥٤).

وربما تذكر السلطان وعود المساعدة التي قطعها ستراتفورد كانينج على نفسه صراحة تقريبا، بعد أن كان في مهمة خاصة في القسطنطينية من نوفمبر ١٨٣١ إلى أغسطس ١٨٣٢ (١٥٥)، وعندما طلب من لندن (٣ نوفمبر ١٨٣٢) المساعدة البحرية الإنجليزية ضد الباشا المتمرد، تأخر بالمرستون في الرد، على الرغم من أن الهزيمة الجسيمة التي تعرضت لها القوات التركية في قونيه مكنت إبراهيم من الاستيلاء على أضنه وتشيليتشا وقدمت له إمكانية التقدم نحو القسطنطينية. وعلى الرغم من أنه كان يميل في البداية للتدخل، عندما رد في ٧ مارس ١٨٣٣، فإنه أنكر على السلطان طلب المساعدة واعداء إياه فقط بمساندة دبلوماسية (١٥٦) ولكن بعد فوات الأوان.

وفي ٢٢ ديسمبر ١٨٣٢ كان قد وصل إلى القسطنطينية في مهمة خاصة الجنرال مورافييف المكلف من حكومته بتقديم مساندة الأسطول الروسي في البحر الأسود للسلطان ضد محمد علي (١٥٧). وتحت ضغط هزيمة قونيه، قبل السلطان على عجل الدعوة الروسية وسمح لمورافييف بالذهاب إلى الإسكندرية، ولكنه بعد ذلك، وتحت ضغط وزرائه المتذكرين للعداوة التقليدية التركية الروسية والخائفين من المخاطر التي يمكن أن تنجم عن المساعدة الروسية، قرر التخلي عن هذا والتباحث مباشرة مع محمد علي. وهكذا أرسل إلى الإسكندرية خليل باشا وقد كلف بأن يقدم لمحمد علي ولايتي أكرى ودمشق (٨ يناير ١٨٣٣) (٣). وفي اليوم نفسه، كتب المكلف بالأعمال الفرنسي فارين لمحمد علي وإبراهيم ودعاهما لمساندة التعليمات الجيدة للسلطان (١٥٨). وفي الوقت نفسه ركزت حكومتا لندن وباريس على الإجراءات الواجب اتخاذها (١٥٩). وكان يبدو أن الأمور تتحسن وحل الصراع بين الباب العالي والباشا كان يلوح في الأفق، إلا أن إبراهيم، عند تلقيه

ثلاث رسائل (تركية وفرنسية وروسية) تخبره بقرارات الباب العالي بإبرام السلام مع والده، فسر هذا على أنه الدليل على أن الإمبراطورية العثمانية قد أصبحت في حالة اندثار نتيجة للانتصارات المصرية. وفي ٢٠ يناير، تصرف من تلقاء نفسه وواصل المسيرة إلى الأمام. وفي لحظة من الكبرياء غير المحدود ودون التنبؤ بردود أفعال القوى الأوروبية، فكر في أن يضم لمصر الأناضول وقبرص وتونس وليبيا (١٦٠). وكانت نتيجة الحركة المندفعة لإبراهيم أن أعادت السلطان لفكرة قبول العرض الروسي (٢ فبراير ١٨٣٣)، حتى قبل عودة مورافيف، وخاصة أن إنجلترا لم تكن قد ردت على طلبه للمساعدات وكانت القوات التركية، في كيوتاهيا بالفعل. وفي ٢٠ فبراير، كانت فرقة بحرية روسية تضم ٢٠ ألف رجل عند البوسفور، مستعدة للدفاع عن القسطنطينية من أي هجوم لإبراهيم. وفي أبريل وصلت فرقة أخرى أنزلت ٦ آلاف رجل.

وحتى إذا كانت روسيا تعتقد أن ضعف تركيا من حرب على الحدود مع محمد على مفيد لأهدافها، فإنها مع ذلك كانت معترضة على تفكيك أوصال تركيا، طبقا للقرارات المتخذة في ١٦ سبتمبر ١٨٢٩، ولهذا تدخلت لصالح تركيا ضد التابع المتمرد (١٦١).

وأمام القرار الروسي، تحركت إنجلترا للتدخل بقوة، في اتفاق مع فرنسا، مع تهديد محمد على بحصار ميناء الإسكندرية إن لم يبرم السلام مع السلطان. وقد أرسل محمد على فورا الأمر لابنه بالتوقف حيث وصل (٢٦ يناير ١٨٣٣). وقد وصل الأمر في ١٠ فبراير ونفذ (١٦٢). ولكن إنجلترا وفرنسا كانتا تريدان الحصول على السلام بأي ثمن وإبعاد القوات الروسية. وبعد مباحثات طويلة وغير سهلة، قام بها في الإسكندرية السفيران روسان وماندفيل، وفي الإسكندرية القنصل الإنجليزي كامبل والمبعوثان غير العاديين الفرنسي بوازلكومت والنمساوي بروكسن - أوستن (١٦٣)، وقع المتحاربان على سلام كيوتاهيا (٥ مايو ١٨٣٣). وقد ترك السلطان لمحمد على حتى آخر حياته ولايتي سوريا وطرسوس، تحت السيادة العليا التركية، بينما عهد لإبراهيم بولاية أضنه، طوال حياته الباقية أيضا.

وقد سحبت روسيا قواتها وسفنها، بعد أن ضعف المبرر الذي كانت قد أرسلتها من أجله. ولم تتجح فرنسا بدورها في الحصول على الاعتراف باستقلال محمد علي. وقد كانت هذه بلا شك، نجاحات لبالمرستون، الذي عطل عمل وأهداف القوتين الأخرين، ولكن لماذا لم يتدخل دفاعا عن سلامة الإمبراطورية العثمانية أو لماذا، على العكس من ذلك، لم يساند محمد علي وإبراهيم حتى على غزو القسطنطينية ومواجهة روسيا بقوة أقوى عسكريا بدلا من تركيا الضعيفة؟ هناك أسباب عديدة لذلك. أولا، أن الرأي العام الإنجليزي لم يكن مستعدا لسياسة معادية لروسيا؛ وثانيا، لأن الأسطول الإنجليزي كان مشغولا بالفعل في بحر الشمال، بطول سواحل هولندا والبرتغال ولم تكن تستطيع استخدامه للدفاع عن القسطنطينية؛ وثالثا، لأن القوة العسكرية المصرية كانت مرتبطة بإبراهيم وكان من الصعب أن تبقى على قيد الحياة بعده؛ وأخيرا، أن محمد علي كان يهدد الخليج الفارسي (١٦٤).

وقد كان السبب الحقيقي هو التالي، على حد تعبير المؤرخ الإنجليزي (١٦٥): "إن بالمرستون كان يعلم ما يفعل. وقد وجد تعويضا حتى إذا كان قد سمح بالتنازل عن أراض شاسعة. وكانت دمشق وحلب قد احتلها محمد علي، ولكن العراق والموصل بقيتا تركيتين. وكانت تركيا محتلا جيدا للطريق للهند. وكان الطريق الآخر للهند هو الفرات، الذي كانت تسير بطوله التجارة الإنجليزية. وكان هذا الطريق قد بقي لتركيا. ولو لم يكن هكذا لحارب بالمرستون بالتأكيد. وكانت إنجلترا مستعدة للقتال من أجل طريق الهند، كما فعلت عندما تعرضت مصالحها البحرية للخطر من التهديدات الفرنسية على تونس والمغرب وبلجيكا. وهكذا لم تكن سلامة الإمبراطورية العثمانية مبدءا مجردا ولكن شيئا كان بوسع بالمرستون أن يختار الحرب من أجله أم لا. ولم يكن مستعدا للقتال من أجل جزء من الإمبراطورية العثمانية. إنه كان سيقاقل فقط لو أن فرنسا وروسيا أو محمد علي أخذوا جزءا كبيرا من تركيا مما يؤثر على توازن القوى بأسره ويمس مصلحة حيوية لإنجلترا". ولم يكن من الممكن التعبير بكلمات أكثر فاعلية مما قيل

عن برود الحسابات وتقدير كل مشكلة من وجهة نظر إنجلترا الأناطية وهى أمور تقليدية فى السياسة الخارجية الإنجليزية.

كانت إنجلترا قد أعلنت مبدأ سلامة الإمبراطورية العثمانية، ولكنها عملياً تركت احتلال أراض شاسعة من روسيا، من قبل فرنسا ومحمد على وتكوين الدولة المستقلة فى اليونان، وهذا لأن مصالحها لم تتعرض للخطر. وإلا فإن سلامة الإمبراطورية العثمانية كانت ستصبح ذريعة جيدة لمحاربة القوى المنافسة والتأكيد على مصالحها.

١٠ - وقد استطاع بالمرستون بتدخله أن يجعل السلطان والباشا يوقعان على السلام وأن يدفع روسيا لسحب سفنها وقواتها، ولكن هذا لم يكن بلا ثمن. ففى مقابل النية الطيبة التى ظهرت والمساعدة التى قدمت، أبرمت روسيا بالفعل مع تركيا معاهدة هونكيار إسكليسى المهمة فى ٨ يوليو ١٨٣٣ (١٦٦). وبهذه المعاهدة ضمنت كل من القوتين بالتبادل فيما بينهما المساعدة فى حالة الاعتداء من قوة ثالثة، وصدقتا على معاهدة أدريانوبولى والاتفاقيات الأخرى المتعلقة باليونان. ووعدت روسيا تركيا باحترام استقلالها فى حالة ما إذا طلبت مساعدتها العسكرية والبحرية ضد محمد على. وقد التزمت تركيا فى مادة سرية بإغلاق الدردنيل، فى حالة الحرب، ضد كل السفن الحربية الأجنبية بناء على طلب من روسيا.

وقد كانت هذه المادة السرية موضع مناقشات كثيرة (١٦٧)، حيث إنها فسرت فى بعض القطاعات بمعنى أنها تسمح للسفن الحربية الروسية بالدخول ليس فقط فى البوسفور ولكن فى الدردنيل، أى فى البحر المتوسط، حتى إن تركيا رفضت الالتزام بإغلاق الدردنيل أو البوسفور على حد سواء أمام المتحاربين، فى حالة اندلاع الحرب بين روسيا وإنجلترا.

وأيا كان التفسير المقدم للمادة السرية (والتفسير الأصح يبدو أنه الذى يرى أن روسيا كان يمكنها الوصول بحرية فقط للبوسفور)، فإن الأمر الجوهرى هو أن تركيا أصبحت عملياً تابعة لروسيا. وإذا لم تقم النمسا وبروسيا بأى حركة، فإن

إنجلترا وفرنسا - وهذه الأخيرة انضمت طواعية للحصول على الموافقة الإنجليزية على الاحتلال الذي تم في الجزائر - احتجتا في أغسطس وطلبنا من السلطان عدم التصديق عليها، ولكن دون جدوى. وقد نجح بالمرستون في الحصول على نسخة من المادة السرية (١٦٨)، ووصل إلى القول بأنه كان يفضل أن يرى في القسطنطينية باشا مصر بدلا من قيصر روسيا، ولم يكن يهتم شيء من تصير وتحضر الأتراك، في سبيل منع النفوذ الروسي في تركيا (١٦٩). وهكذا بدأ عداء بالمرستون لروسيا، وكان هذا من أسباب حرب القرم. ومع بالمرستون اتجه الرأي العام الإنجليزي بأسره ضد روسيا (١٧٠). ولكن باستثناء الاحتجاج لدى السلطان، لم يقم بالمرستون بأي خطوة إلى بطرسبرج، وهذا لأنه لم يكن يشعر بالأمان من جانب فرنسا، التي كان على خلاف معها بسبب القضية الإسبانية. وبإبرام التحالف الرباعي (٢٢ أبريل ١٨٣٤) استطاع بالمرستون بسهولة التفاوض على قضية العلاقات بين تركيا وروسيا (١٧١).

وكان بالمرستون قد رأى في الواقع في معاهدة هونكيار إسكليزي أكثر بكثير مما فيها ونسب إلى روسيا نوايا عدوانية، لم تكن لديها في الواقع، كما يبين ذلك حدثان: إبرام اتفاقية مونشن جراتس (١٨ سبتمبر ١٨٣٣) والرفض الموجه للسلطان في ١٨٣٤، عندما طلب مساعدتها على أساس معاهدة هونكيار إسكليزي لمهاجمة محمد علي. ومع اتفاقية مونشن جراتس (١٧٢)، المستلزمة من مترنيخ، التزمت روسيا والنمسا حماية تركيا، والإبقاء على العائلة الحاكمة والاعتراض على أي تغيير. وفي مادتين سريتين، أقرت الدولتان، علاوة على ذلك، الاعتراض على أن يتولى محمد علي السلطة المباشرة أو غير المباشرة في تركيا الأوروبية والاتفاق على نظام جديد، في حالة تفكك أوصال الإمبراطورية العثمانية. وبما أن الاتفاقية بقيت سرية، فإن بالمرستون شك في أنها ربما أقرت تقسيم الإمبراطورية العثمانية ولهذا رفض اقتراح مترنيخ (٧ يوليو ١٨٣٤) لإبرام معاهدة رباعية للحفاظ على السلام في الشرق الأدنى (١٧٣).

١١ - كانت اتفاقية كيوتاهيا قد وقعت تحت ضغط إنجليزي - فرنسي،

وعلى مضض جدا من السلطان ومن محمد علي، ولكن من الأول بصفة خاصة. وفي ١٨٣٣ - ١٨٣٤، ١٨٣٥ و ١٨٣٦ كان محمود الثاني قد أظهر النية لمهاجمة القوات المصرية المتمركزة في سوريا، وقد منعته روسيا وفرنسا من ذلك في المرة الأولى وإنجلترا في المرة الثانية والثالثة. وكان محمد علي يريد من جانبه غزو أراض أخرى لتدعيم موقفه (١٧٤).

وقد بدا الصدام حتميا خلال عام ١٨٣٨ عندما أعلن محمد علي في ٥٢ مايو عن رغبته في الاستقلال التام عن الباب العالي (١٧٥). وأمام احتمال نشوب حرب، حدد بالمرستون على الفور مسلك إنجلترا بما يتمشى مع مصالحها. وفي ٧ يوليو ١٨٣٨ كتب للكولونيل كامبل، ممثل إنجلترا والقنصل العام في القاهرة حتى يقدم بلاغا بذلك لمحمد علي: "إن الحكومة البريطانية تشعر بالتزامها بإعلام الباشا، دون تحفظات وبصراحة، أنه إذا كان ينوي للأسف تنفيذ نواياه ونشبت الحرب بينه وبين السلطان، فإن الباشا يجب أن يتوقع أن يجد بريطانيا إلى جانب السلطان لتدارك الظلم الفادح الذي لحق به وتجنب تقطيع أوصال الإمبراطورية العثمانية" (١٧٦). وفي ٠٢ يوليو، أرسل بالمرستون نسخة من هذه الرسالة للسفير البريطاني في القسطنطينية، بونسنبى، ليخبر بها السلطان. وعلاوة على مواجهة محمد علي، كان بالمرستون يهدف لاتفاق إنجليزي - تركي لإلغاء المعاهدة الروسية - التركية لعام ١٨٣٣ واستغلال الخصومة القديمة بين تركيا وإيران في وقت كانت فيه إيران، بمساندة من روسيا، تهدد أفغانستان وبالتالي الحدود الهندية (١٧٧).

وقد شعر السلطان بتشجيع كبير لمعرفة بالمساعدة البريطانية في حالة نشوب حرب ضد الباشا، حتى إنه عند إبرام المعاهدة التجارية مع إنجلترا في ١٦ أغسطس ١٨٣٨ (١٧٨)، منحها شروطا مواتية جدا.

ولم يلق الموقف القوي لإنجلترا نحو محمد علي موافقة من فرنسا. فقد كانت تسوية القضية البلجيكية قد قسمت القوتين الغربيتين. وأسهمت القضية المصرية في تقسيمهما أكثر والتأثير على فرنسا تجاه صداقة وثيقة أو تحالف مع روسيا. وهكذا

اقترحت الحكومة الفرنسية، في يونيو، على الحكومة الروسية إثناء السلطان عن مهاجمة الباشا إذا ما أعلن هذا الأخير الحرب، بل قبول الأمر الواقع لاستقلاله (١٧٩). ولم يكن هذا الاقتراح سيغضب روسيا لأن وجود عدو قوى فى الجنوب سيدفع السلطان أكثر فأكثر للاستناد إلى حليفه فى الشمال. ومن ناحية أخرى، لم يكن دعم المواقف الروسية فى تركيا وبالتالي على المضائق يغضب فرنسا كثيرا لأنه بهذه الطريقة ستكون هناك ثلاث قوى فى البحر المتوسط فى مواجهة الأسطول الإنجليزى (١٨٠).

إلا أن الحكومة الروسية، لم تكن لديها أى نية فى إقامة علاقات وثيقة مع فرنسا؛ وكان هدفها هو زيادة حدة الخلاف بين هذه الأخيرة وإنجلترا، وفى ضوء هذا الهدف فقط، كان بوسعها الاقتراب من المقترحات الفرنسية (١٨١). ولهذا، فى ما يسمى بإعلان توييليتز (١٨٢)، اقتصر على التأكيد من جديد على فاعلية معاهدة هونكيار إسكليزى، التى احتجت عليها فرنسا وإنجلترا والإعراب عن نيتها فى التدخل لمساعدة تركيا فى حالة الاعتداء من جانب محمد على.

وكما نرى، فإن وجهة النظر الروسية هذه تقترب إلى حد كبير من وجهة النظر الإنجليزية، التى عبر عنها بالمرستون فى الرسالة ٧ يوليو، سألقة الذكر. إلا أن الحكومتين كانتا منقسمتين آنذاك فى قضية مهمة جدا. فقد عاد بالمرستون بفكرة تقدم بها مترنيخ قبل ذلك ببضعة أيام، ومنذ السادس من يوليو ١٨٣٨ كتب (١٨٣) إلى السفير الإنجليزى فى باريس، جرانفيل، مقترحا الدعوة لعقد مؤتمر بين إنجلترا وفرنسا وروسيا والنمسا لتحديد عمل مشترك إزاء محمد على. وبما أن قبول مثل هذه الفكرة كان سيعنى بالنسبة لروسيا فقدان حريتها فى العمل والمزايا التى اكتسبتها بالمعاهدة التركية - الروسية فى ١٨٣٣، فإنها اعترضت بشدة، وأعربت عن استعدادها، على الأكثر، للمشاركة فى ضمان جماعى لتنفيذ اتفاق مباشر محتمل تركى - مصرى. وقد أضيف لهذا الخلاف على المؤتمر والقضية المصرية فى الخريف تكثيف النشاط الروسى فى إيران، وهو ما كان يشكل تهديدا لأمن الهند (١٨٤).

وعلاوة على ذلك، قام الأسطول التركي برحلة في البحر المتوسط مع الأسطول الإنجليزي، وفي تلك الأثناء كانت هناك شائعات حول الاستعداد لهجوم إنجليزي - تركي على الإسكندرية (١٨٥). وهناك شائعة أخرى، حول السماح للأسطول الإنجليزي بدخول الدردنيل بحجة التزود بالإمدادات، وقد كذبها السلطان في حديثه للسفير الروسي، الذي قدم احتجاجات حكومته (١٨٦). وفي الوقت نفسه بدأ يرتسم نحو نهاية العام التهديد بحرب إنجليزية - روسية.

وفي الوقت نفسه، كان السفير التركي في لندن، رشيد، بعد أن وقع على المعاهدة التجارية في ١٦ أغسطس، قد بدأ مفاوضات مع بالمرستون لإبرام معاهدة تحالف. ولكن نظرا لأن بالمرستون كان معترضا على أن يأخذ السلطان بزمم المبادرة بالحرب وكان مستعدا لذلك لتقديم التعاون لإنجلترا فقط إذا أعلن محمد على استقلاله أو قام باعتداء، بينما كانت تركيا تبحث عن التحالف والتعاون مع إنجلترا دون شروط في الحرب التي كانت تريد إعلانها على محمد على (١٨٧) انتهت المفاوضات في أبريل بدون التوصل لأي نتيجة. وقد أثرت على هذه النتيجة من ناحية، الضغوط الروسية على القسطنطينية، ومن الناحية الأخرى تحسن العلاقات الإنجليزية الروسية، ولذا فإن التحالف المتصور في يوليو ١٨٣٨ بين إنجلترا وتركيا لم يعد ضروريا لإنجلترا (١٨٨). وفي حين لم يكن بالمرستون يرغب في أن تكون تركيا مهاجمة، فإنه كان معاديا بصورة حاسمة لمحمد على، حتى إنه منذ عام ١٨٣٥ قام بدراسات حول الموقف الاستراتيجي والعسكري والسياسي لسوريا وحول سياسة الباشا نحو السكان المحليين (١٨٩). وفي ٢٩ مايو ١٨٣٩، بعد أن بدأت الحرب بين المتنافسين، كتب يقول للسفير جرانفيل في باريس: "إن الضغط على محمد على من قبل إنجلترا يمكن أن يبدو متحزبا وظالما، ولكننا متحزبون. ولا يمكن لأي فكرة للحياد تجاه محمد على أن تعرقل مصالح كبيرة وعليا إلى هذا الحد (الحفاظ على الإمبراطورية العثمانية، التي كان تقسيمها سيؤدي إلى نتائج عامة). وتمبرلي نفسه يصف هذا المفهوم بأنه "مستهترط ويعلق قائلا: "إن محمد على كان يجب أن يحارب لتجنب نشوب حرب أوسع سواء أكان هو المعتدى أم السلطان" (١٩٠).

ما هي أسباب عداة إنجلترا لمحمد علي؟ قبل كل شيء، الخوف من أن يصبح محمد علي، بمد احتلاله وتزايد قوته، حليفا لروسيا التي كانت بدورها تقوم في تلك السنوات بنشاط سياسي في إيران وكانت تحرص هذه الأخيرة على غزو أفغانستان. وقد قاد ضباط روس الهجوم الإيراني على قلعة حيرات وقام بالمقاومة ضباط إنجلترا (١٨٣٧). وكان أي تحالف مع أو بدون ضم أراض في العراق، بين القيصر والباشا سيهدد أو يلغى طريق الهند. وكان بالمرستون قلعا بصفة خاصة من أن يقوم محمد بغزو ديار بكر، "مفتاح آسيا الصغرى" المقدم له من روسيا (١٩١).

وبصرف النظر عن وجود تحالف روسي - مصري، مع تهديد الهند وطريق الهند، كان بالمرستون معاديا لمحمد علي لنشاطه الممتد في شبه الجزيرة العربية. وبعد أن احتل الحجاز مع مدينتي مكة والمدينة واكتسب هكذا السيطرة على ضفتي البحر الأحمر، كان محمد علي يضغط من ناحية على مخا وعدن، ومن الناحية الأخرى كان يهدف للاستيلاء على جزر البحرين في الخليج الفارسي - ولذا فإن بالمرستون كان يدعو «للتخلي عن أي نية للاستقرار في الخليج الفارسي، لأن مخططه هذا لم يكن من الممكن أن يمر دون اكتراث من قبل الحكومة البريطانية» (١٩٢). وعلى أي حال، فكرت إنجلترا في احتلال عدن (١٨٣٩) لمنع محمد علي، ناسية رأيها في سلامة الإمبراطورية العثمانية. والموضوع الثالث في الخلاف الشديد بين إنجلترا ومحمد علي كان المنافسة الاقتصادية التي كانت تهدد بالتطور في البلاد العربية. وقد أوضح تقرير مهم للقنصل الإنجليزي في سوريا، فارين، في ٢٩ مايو ١٨٣٤ (١٩٣)، أهمية السوق السورية للمنتجات الإنجليزية والأخطار الناتجة عن السياسة التوسعية للباشا. وهكذا عندما قام هذا الأخير في ١٨٣٤ بإقرار الاحتكار الحكومي لتجارة الحرير في سوريا، أدى تدخل اللورد بونسبى، السفير في القسطنطينية وكامبل، القنصل العام في القاهرة إلى إلغاء هذا الاحتكار مع الأول من سبتمبر عام ١٨٣٥. ولتطوير

تجارتها وتحسين طرق الاتصال مع الهند، طلبت إنجلترا من الباشا تشييد طريق من أنطاكية إلى الفرات وطلبت من السلطان السماح بتكوين شركة إنجليزية للملاحة على هذا النهر. ولكن الباشا اعترض على تنفيذه، إدراكا منه للمخاطر التي ستنتج عن هذا المشروع.

وكانت الهند وطريق الهند والخليج الفارسي (١٩٤) موضوعات حساسة جدا بالنسبة لبالمرستون حتى إنه اعتقد أن من حقه التدخل في الخلاف بين السلطان والباشا، وعرقلة هذا الأخير، لمجرد أنه كان يبدو العدو الأخطر على المصالح الإمبراطورية الإنجليزية، بصرف النظر عن أسباب المتخاصمين (١٩٥). ولذا فقد وقف بالمرستون بوضوح ضد محمد علي منذ النصف الثاني من عام ١٨٣٨.

١٢ - وعلى الرغم من الرأي المعارض للقوى الكبرى، فقد هاجم السلطان القوات المصرية في سوريا. وفي ٢١ أبريل، قامت قوات تركية، بقيادة حافظ باشا، بعبور الفرات. وقد اتخذ محمد علي في البداية موقفا دفاعيا، لكي يظهر أنه هو المعتدى عليه (١٩٦)، واقتصر على المطالبة بميراث الحكومة المصرية وليس الاستقلال (١٩٧)، وبالتالي فإنه أصدر في ١٠ يونيو تعليماته (١٩٨) لابنه إبراهيم بطرد الأتراك من سوريا والاندفاع بعد ذلك حتى أوفرا وديار بكر. وفي ٢٤ يونيو ١٨٣٩، نزيب، أوقع إبراهيم هزيمة قاسية بحافظ واحتل أوفرا وامتنع عن تعقب العدو ما وراء تاورو حتى قونية فقط بسبب تدخل الكابتن كوليه، المبعوث من الحكومة الفرنسية لمحاولة التوصل إلى سلام بين المتحاربين (١٩٩).

وفي الوقت نفسه، انتقل الأسطول التركي، الذي خرج من الدردنيل لمهاجمة الأسطول المصري، بالكامل إلى جانب محمد علي، بالتواطؤ مع الأدميرال الفرنسي لالاند (١٤ يوليو). وقد برر القائد التركي هذا الموقف بالخيانة المزعومة لرئيس الوزراء خوسريف "المباع لروسيا" وضرورة الدفاع عن السلطان الجديد البالغ من العمر ستة عشر عاما، عبد المجيد، الذي خلف والده محمود الثاني، الذي مات في الأول من يوليو (٢٠٠).

وهكذا كان موقف تركيا يبدو يائسا جدا. وفي ثلاثة أسابيع، كما علق جويزو (٢٠١)، كانت قد فقدت الملك والجيش والأسطول.

وعلى العكس من ذلك، أعلن محمد علي، وهو مبتهج بالنصر فى مؤتمر عقد للقناصل الأجانب فى ١٦ يوليو (٢٠٢) عن رغبته فى إحياء الإمبراطورية العثمانية وإعادة الأسطول التركى فقط بعد أن يحصل على الحكم الوراثةى لمصر وسوريا وکانديا. وبعد تتحية خوسريف، ربما ذهب لتحية السلطان الجديد فى القسطنطينية (٢٠٣).

وفى هذا الظرف، اتخذ وزير الخارجية الفرنسى سولت موقفا حائرا: فمن ناحية، استمر فى السياسة التقليدية فى مساعدة محمد علي، حتى إنه اقترح لصالحة التنازل الوراثةى لحكم مصر وسوريا، حتى يمنع أى توسع زائد له، ورفض المقترحات الإنجليزية بالقيام بمظاهر بحرية فى الإسكندرية أو حتى القيام بضغوط على الباشا لإعادة الأسطول إلى السلطان؛ ومن الناحية الأخرى، بقى ثابتا عند سياسة الوفاق مع إنجلترا، وهى سياسة تقليدية أيضا منذ عدة سنوات، وهذا بصفة خاصة لعرقلة عمل روسيا فى القسطنطينية، والتي تمثل فى رأيه تهديدا جسيما على كلتا القوتين. ولهذا السبب، عرقلت الحكومة الفرنسية المحاولة، التى قام بها رئيس الوزراء خوسريف غداة نزيب، للتوصل إلى اتفاق مباشر بين الباشا والسلطان، مع مطالبة إنجلترا وفرنسا، بالتعاون مع النمسا وروسيا بتسوية القضية المصرية. وفى ١٧ يوليو وصلت الحكومة الفرنسية إلى حد إعلان القوى الكبرى رسميا بأن الاتفاقيات الأخيرة قد كشفت عن إجماع كل الحكومات على ضرورة سلامة الإمبراطورية العثمانية. وقد جعل هذا الإعلان، المتعارض جدا مع المصالح الفرنسية فى حماية وتقوية مصر، جعل بالمرستون يصيح قائلا: "إن سولت جوهرة" (٢٠٤).

ولكن إنجلترا كان لها رأى مخالف، أى أنها كانت معادية بصورة حاسمة وصريحة لمحمد علي حيث أن توسعته فى أراضى شبه الجزيرة العربية كانت

تهدد طريق الهند، أى مصلحة حيوية للإمبريالية البريطانية. ولتبرير عدائها، لم يفت بالمرستون التذكير بالخوف من نية فرنسا الاستفاداة من مصر كبيرة وقوية أو حتى غزوها. ولهذا اقترح إعطاء محمد على فقط حكما وراثيا على مصر (٢٠٥).

وقد تدخل مترنيخ (٢٠٦) لمساعدة السياسة الإنجليزية ونجح عن طريق مبعوثة الرسولى فى القسطنطينية، فى التوصل إلى اتفاق بين سفراء إنجلترا والنمسا وبروسيا وفرنسا وروسيا الذين كتبوا مذكرة مشتركة (٢٧ يوليو ١٨٣٩) (٢٠٧) قدمت بعد ذلك للباب العالى وأبلغت بالتالى لمحمد على (٢٠٨).

وطبقا للمذكرة، فإن القوى الخمس كانت قد توصلت إلى اتفاق على قضية الشرق الأوسط ودعت الباب العالى لعدم القيام بأى خطوة دون موافقتها. وقد كررت فرنسا خطأ ١٧ يوليو، على الرغم من أن مصالحها كانت مختلفة عن إنجلترا وعلى الرغم من أن السفير الروسى وقع دون أن يحصل على تعليمات من حكومته (٢٠٩) حتى كان للمذكرة أثرها. بل إن إنجلترا اقترحت على فرنسا مهاجمة وتدمير الأسطول المصرى (٢١٠) وكان الباب العالى على وشك التنازل لمطالب محمد على (إبعاد رئيس الوزراء خوسريف والتنازل عن سوريا) من خلال اتفاق مباشر (٢١١) فاستطاع النجاة هكذا بنفسه. وبناء على نصيحة من الممثلين الخمسة الأجانب، أبلغ الباشا (٢٢ أغسطس) بعدم قبول مطالبه ووضع القضية فى أيدي القوى الكبرى (٢١٢). وعلى الرغم من التهديدات الإنجليزية وعلى الرغم من الدعوة النمساوية لعرض القضية على تحكيم القوى الكبرى (٢١٣)، وعلى الرغم من نصيحة فرنسا الرضا بالحكم الوراثة لسوريا ومصر وتسليم كريت لإبراهيم مع التخلي عن أضنه (١٥ أكتوبر) (٢١٤)، فإن محمد على قاوم خطوة القوى الخمس واستعد لتنفيذ مخططاته فى التوسع فى أقاليم آسيا الصغرى، حيث كان ينوى جلب الأخشاب لأسطوله والرجال لجيشه، علاوة على زيادة علاقاته التجارية (٢١٥).

وعلى الرغم من المذكرة المشتركة فى ٢٧ يوليو، فإن الشقاق بين إنجلترا

وفرنسا لم يتأخر في الظهور بالكامل لأن إنجلترا كانت تتوى إخضاع محمد على بأى ثمن والتخلى له فقط عن الحكم الوراثةى لمصر، مع اللجوء عند الضرورة لاستخدام الوسائل القهرية ضده، بينما كانت فرنسا مؤيدة للتنازل عن مصر وسوريا (٢١٦). بل إن فرنسا أعطت تكليفا لسفيرها الجديد فى القسطنطينية دو بونتوا بتشجيع الرغبة فى التقارب من جديد وهو ما أظهره السلطان والباشا على حد سواء (٢١٧). إلا أن محمد على كان أكثر تصميمًا من أى وقت مضى على مواجهة إنجلترا ورفض باستياء تهديدات القنصل الإنجليزى الجديد، وقال: "إن ما أراه، هو أن البعض يريد إعطاء مصر لإنجلترا. وأنا لن أترك أحدا يأخذها. وسوف أستسلم ولكن بشرف" (٢١٨). وقال أيضا: "لن أسمح لمصر بأن تصبح إنجليزية. ولن أتنازل عن شبر من سوريا" (٢١٩). وقد كان يشعر بالتشجيع على هذه المقاومة من الخطاب التى ألقىت فى البرلمان الفرنسى فى ٣٢ ديسمبر ١٨٨٩ وفى ١١ و ٣١ يناير ١٩٤٠ (٢٢٠).

كان الهدف الإنجليزى واضحا، كما كتب كوشيليه يقول بحدة لحكومته فى ٥ يناير ١٨٤٠: "إذا تم القضاء على سلطة محمد على، فكيف ومن سيحل محله؟... من المحتمل أن تبدأ من جديد الاضطرابات والانتفاضات والإسراف والسرقة والنهب والسلب كما فى عهد المماليك وحكامهم. ووسط هذه الفوضى، ستجد إنجلترا مزيدا من التسهيلات لتنظيم علاقاتها مع الهند. وستطالب بثمان مساعدها؛ وستحتل بضع نقاط على البحرين وستعمل على تحصينها. وربما ستسعى استخدام سلطتها وعندما تحين الفرصة ستفعل فى مصر ما سيفعله الروس فى تركيا. ونحن لا نريد أن نسمح بذلك، ولكن امتلاك الجزائر والغزوات التى نوشك أن نقوم بها ستكون حجة قوية، تقدمها حكومة لندن، لتلزمنا بالتساهل إزاء توسعاتها فى مصر" (٢٢١). ولكن بالنسبة لفرنسا، كما كان يؤكد كوشيليه، كان من غير المقبول أن تحتل إنجلترا الإسكندرية فى مصر أو سان جوفانى داكرى. ولهذا كان لابد أن تساند الباشا، وخاصة أنه منع من استغلال النصر فى "تزيب" بالكامل بسبب التدخل الفرنسى (٢٢٢).

ولكن سولت كان يتردد فى اتخاذ قرار. بل إنه كان يلوم بونتوا لأنه نصح محمد على بالذهاب إلى القسطنطينية وتولى إدارة الحكم، فى الوقت الذى كان يبتعد فيه عن الاتفاق الأوروبى (٢٢٣).

وفى نهاية الأمر، كان الخلاف يتسم بالطابع الداخلى والذى يمكن حله داخليا دون تدخل من القوى الأوروبية. ولكن إنجلترا لم تكن تريد ذلك؛ فقد كانت تتوى فرض إرادتها وحل الخلاف بصورة تتمشى مع مصالحها، متجاوزة أى قاعدة فى حقوق الناس وأى رغبة للأطراف المعنية (٢٢٤). وقد كانت هناك أدلة كثيرة على رغبة السلطان الجديد ومحمد على فى الاتفاق مباشرة مع وساطة فرنسا وخاصة فى الشهور من أكتوبر حتى ديسمبر ١٨٣٩. وفى القسطنطينية كان علماء الدين أنفسهم مؤيدين لإعطاء محمد على الحكم الوراثةى لسوريا وإيرام تحالف معه. وعلى الرغم من طلبات الباشا أيضا بالنسبة لأضنه وكانديا والجزيرة العربية، فإنه لم يكن من الصعب التوصل إلى اتفاق لأن الباشا كان قد انتهى به الأمر بالتنازل، وخاصة بالنسبة لكانديا والجزيرة العربية (٢٢٥)، وربما تنازل أيضا بعد ذلك عن الجزيرة العربية. وعند منتصف ديسمبر بدا أن النمسا أيضا وروسيا تؤيدان الاتفاق المباشر بين تركيا ومصر. ولكن هذا كان لفترة وجيزة. فقد كانت روسيا تتقارب من جديد من إنجلترا، وفى الوقت نفسه كان بونسبى يعمل بنشاط لدى السلطان والسفراء الأجانب لمنع هذا الاتفاق وإثارة التدخل الجماعى (٢٢٦).

١٣ - فى أثناء محادثات مهمة فى سبتمبر وأكتوبر ١٨٣٩ كان بالمرستون قد اقترح على السفير الفرنسى سيباستيانى أن يعطى محمد على الحكم الوراثةى لمصر وسوريا الجنوبية، باستثناء مركز أكرى. وكانت تركيا ستحصل من جديد على باقى سوريا، بما فى ذلك الأماكن المقدسة. ولم تقبل فرنسا هذا الاقتراح (٢٢٧). وعلى الرغم من تصريح بالمرستون للسلطان بأنه مستعد لأن يقدم له كل مساندة إنجلترا، حتى بصورة منفردة (٢٢٨)، فإنه اتجه نحو التعاون مع روسيا بدلا من التعاون مع فرنسا. وكانت الفرصة آنذاك مواتية جدا لأن القيصر أيضا كان يرغب فى التقارب مع إنجلترا وفصل تركيا عن فرنسا والنمسا. وكان

قد بعث زاريفيتش، في زيارة إلى لندن، وكان قد ألغى عمل موظفيه في إيران واستدعاهم وأظهر استعداده للعمل بقوة ضد الباشا في مصر (٢٢٩).

وفي أعقاب مهمتين خاصتين للبارون برونو في سبتمبر - أكتوبر ونوفمبر - ديسمبر ١٨٣٩، تجاوزت حكومتا لندن وبطرسبرج خلافتهما وتوصلتا في ١٢ يناير ١٨٤٠ إلى اتفاق بشأن المسلك الواجب اتباعه لمساعدة تركيا ضد محمد علي. وكانت معاهدة هونكيار إسكيليزي، التي تعتبرها روسيا الآن عمليا، إن لم يكن رسميا، مجرد "بقايا تاريخية مهمة ومشرفة" (٢٣٠)، حيث إنه تقرر أنه في حالة ضرورة الدفاع عن القسطنطينية وبناء على طلب من السلطان، مع التخلي عن المبدأ التقليدي في إغلاق البوسفور والدردينل أمام كل السفن الحربية، كان مسموحا بصفة استثنائية للسفن الروسية بدخول البوسفور والسفن الإنجليزية بدخول الدردنيل (٢٣١).

وقد وضع هذا الاتفاق الذي تتضح أهميته نهاية للصدقة الإنجليزية الفرنسية وبداية التحالف الإنجليزي الروسي من عام ١٨٤٠، وبعد ذلك الاتفاق حول المضائق في عام ١٨٤١.

وفي ديسمبر ١٨٣٩ كان محمد علي قد انتهر فرصة زيارة كامل باشا لمحاولة التقارب من جديد مع تركيا، ولكن دون نتيجة (٢٣٢)، كما لم تفلح محاولات يناير - فبراير ١٨٤٠ (٢٣٣). وقد رحب محمد علي (٢٣٤) بتغيير الوزارة في فرنسا وبالخطاب الذي ألقاه رئيس الوزراء تيير في مجلس النواب في ٢٤ مارس. وكان محمد علي، في أبريل، يقوم بالجلء عن الجزيرة العربية ويجدد محاولات الاتفاق مع الباب العالي (٢٣٥).

وقد زادت حدة الخلاف الإنجليزي الفرنسي، الذي بدأ في ١٨٣٩ برفض عرض سيباستيان في النصف الأول من ١٨٤٠ (٢٣٦) وفي ٧ أبريل وجه نوري أفندي، الوزير المفوض في لندن مذكرة (٢٣٦) للقوى الخمس لتسوية القضية المصرية على أساس الالتزام الذي قطعه على نفسها في المذكرة المشتركة في ٢٧

يوليو. وقد اقترح التوقيع على اتفاقية يعترف السلطان بمقتضاها لمحمد علي بالحكم الوراثة لمصر إذا أعاد الأسطول التركي. ولم تأخذ الحكومة الفرنسية الجديدة، برئاسة تيير (١ مارس - ٢٤ أكتوبر ١٨٤٠)، والتي كانت تهدف لاتفاق تركي - مصري مباشر، لم تأخذ الأمر على محمل الجد وردت من خلال سفيرها جويزو بطريقة مبهمه (٢٨ أبريل) (٢٣٧). وعلى العكس من ذلك، كان بالمرستون قد رد (١١ أبريل) بأنه مستعد للاتفاق على الفور مع القوى الأخرى (٢٣٨). وفي مايو جدد بالمرستون لفرنسا، من خلال السفير النمساوي نويمان، ما يسمى بـ "عرض سيباستياني"، مضيفا أيضا سان جوفاني داكري للأراضي التي يجب أن تمنح لمحمد علي. وكما حدث من قبل في أكتوبر ١٨٣٩، رفضت فرنسا الاقتراح (٢٣٩). ولكنها نصحت محمد علي بالترأجع إلى أضنه (٦ مايو ١٨٤٠)، ولكن الباشا رد بكبرياء بأن أضنه هي "مفتاح بيته" الذي كان يريد تسليمه لأبنائه. وكان مستعدا لإعادة كريت عند موته (٢٤٠).

وقد أحيا خبر تحية رئيس الوزراء خوسريف فيه (٢٦ مايو) آمالا جديدة في أن يرى قبول الباب العالي لمطالبه. وعند الضرورة أرسل سامي بيه إلى القسطنطينية للتفاوض على أساس إعادة الأسطول في مقابل حكم مصر وسوريا. وكان وزير الخارجية رشيد باشا على وشك التنازل، إلا أنه بعد تدخل بونسبني، الذي علم بالمفاوضات المباشرة الجارية بين السلطان والباشا (٢٤١)، انتهى برفض أي اقتراح للاتفاق المباشر مع الباشا (يوليو ١٨٤٠) (٢٤٢).

١٤ - وأمام رفض فرنسا، قرر بالمرستون العمل بسرعة، وتغلب على معارضة الكثيرين من زملائه في الحكومة. وبعد أن تبنت الحكومة الإنجليزية بالكامل في ٨ يوليو (٢٤٣) القرار الذي اتخذ، بناء على اقتراح من بالمرستون، وقعت في ١٥ يوليو ١٨٤٠ ما يسمى بمعاهدة القوى الأربع (إنجلترا والنمسا وروسيا وبروسيا) (٢٤٤). وقد كانت تكمن في اتفاقية ووثيقة منفصلة وبروتوكول وبروتوكول سرى (٢٤٥) كانت الاتفاقية تحدد التزام القوى الأربع بفرض قراراتها على محمد علي، طبقا لوسائل العمل الخاصة بكل منها والعمل معا للدفاع عن

القسطنطينية في حالة الضرورة، وكانت تكرر في جوهر الأمر اتفاق بالمرستون - برونو بشأن المضائق. وكانت الوثيقة المنفصلة تحدد حدود ولاية أكرى التي يجب أن تقدم لمحمد على طوال حياته الباقية. وإذا لم يقبل محمد على بهذا العرض خلال عشرة أيام، فإنه سيحصل فقط على مصر لنفسه ولمن سيخلفه. وإذا لم يقبل محمد على خلال الأيام العشرين، فإن بوسع السلطان أن يسحب أيضا هذا العرض الثاني. وكان البروتوكول يؤكد من جديد على مبدأ إغلاق المضائق أمام السفن الحربية. وكان البروتوكول السرى يقرر أن الإجراءات القهرية، منعا لتضييع الوقت، يجب أن تطبقها القوى الكبرى ضد محمد على دون انتظار تبادل التصديقات.

وكانت هذه الاتفاقيات تمثل انتصارا لسياسة بالمرستون، الذي استغل على الفور بند البروتوكول السرى للعمل على إصدار أوامر للأدميرال ر. ستوبفورد بقطع الاتصالات البحرية لإبراهيم مع مصر، وحماية المتمردين السوريين والتعاون لإنزال قوات تركية ومتخصصين إنجليز من سلاح المهندسين والمدفعية. وفي الوقت نفسه أصدر الأوامر لبونسبني لتقديم المال والذخيرة للثورة التي أشعلها السفير نفسه منذ شهر يونيو في لبنان عن طريق عملائه (٢٤٦). وباتباع نصيحة فرنسا بعدم السماح لإبراهيم بالتقدم بعد تاورو - لتجنب إعطاء ذريعة لروسيا وإنجلترا لاحتلال المضائق وخلق حرب شاملة هكذا - وبمحاولة التوصل إلى اتفاق مباشر مع السلطان (٢٤٧) فكر محمد على، الذي وجد في نصيحة ومساندة فرنسا، عونا على المقاومة، فكر في التوجه للباب العالي، ولكن المبعوث التركي رفعت بك قدم الإنذار التركي في ١٦ أغسطس (٢٤٨): سان جوفانى داكرى وسوريا مدى الحياة ومصر له ولخلفائه؛ وإعادة الأسطول التركي. وعلى الرغم من أن أربعة من القناصل كانوا يساندون رفعت، فإن الباشا رفض، مطالبًا بالوساطة الفرنسية (٢٤٩)؛ وبعد مرور عشرة أيام قدم العرض الثاني (٢٦ أغسطس): مصر فقط. وقد قبل محمد على، ولكنه عاد إلى الباب العالي للحصول على تنازلات أخرى في سوريا وفي أماكن أخرى. ولكن القناصل الأجانب لم يقبلوا بهذا القبول المشروط وعاد الباشا إلى فرنسا (٢٥٠). وفي ٦

سبتمبر بدأت العمليات الإنجليزية - التركية. وبناء على ضغط بونسنبى، أقال السلطان محمد على (١٤ سبتمبر) (٢٥١).

وفى ٢٣ سبتمبر ترك القناصل القاهرة. وبعد بدء العمليات ضد محمد على (٢٥٢)، قام ستوبفورد فى ٩ و ١٠ سبتمبر بقصف بيروت، بعد أن انضمت إليه فرقة نمساوية. وقامت سفن إنجليزية أخرى بنقل ٥٠٠٠ رجل من قبرص بقيادة العميد البحرى كارلو نابيه. وفى أعقاب انتصارات نابيه فى صيدا (٧٢ سبتمبر) وعلى جبال أرالدى (١٠ أكتوبر) والقصف والغزو على أيدى ستوبفورد، لبيروت (١٠ أكتوبر) والقاعدة المحصنة للغاية فى أكرى (٣ نوفمبر)، دمرت قوة إبراهيم عمليا. وكما حدث فى نافارينو، تغلب الأسطول البريطانى هكذا على المحارب الكبير فى أكرى.

كان خبر التوقيع على اتفاقية ١٥ يوليو ١٨٤٠ التى أعطاهما بالمرستون رسميا للسفير جويزو فى ١٧ من الشهر التالى (٢٥٣)، قد أغضب فرنسا بشدة، حيث رأينا فيها شبه تجديد لتحالف القوى الأربع الكبرى. ولبضعة أشهر خشى البعض من قرب اندلاع الحرب بين فرنسا والقوى الأخرى (٢٥٤). ورد رئيس الوزراء تيير على الحكومة الإنجليزية (٢٤ يوليو ١٨٤٠) التى أعلنت فض التحالف الإنجليزي الفرنسى (٢٥٥). وبالتالى فإنه أرسل فى أغسطس رجل ثقة، وهو والسكى، إلى الإسكندرية لقيادة محمد على ولمحاولة التوصل إلى اتفاق تركى - مصرى (٢٥٦). وقد تحدث البعض عن استعادة الأسلحة لتجديد أمجاد ١٧٩٣ والوصول بالحدود الفرنسية من جديد إلى نهر الراين. ولكن بالمرستون احتفظ مرة أخرى بهدوئه، وهو واثق من أن العقبة الوحيدة لأى حرب هى الأسطول البريطانى (٢٥٧). وبالفعل، دعا لويجى فيليبو تيير وقال له إن مصلحة فرنسا هى فى عدم إشعال الحرب ولكن فى الاقتصار على اتخاذ إجراءات وقائية (٢٥٨).

ويمكن القول بأن التوتر الفرنسى - الإنجليزي قد ضعف إلى حد ما فى شهر أغسطس (٢٥٩). وفى ٧١ سبتمبر وقع فى لندن بروتوكول بين القوى الأربع،

تلتزم فيه بعدم البحث عن مزايا تتعلق بالأرض أو مزايا سياسية وتجارية تنفيذًا لالتزاماتها التي قطعتها على نفسها باتفاقية ١٥ يوليو (٢٦٠). وقد تحسنت العلاقات أكثر في الشهور التالية (٢٦١)، على الرغم من دحض الرأى البريطانى المتشدد جدا واحتجاج (٢٦٢) ضد تحية محمد على (مذكرات ٣ و ٨ أكتوبر ١٨٤٠)، التى أعقبها أيضا احتجاج مترنيخ. وقد أسهم موقف لويجى فيليبو وحكومة سولت - جويزو الجديدة (٢٩ أكتوبر ١٨٤٠) فى تجاوز الأزمة وإعادة تقارب البلدين (٢٦٣)، وفى الوقت نفسه كانت النمسا وروسيا مشغولتين لأسباب مختلفة بإعادة فرنسا إلى الوفاق مع القوى الكبرى (٢٦٤). وقد كان محمد على يطالب بدوره، بضغط من والسكى، بتدخل ملك فرنسا (٧ نوفمبر ١٨٤٠) فى المفاوضات التى كانت ستجرى بين القوى الكبرى لتنظيم العلاقات بينه وبين السلطان (٢٦٥) وقبل ذلك ببضعة أيام (٣ نوفمبر) كانت سان جوفانى داكرى قد استسلمت لستوبفورد.

وبما أنه كان هناك ولا يزال تفاخر كبير بمذكرة تيير فى ٨ أكتوبر والحماية المطلوبة من محمد على بخطاب ٧ نوفمبر، مع التأكيد على أن "فرنسا أنقذت مصر"، يجدر بنا أن نلاحظ هنا أنه إذا كان تيير قد رفع صوته ضد إنجلترا، فإن المساعدة لم تتحول أبدا من الكلمات إلى الأفعال. وكانت السياسة الفرنسية فى كل القضية غير متمردة لفرنسا ولمصر. ليس هذا فحسب، لأن وزير الخارجية الجديد، جويزو، الذى كانت تحركه الرغبة فى السلام مع إنجلترا سارع بإعطاء التعليمات التالية لكوشيليه (٩ نوفمبر ١٨٤٠) (٢٦٦): "إن محمد على لا يجب أن يوهم نفسه حول ما تريد أو تستطيع فرنسا عمله من أجله... إن فرنسا لا تريد ولن تشن الحرب من أجل سوريا، ولا تريد ولن تشن الحرب لتسمح لمحمد على بتغذية الحرب فى هذا البلد". فهذا أبعد ما يكون عن مساعدة مصر!

١٥ - تحت تأثير مذكرة تيير وموقف مترنيخ، أعطى بالمرستون تعليماته لبونسبى (١٥ أكتوبر ١٨٤٠) لدعوة السلطان للصفح عن محمد على والاحتفاظ له بالحكم الوراثى فى مصر بشرط أن يعيد له الباشا الأسطول وأرضه وسوريا

والأماكن المقدسة. إلا أن بالمرستون كتب في ٢ نوفمبر إلى السفير في باريس، جرانفيل، وبدا أنه تراجع عن موقفه، مما أثار رد فعل شديدا في فرنسا (٢٦٧). ليس هذا فحسب، فمع دعوته للقيادة البحرية (٤١ نوفمبر) لإعطاء التعليمات للأدميرال ستوبفورد حتى يرسل ضابطا من جانبه للتباحث مع محمد علي، تحدث بالمرستون عن الاحتفاظ لهذه الحكومة بمصر، دون تحديد "الحكم الوراثة" (٢٦٨)، ربما تحت تأثير الخبر الذي جاءه آنذاك عن انتصارات نابييه وستوبفورد.

وقد أرسل ستوبفورد إلى الإسكندرية في مصر نابييه الذي أبرم في ٢٧ نوفمبر اتفاقية مع محمد علي، كان من نتائجها أن التزم هذا الأخير بالجلاء عن سوريا وإعادة الأسطول بمجرد التصديق على حكمه الوراثة لمصر (٢٦٩). وإذا كان هذا الاتفاق قد نبذ ستوبفورد (٢ ديسمبر) لأنه لا يتماشى مع الأوامر الصادرة عن القيادة البحرية، أي مع تعليمات بالمرستون في ١٤ نوفمبر (٢٧٠)، فإنه تعرض للهجوم بعنف من بونسنبى، العدو اللدود لمحمد علي الذي كان يريد تنحيته ببساطة. ولهذا قام هو وزملاؤه في القسطنطينية بحث السلطان على رفض الاتفاقية (١٨ ديسمبر) والاستمرار في العمليات ضد إبراهيم (٢٧١). وقد انسحب هذا الأخير مع الجيش الذي انخفض إلى النصف وفي ظروف سيئة، من دمشق في ٣٠ ديسمبر وواصل زحفه نحو العريش بعد أن فقد آلاف الرجال.

وفي الوقت نفسه، كان ستوبفورد قد أرسل إلى الإسكندرية الكابتن فانشو الذي حصل من محمد علي، على إعلان بالخضوع غير المشروط (٩ ديسمبر ١٨٤٠)، بعد أن أبلغه بعدم التصديق على اتفاقية ٢٧ نوفمبر. وقد أظهر بونسنبى، الذي كان يريد تنحية محمد علي بأى ثمن، عداؤه لقبول عرضه بالإذعان، في تناقض مع أوامر بالمرستون، ليس فقط في ١٥ أكتوبر ولكن أيضا في ١٤ نوفمبر ١٨٤٠. ولهذا قبل السلطان الإذعان ولكن دون أن يحدد شيئا حول وراثة حكم مصر (٢٧ ديسمبر) (٢٧٢). وفي ١٥ ديسمبر، قبل تلقى الخبر الخاص بعمل فانشو، لم يكن بالمرستون قد وافق على اتفاقية ٢٧ نوفمبر (٢٧٣) التي أبرمها نابييه. وتمشيا مع هذا، أمر بونسنبى بالانضمام إلى زملائه النمساوي والروسي

والبروسى لمطالبة السلطان بأن يمنع محمد على الحكم الوراثةى لمصر. وهكذا اضطر بونسنبى للتنازل على مريض (١٠ يناير ١٨٤١) (٢٧٤).

وفى ١٢ يناير ١٨٤١ وجه السلطان خطابا لمحمد على، يخبره فيه بأنه وافق على الحكم الوراثةى على مصر بشرط إعادة الأسطول والأراضى التى احتلها هو وابنه (٢٧٥). وفى الوقت نفسه ذهب أدميرال إنجليزى فى الخدمة لاستلام الأسطول التركى لحساب السلطان ليضمه بعد ذلك للأسطول الإنجليزى، وفى الوقت نفسه كانت هناك شائعات تقول إن إنجلترا ربما أرادت التمرکز فى أكرى (٢٧٦). وفى ٣٠ يناير ١٨٤١، أبلغ المبعوثون المفوضون لبريطانيا والنمسا وبروسيا وروسيا السفير التركى فى لندن بأن حكوماتهم نصحت السلطان بأن يوافق لمحمد على، على الحكم الوراثةى لمصر (٢٧٧). وفى ١٣ فبراير ١٨٤١ وجه السلطان لمحمد على "خطابا شريفا" (خطابا إمبراطوريا) وفرمانا. وفى الخطاب الشريف (٢٧٨) يعبر السلطان عن رضائه عن إذعانه، ويبلغه بقرار منحه الحكم الوراثةى لمصر؛ ولكن اختيار الخليفة من أبنائه الذكور كان من اختصاص السلطان. وبالتالى فإن الوثيقة كانت تقر إلزام الحاكم (الوالى) بجمع الضرائب باسم السلطان ودفع ربع المبلغ الإجمالى للباب العالى، وصك العملة برمز السلطان والإبقاء على جيش لا يتجاوز ١٨ ألف رجل وتعيين الضباط حتى رتبة الرائد. وقد سمح الفرمان (٢٧٩) ("دون ميراث") لمحمد على بحكم النوبة ودارفور وكردوفان وسنار مع الالتزام بعدم جلب عبيد من هذه المناطق. وبعد عدة محادثات مع مبعوث السلطان، ومع أفراد عائلته ومع القنصل العام الفرنسى كوشيليه، قرر محمد على (٦ مارس ١٨٤١) عدم قبول الخطاب الشريف، خاصة لأنه لم يكن يريد أن يترك اختيار منصب الوالى لتحكم السلطان (٢٨٠).

وقد عقد هذا الوضع الجديد الأمور إلى حد ما، حيث كان ممثلو أربعة من القوى الأربع قد أعلنوا فى ٥ مارس إنهاء القضية المصرية وقرروا إعادة قناصلهم إلى القاهرة (٢٨١) ليس هذا فحسب. فقد كانت فرنسا، التى اقتربت من جديد من إنجلترا من نوفمبر ١٨٤٠ فصاعدا، كانت قد انضمت إلى اتفاقية حول إغلاق

المضائق، وقعت بالأحرف الأولى في ١٥ مارس ولكنها لم توقع رسمياً (٢٨٢). وبعد أن علمت فرنسا برفض محمد علي، جعلت التوقيع على الاتفاقية متوقفاً على شرط قبول السلطان لمطالب الباشا، وخاصة المطلب المتعلق بالخلافة على أساس قانون الأقدمية (٢٨٣)، وقد أرسل بالمرستون، الذي كان قد أبلغ بونسبى في ١٦ مارس بقرارات ٥ مارس، أرسل برقية لهذا الأخير حتى يضع نهاية للقضية. وبعد أن راوغ مرة أخرى (٢٨٤). تنازل السلطان لضغوط ممثلي القوى الأربع الكبرى لدى سفيره في لندن (١٣ مايو ١٨٤١) (٢٨٥) ولدى الباب العالي مباشرة (٢٢ مايو ١٨٤١) (٢٨٦). وهكذا أصدر في ٢٥ مايو ١٨٤١ خطاباً شريفاً جديداً (٢٨٧) قبل فيه مطالب محمد علي: الميراث لأبنائه الذكور بترتيب الأقدمية؛ ودفع جزية سنوية، بدلا من دفع ربع الضرائب؛ وتعيين ضباط حتى رتبة كولونيل. وفي ١٠ يونيو قدم الخطاب الشريف لمحمد علي الذي قبله في احتفال مهيب (٢٨٨).

وبعد مزيد من المفاوضات، حددت الجزية بـ ٦٠ ألف حافظة سنوية (٢٨٩). وفي أعقاب التوصل إلى اتفاق، أصبحت العلاقات ودية بين تركيا ومصر. وبعد تجاوز مناقشات أخرى بين فرنسا وإنجلترا حول الإلغاء الرسمي من عدمه لمعاهدة ١٥ يوليو ١٨٤٠، وقعت القوى الخمس في ١٠ يوليو "بروتوكول إنهاء" الحادثة (٢٩٠)، ووقعت القوى الخمس وتركيا بالتالي على اتفاقية المضائق (١٣ يوليو ١٨٤١) (٢٩١)، ونتيجة لذلك التزمت القوى الأولى باحترام القانون القديم للإمبراطورية العثمانية، الذي ينص على أن مضائق الدردنيل والبوسفور مغلقة أمام السفن الحربية لكل القوى.

وقد انتصرت دبلوماسية بالمرستون انتصاراً تاماً بتعاون الأسطول. وأخضع محمد علي، وألغيت معاهدة هونكيار إسكيليزي، ولم يتم التقارب الفرنسي - الروسي، وأنقذ طريق الهند.

هوامش

- (١) راجع ف. س. رو، *L'Angleterre, l'isthme de Suez et l'Egypte au XVIII siècle*، باريس، بلون، ١٩٢٢، ص ١٧٢
- (٢) راجع أ. دريو، *La formation de l'Empire de Mohamed Ali de l'Arabè au Soudan (1814-1823)*، القاهرة، ر. الجمعية الجغرافية في مصر، ١٩٢٧، ص LV-Précis de l'Histoire Mohamed Ali في نفس المرجع، في الجزء الثالث من *d'Égypte*، ص ٢٠١
- (٣) ويلسون، *The Struggle for the Mediterranean*، الفصل ٢٠ من الجزء الثامن من *Cambridge Modern History [C.M.H.]* ص ٤٨٣
- (٤) ج. هولاند روز *The Egyptian Expedition*، الفصل ١٩ من المجلد الثامن من *C.M.H.*، ص ٥٩٥.
- (٥) راجع رو، *L'Angleterre, l'isthme and the Conquest of Italy*، الفصل ١٨ من المجلد الثامن من *C.M.H.*، ص ٥٩٠-٥٩٢؛ وفي نفس المرجع *The Egyptian Expedition*، ص ٥٩٦
- (٦) دو لا چونكيير، المرجع المذكور، المجلد الثاني، ص ٣٨٩-٤٣٢. وحول معركة أبو قير، راجع ماهان. أ، ص ٢٥٦-٢٧٣؛ ويلسون *The Struggle for the Mediterranean*، ص ٦٢٩؛ أ. دوان، *La flotte de Bonaparte sur les côtes d'Égypte. Les prodomes d'Aboukir*، ١٩٢٢.
- (٧) راجع ويلسون، نفس المرجع، ص ٦٣٠
- (٨) ج.م. تريفيان، *Storia d'Inghilterre*، ميلانو، تريفيان، ١٩٨٣، ص ٦١٧.
- (٩) نص دي مارتنز، *Recueil*، الجزء السادس، ص ٥٢٣-٥٣٦. وحوله راجع س. جوريانو، *Le Bosphore et le Dardanelles, étude historique sur la question des Détroits*، باريس، بلون، ١٩١٠، ص ٤ ح شب *European Powers and the Near*

- England Eastern Question، نيويورك، ١٩٣١، ص ١٢٠. أنظر أيضا ه. تيمبرلي، and the Near East (The Crimea) لندن، لونغمانز، ١٩٣٦، ص ٤٤ - ٤١٠.
- (١٠) ت. أ. ووكر، The Armed Neutrality, 1780-1801 في C.M.H، المجلد التاسع، ص ٤٠. كامبريدج، مطبعة الجامعة، ١٩٠٦. نص وثيقة ١٠ أكتوبر ١٧٩٨ في دي مارتنز، Recueil، الجزء السادس، ص ٣٣٥-٣٣٦.
- (١١) راجع ماهان، The influence of sea power, the French Revolution and Empire, 1793-1812، لندن، ساميسون لو، ١٨٩٣ في مجلدين، الأول، ص ٢٨٦-٢٨٧.
- (١٢) النص في دي مارتنز، Recueil، السادس، ص ٥٦٨-٥٧٣.
- (١٣) حول المجلة في سوريا. راجع كل المجلد الرابع من كتاب دو لا كونكيير، Expédition d'Égypte.
- (١٤) حول معركة أبو قير، راجع دولا كونكيير، المرجع المذكور، المجلد الخامس، ص ٣٢٥-٤٨١.
- (١٥) النص في دي مارتنز، Recueil، الجزء السابع (١٨٠٠-١٨٠٣٩، جوتينجا، ديبيتر يتس، ١٨٣١ ص ١-٧).
- (١٦) بالنسبة لأحداث مصر، علاوة على المجلدات والدراسات المذكورة، راجع ه. دهران، L'Expédition du général Bonaparte في الجزء الخامس، ص ١٩٩-٥٥٥، من Historia de la Nation Égyptienne إعداد ج. هانتوتو، باريس، بلون، ١٩٣٤؛ طبعة دريو، La question d'Orient، الطبعة الثامنة، باريس، ألكان، ١٩٢١، ص ٧٢-٧٩.
- (١٧) حول البعثة راجع ب. كوكيل، La mission de Sebastian à Constantinople en 1801، في Revue d'histoire diplomatique، يوليو ١٩٠٣، طبعة دريو، La politique orientale de Napoléon، باريس، ألكان، ١٩٠٤، ص ٢٣-٢٥.
- (١٨) هـ. روز، Egyptian Expedition، ص ٦١٨.
- (١٩) راجع ج. دوان وأس فوتيير-چونز، L'Angleterre et l'Égypte، La politique mameluke (1801-1803)، القاهرة، الجمعية الملكية للجغرافيا في مصر، ١٩٢٩، الوثيقة ٦.
- (٢٠) راجع دوان-فوتيير، المرجع المذكور، الوثائق ٢-٤، ٩، ١٢، ١٧، ٢٥، ٣٦، ٣٩.
- (٢١) راجع دوان-فوتيير، المرجع المذكور، الوثيقة ٤؛ أنجلو سان ماركو، Il regno di Mohammed Ali nei documenti diplomatici italiani inediti، المجلد الأول،

- (L'Egitto nell'anarchia (luglio 1801-luglio 1804) القاهرة، الجمعية الملكية للجغرافيا في مصر، ١٩٣٠، ص ٣٤-١٥؛ في نفس المرجع، I documenti diplomatici concernenti il regno di Mohammed Ali e gli archivi di Stato italiani Oriente Moderno، العدد التاسع ١٩٢٩، ص ٢٨٧-٢٩٦.
- (٢٢) دوان- فوتيير، المرجع المذكور، الوثيقة ١٦.
- (٢٣) راجع دوان- فوتيير، المرجع المذكور، الوثائق ٢٠-٢١
- (٢٤) نفس المرجع، الوثيقة ٣٣ (الاجتماع في وزارة الخارجية العثمانية مع مداخلة لورد إلجين، ١٤ سبتمبر ١٩٠١)
- (٢٥) حول الواقعة، راجع دوان- فوتيير، المرجع المذكور، الوثائق ٤١، ٤٧، ٦٦، ص ١٦-٢١ (المقدمة)؛ سان ماركو، L'Egitto nell'anarchia، الوثائق ٣-٦
- (٢٦) راجع رسالة إلى اللورد إلجين في دوان- فوتيير، المرجع المذكور، الوثيقة ٧٩. ولكن اللورد إلجين كان قد اقترح عدم الاعتراف بالجنرال هتشنون ومساندة الباب العالي، لمنع فرنسا من تقديم مساعدتها لتركيا ضد المماليك والتدخل في مصر، حتى أنه في ٢٥ نوفمبر كان الجنرال سييا ستيا إلى القسطنطينية للتفاوض على معاهدة سلام على أساس المقدمات المبرمة في باريس ٩ أكتوبر ١٨٠١ بين نابليون والسفير التركي، راجع نفس المرجع، الوثائق ٥٥، ٥٦. وبالنسبة للاحتجاج التركي، الوثائق ٥٤ و٥٧.
- (٢٧) راجع دوان - فوتييه، المرجع المذكور، الوثائق ٦١-٨٨ في مواضع مختلفة وص ٢٦-٣١؛ سان ماركو، المرجع المذكور، الوثيقة ٧.
- (٢٨) راجع دوان- فوتييه، المرجع المذكور، ١، الوثيقة ٩٨
- (٢٩) نفس المرجع، نفس الصفحة، الوثيقة ١٠٤
- (٣٠) راجع دوان- فوتييه، المرجع المذكور، الوثائق ١١٦-١٢٣ وص ٢١-٣٥.
- (٣١) راجع دوان- فوتييه، المرجع المذكور، الوثائق ١٣٠-١٣١، ١٣٢ سان ماركو، المرجع المذكور الوثيقة ١٥. وقد قام رو سیتی، القنصل العام النمساوي بخطوة مماثلة لدى الباشا: سان ماركو، المرجع المذكور الوثيقة ١٥.
- (٣٢) حول مهمة سيياستيانى في مصر راجع دوان- فوتييه، المرجع المذكور، الوثائق ١٣٨-١٤٧، ١٥٠-١٥٢، ١٥٥، ١٩٣؛ ج. دوان، L'Égypte de 1802 à 1804، الوثائق ٤، ٥، ٧-٩، ٢٠، ٢٩؛ سان ماركو، المرجع المذكور، الوثائق ١٦، ١٧، ٣٦؛ دريو La politique orientale de Napoléon، ص ٢٥-٢٦.

- (٣٣) راجع دوان- فوتييه، المرجع المذكور، الوثيقة ١٧٠
- (٣٤) راجع دوان- فوتييه، المرجع المذكور، الوثيقة ١٦٢. وقد كتب ستيوارت أيضا لرئيس الوزراء (الوثيقة ١٧١). أنظر أيضا سان ماركو، المرجع المذكور، الوثيقة ٢٣.
- (٣٥) راجع دوان- فوتييه، المرجع المذكور، الوثائق ١٧٩، ١٨١، ١٩٣.
- (٣٦) راجع نفس المرجع، نفس الصفحة، الوثائق ١٨٥-١٨٦، ٢٠٣؛ دوان، L'Égypte de 1802 à 1804، الوثائق ١٤-١٥.
- (٣٧) دوان- فوتييه، المرجع المذكور، الوثائق ١٩٤، ١٩٦-٢٠٢؛ دوان، L'Égypte de 1802 à 1804، الوثائق ١٢-١٣، ١٦-١٧؛ سان ماركو، المرجع المذكور، الوثيقة ٢٠.
- (٣٨) دوان- فوتييه، المرجع المذكور، الوثيقة ٢٠٦.
- (٣٩) راجع ج. دوان- فوتييه جونز، L'Angleterre et l'Égypte, la politique mameluk، المجلد الثاني (١٨٠٣-١٨٠٧)، القاهرة، الجمعية الملكية للجغرافيا في مصر، ١٩٣٠.
- (٤٠) راجع نفس المرجع، الوثائق ٣، ١٠.
- (٤١) راجع دوان- فوتييه، المجلد الثاني، الوثائق ١٤، ١٧، ١٨، ٢٠، ٢٤؛ L'Égypte de 1802 à 1804، الوثيقة؛ سان ماركو، الوثائق ٢٤-٣٦.
- (٤٢) دوان- فوتييه، المرجع المذكور، ٢ (١٨٠٣-١٨٠٧) والوثيقة ٢١ دوان، L'Égypte de 1802 à 1804، الوثيقة ٣٦.
- (٤٣) حول الاضطرابات في مصر وسلوك محمد علي تجاه الأوروبيين راجع سان ماركو، الوثائق ٣٧، ٥٢.
- (٤٤) دوان، L'Égypte de 1802 à 1804، الوثيقة ٤٢.
- (٤٥) راجع دوان- فوتييه، المجلد الأول، الوثائق ٤٠، ٤٨، ٥٦-٥٩، ٦٨، ٦٩، ١١٣، ١٤٢، دوان، المرجع المذكور، الوثائق ٥٥-٦١، ٦٥، ٦٩، ٧١، ٧٣، ٧٥-٨٢؛ سان ماركو، الوثيقة ٥٣.
- (٤٦) راجع دوان- فوتييه، الوثيقة ٤٧؛ دوان، المرجع المذكور، الوثائق ١١٠، ١١٤.
- (٤٧) راجع دوان- فوتييه، المرجع المذكور، ٩٤؛ دوان، المرجع المذكور، الوثائق ٥٤-٥٥.
- (٤٨) راجع دوان- فوتييه، المرجع المذكور، دوان، المرجع المذكور، الوثائق ١٦٢، ١٦٥-١٦٦؛ سان ماركو، L'Egitto nell'anarebia، الوثائق ٥٧-٦٤، دوان، Mohammed

- (1805-1807) Ali Pacha du Caire، القاهرة، الجمعية الملكية للجغرافيا في مصر،
١٩٢٦، الوثيقة ٣٠
- (٤٩) راجع دوان- فوتييه، المرجع المذكور، المرجع المذكور، الوثائق ١٧٥، ١٨٠، ١٨٣،
١٨٦.
- (٥٠) نفس المرجع نفس الصفحة، الوثيقة ٢٠٠، دوان، Mohammed Ali Pacha du Caire (1805-1807)،
الوثيقة ١٠٢.
- (٥١) دوان، Mohammed Ali Pacha du Caire (1805-1807)، الوثيقة ١٠٤
- (٥٢) دوان، Mohammed Ali Pacha du Caire (1805-1807)، الوثيقة ٤٠
- (٥٣) دوان- فوتييه، المرجع المذكور، الوثيقة ٢٢٦
- (٥٤) دوان- فوتييه، المرجع المذكور، الوثيقة ١٤٠
- (٥٥) حول المفاوضات الخاصة بهذه المعاهدة، راجع جوريا ينوف، المرجع المذكور، ص ٤-٧
- (٥٦) راجع ج. دوان، L'Angleterre et la Turquie، ص ص ٥٢-٥٧، جوريا ينوف،
المرجع المذكور، ص ٧-١٠.
- (٥٧) النص في Correspondance de Napoléon، رقم ١٠، ٣٣٩.
- (٥٨) حول هذه الأحداث ومهمة سيبا ستيناني، راجع ج. دوان L'Angleterre et la Turquie،
ص ٥٧-٥٥؛ دريو La politique orientale de Napoléon, 1805-1808، ص ص
٦٠-٧٨؛ جوريانيفوف، المرجع المذكور، ص ١١-٢.
- (٥٩) راجع حول هذا تيمبرلي، Crimea، ص ٤٥-٤١٠؛ "شيب"، المرجع المذكور، ١٢٠.
راجع أيضا خطاب اللورد أبردين في ١٢ فبراير ١٨٣٠ إلى لوردات هانزاردز، السلسلة
الجديدة، المجلد الثاني والعشرين، المجموعة ٤٢٨ (ويوجد بها خطاب لفوكس بتاريخ ٨
أبريل ١٨٠٦ إلى تاليران).
- (٦٠) ج. دوان، L'Angleterre et la Turquie، ص ٦٥-٧٢؛ دريو، La politique orientale
de Napoléon، ص ٨٠-٨٩
- (٦١) حول بعثة داكورث إلى القسطنطينية، راجع ج. دوان، L'expédition de Sir John
Duckworth à Constantinople، ص ٧٢-١٧٢ في مقدمة المجلد المذكور:
L'Angleterre et l'Égypte، La politique mameluke، المجلد الثاني (١٨٠٣-
١٨٠٧)؛ دريو، La politique orientale de Napoléon، ص ٨٩-١١٠

- (٦٢) حول البعثة الإنجليزية عام ١٨٠٧ إلى مصر، راجع ج. دوان- أ. س. فوتيه- جونز، *L'Angleterre et l'Égypte, La compagnie de 1807* للجمعية الملكية للجغرافيا في مصر، ١٩٨٢؛ دوان، *Mohammed Ali, Pacha du Caire (1805-1807)*، المذكور، الوثائق ١٣٥-١٦٢؛ ف.س. رو، *L'Égypte de 1801 à 1882*، ص ٣٣-٤١ في المجلد الأول من العمل المؤلف من ٨ مجلدات *Histoire de la nation égyptienne* إعداد ج هانوتو، باريس، بلون، ١٩٣٦؛ دريو، *La politique orientale de Napoléon*، ص ١١١-١٢٢؛ م. صبرى، *L'empire égyptien sous Mohamed Ali*، باريس، جويتر، ١٩٣٠، ص ٢٧-٢٩
- (٦٣) نفس تعليمات ١٥ مايو في ج. دوان، *La mission de Sir A. Paget* في المجلد المذكور، ص ١٣٠-١٣٢
- (٦٤) راجع دريو، *La politique orientale de Napoléon*، ص ٢١٧-٢١٨، ٢٣٠-٢٣١، جورباينوف، المرجع المذكور، ص ١٥
- (٦٥) راجع نص التعليمات لباجيه بتاريخ ١٣ أغسطس ١٨٠٧ في ج. دوان، المرجع المذكور، ص ١٥١-١٥٢.
- (٦٦) حول بعثة باجيه راجع دوان، المرجع المذكور ص ص ١٣٤-٥٣،
- (٦٧) راجع تعليمات (٢٦ يونيو ١٨٠٨) كاتينج إلى السير ر. أدير، المبعوث في مهمة إلى القسطنطينية، في تيمبرلي، *Crimea*، ص ٤٧، ٤١٠. حول أدير راجع *Negotiations for the peace of the Dardanelles*، في مجلدين، ١٨٤٥.
- (٦٨) النص في أدير، المرجع المذكور، ١، ص ١٢٢-١٢٣؛ إشارات في تيمبرلي، *Crimea*، ص ٤٨، ٤١٠. بالنسبة للمفاوضات، علاوة على أدير، راجع س. لين بول، *The Life of the right honourable Startford Canning viscount Startford de Redcliffe* في مجلدين، لندن، لونجمانز، ١٨٨٨، المجلد الأول، ص ٣٨، ٤٦. إثارة في دريو، *La politique orientale de Napoléon*، ص ٣٦٢-٣٦٣
- (٦٩) حول النتائج القانونية لقبول هذا المبدأ، الذي تحول من قاعدة في القانون الداخلي إلى قاعدة في القانون الدولي، راجع جورباينوف، المرجع المذكور، ص ص ٢٠-٢١.
- (٧٠) راجع تيمبرلي، المرجع المذكور، ص ٤٨
- (٧١) في هذه الفترة، كانت المصادر كلها فرنسية. راجع طبعة دريو، *Mohamed Ali et Napoléon (1807-1814)*، القاهرة، جمعية الجغرافيا، ١٩٥٢. وقد توقفت المصادر

الإنجليزية عند ١٨٠٧ مع ثلاثة مجلدات بالتعاون بين ج. دوان وفوتيه جونز؛ والإيطالية، التي نشرها سان ماركو، تتوقف عند ١٨٠٤، لكي تستأنف في السنوات ١٨٣١-١٨٣٣.

(٧٢) حول العلاقات بين محمد علي والمماليك راجع دريو، (Mohammed Ali, (1807-1814)، الوثائق ٥-٧ (١٨٠٨)؛ ١٥-١٦، ٢٢ (طلب حاكم مملوكي للحصول على الحماية الإنجليزية، أغسطس ١٨٠٩)، ٢٣، ٢٧-٢٨ (١٨٠٩)؛ ٣٤-٣٦، ٣٩-٤٠، ٤٢-٤٦، ٤٩ (١٨١٠)؛ ٥٣، ٥٧-٥٩، ٦٣ (١٨١١)؛ ٨٥، ٩٦، ١٠٠ (١٨١٢)

(٧٣) راجع دريو، *La politique orientale de Napoléon*، ص ٢٠٨-٢١٤

(٧٤) نص الخطاب في *Correspondance de Napoléon*، المجلد ١٦، ص ٥٨٦. النص والتعليق في دريو، *La politique orientale de Napoléon*، ص ٢٤٥-٢٥٤

(٧٥) راجع دريو، *Mohamed Ali et Napoléon (1807-1814)*، ١٨٠٧-١٨١٤، الوثيقة ٣؛ المرجع نفسه، *La question d'Orient* ص ٩٢-٩٣

(٧٦) راجع دريو، *Mohamed Ali*، ص ٢٢-٢٣.

(٧٧) حول هذه التعليمات التي أصدرها نابليون راجع دريو، *Mohamed Ali*، ص ٢٤-٢٦

(٧٨) دريو، *Mohamed Ali (1807-1814)*، الوثيقة ٦٥

(٧٩) راجع جوربانيوف، المرجع المذكور، ص ١٦-١٨، ٢٣؛ دريو، *La politique orientale de Napoléon*، ص ٢٣١-٢٤٤، ٢٥٦-٢٦٧، ٢٨٩، ٣٠٨، ٢٤٨-٣٥٢

(٨٠) النص في دي مارتنز، *Nouveau Recueil de Traités* الكتاب الثالث، ص ص ٣٩٧-٤٠٥. حول سير المفاوضات راجع لين بول، المرجع المذكور، المجلد الأول، الفصل الرابع؛ راجع لين بول، المرجع المذكور، المجلد الأول، الفصل الرابع؛ تيمبرلي، *Crimea*، ص ٥٠-٥١. المعاهدة لم تكن تتضمن أى إشارة لقضية المضيق: راجع جوربانيوف، المرجع المذكور ص ٢٤.

(٨١) النص في دي مارتنز، *N.R.T.*، ٣، ص ٢٢٦-٢٢٩.

(٨٢) النص في دي مارتنز، *N.R.T.*، ١، ص ٤٣١-٤٣٢

(٨٣) راجع دريو، *Mohamed Ali (1807-1814)*، الوثائق ٥ (١٨٠٨)؛ ٢٩، ٤٩، ٥٠، (١٨١٠)، ٦٠، ٦٣، ٦٨ (١٨١١) ح ١٠٣-١٠٤، ١٠٨، ١١٣ (١٨١٢).

(٨٤) راجع دريو، نفس المرجع، الوثائق ٦١-٦٢ (١٨١١)، ٩٢، ١٠٩، ١١٣ (١٨١٢).

- (٨٥) راجع دريو، نفس المرجع، الوثيقة ١٠٠
- (٨٦) راجع دريو، نفس المرجع، الوثائق ٣٤ و ٥٠
- (٨٧) راجع دريو، Mohamed Ali (1807-1814)، الوثائق ٦٧-٦٩
- (٨٨) راجع دريو، La formation de l'Empire de Mohamed Ali، الوثائق ١٥، ٢٣-٦١
- (٨٩) راجع دريو، La formation de l'Empire de Mohamed Ali، إلخ، الوثيقة ١
- (٩٠) حول الحرب في الجزيرة العربية (١٨١١-١٨١٩)، راجع دريو، Mohamed Ali (1807-1814)، الوثائق ٨٠-١٤٣ في مواضع متفرقة، راجع نفس المرجع، La formation de l'Empire de Mohamed Ali de l'Arabie au Soudan (1814-1823)، الوثائق ١-٧٨ في مواضع متفرقة وص ١٣-٣٤، القاهرة الجمعية الملكية للجغرافيا، ١٩٢٧؛ صبرى، المرجع المذكور، ص ٣٨-٥٩. الانجليز لم يؤيدوا بعثة الجزيرة العربية: راجع دريو، La formation de l'Empire de Mohamed Ali، إلخ. الوثائق ٢١، ٥٠. وقد شارك في البعثة الإيطالي فيناتي، الذي نشرت مؤخرا سيرته الذاتية، التي كانت معروفة حتى ذلك الحين بالإنجليزية فقط، في ترجمة إيطالية: Vita e avventure di Gianni Finati إعداد ميكيلي فيزاني، ميلانو، وهي الدراسة الأولى بالنسبة لدراسات السياسة الدولية، ١٩٤١.
- (٩١) راجع دريو، La formation de l'Empire de Mohamed Ali، إلخ، الوثائق ٥٣، ٦٦، ٧١، ٧٤، ٧٥، ١٠٤؛ صبرى، المرجع المذكور، ص ٥٩-٦٥
- (٩٢) حول الكولونيل سيف راجع ج. دوان، Une mission militaire française auprès de Mohamed Ali، الجمعية الملكية للجغرافيا في مصر، ١٩٢٣، ص ١٠-١٦. القاهرة. البوير خصص له مجلد كامل، حيث يتضمن مراسلته (نوفمبر ١٨٢٤-سبتمبر ١٨٢٦) مع الجنرال بيليارد. حول مؤلف البوير، راجع أيضا أ. دريو، L'expédition de Crète et de Morée (1823-1828)، القاهرة، الجمعية الملكية للجغرافيا في مصر، ١٩٣٠، الوثائق ٢٧، ٤٥، ٩٣، ١١٩، ١٢١، ١٣٠، ١٣٤، ١٤٠، ١٤٤.
- (٩٣) أنظر قائمة ذلك في دريو، L'expédition، إلخ، الوثيقة رقم ١٨
- (٩٤) دريو، L'expédition، إلخ، الوثيقة ٦
- (٩٥) حول هذه الاصلاحات راجع دريو، L'expédition، إلخ، ص ٨-١٢ والوثائق ٧-٨، ١٠، ١٧، ١٨، ٢٨؛ صبرى، المرجع المذكور ص ٧٨-٨٩
- (٩٦) راجع دريو، L'expédition، إلخ، الوثائق ١٠، ٥، ص ٨-١٤

- (٩٧) راجع صبرى، المرجع المذكور، ص ٩٣
- (٩٨) وهكذا صبرى، المرجع المذكور، ص ٩٠. رأى موثق بتصريحات محمد على لضابط فرنسى؛ نفس المرجع، نفس الصفحة، ص ٩٠-٩١. أنظر أيضا تقرير القنصل الإنجليزى "سولت" بتاريخ ٣١ أغسطس ١٨٢٦: نفس المرجع، نفس الصفحة، ص ١١٦.
- (٩٩) راجع دريو، L'expédition، ٨-١٠، ١٤
- (١٠٠) راجع نفس المرجع، نفس الصفحة، الوثائق ١٩، ٢٤-٢٥، ٣٥، ٣٨
- (١٠١) راجع نفس المرجع، نفس الصفحة، الوثائق ٤٧، ٤٣، ٥٤، ٦٢
- (١٠٢) راجع نفس المرجع، نفس الصفحة، الوثائق ٣٩، ٤٢، ٤٦، ٥٤، ٦٧، ٦٩، ٧٢، ٧٦، ٧٩-٨١، ٨٣-٨٦، ٨٨، ٩١-٩٢، ١٤١؛ صبرى، المرجع المذكور ص ٩٣-٩٧
- (١٠٣) راجع دريو، L'expédition، إلخ، الوثائق ٥٢، ١٥٨، ١٠١، على الترتيب.
- (١٠٤) راجع نفس المرجع، نفس الصفحة، الوثائق ٥٣، ٦٧
- (١٠٥) راجع دريو، L'expédition، إلخ، الوثيقة ٦٧
- (١٠٦) راجع تقارير القنصل الإنجليزى "سولت" بتاريخ ٣١ أغسطس، ٢٤، ٢٦ سبتمبر ١٨٢٦ فى صبرى، المرجع المذكور، ص ص ١١٦-١١٩ وفى ج. دوان، Navarin، القاهرة، الجمعية الملكية للجغرافيا فى مصر، ١٩٢٧، ص ١٨-١٩.
- (١٠٧) دوان، Navarin، ص ١٧، ١٩.
- (١٠٨) حول هذه المهمة، راجع صبرى، المرجع المذكور، ص ١١٩-١٢٩
- (١٠٩) راجع دريو، L'expédition، الوثائق ١٤٧، ١٥١؛ صبرى، المرجع المذكور، ص ١٣٠-١٣١
- (١١٠) راجع دوان، Navarin، الوثيقة ١٤٩
- (١١١) حول الأسطول، المحترم حقا، الذى أنشأه محمد على، راجع ج. دوان، Les premières frégates de Mohammed Ali (1824-1827)، الجمعية الملكية للجغرافيا فى مصر، ١٩٢٦؛ دريو، L'expédition، إلخ، الوثائق ١٢٣-١٢٦، ١٥٣، ١٥٥.
- (١١٢) راجع دريو، نفس الموضوع، الوثائق ١٥٩-١٦٠ ودوان، Navarin، ص ٦٣-٦٥
- (١١٣) حول السياسية الإنجليزىة-الفرنسية تجاه محمد على فى النصف الأول من ١٨٢٧، راجع

صبرى، المرجع المذكور، ص ١٣٦-١٤٠.

(١١٤) راجع دوان، Navarin، ص ١٥٠

(١١٥) حول موقف مترنيخ راجع صبرى، المرجع المذكور، ص ١٣١-١٣٦.

(١١٦) حول مهمة كرادوك راجع صبرى، المرجع المذكور، ص ١٤٣-١٤٤. دوان، Navarin، ص ٦٥-٦٨، ١٥٥-١٦١

(١١٧) دوان، Navarin، ص ص ٢٠١-٢٠٥

(١١٨) حول هذه المعركة راجع دوان، Navarin؛ دريو، L'expédition، إلخ، الوثائق ١٦٦-١٦٨، ١٧٣؛ صبرى، المرجع المذكور، ص ص ١٤٧-١٥٣.

(١١٩) راجع دوان، Navarin، ص ص ٢٤٣-٢٤٩.

(١٢٠) راجع ج. دوان L'Égypte de 1828 a 1830، القاهرة، الجمعية الملكية للجغرافيا فى مصر، ١٩٣٥، الوثائق ٤-١٣، ١٥-٢١

(١٢١) النص فى دوان، L'Égypte de 1828 a 1830، الوثيقة ٢٢

(١٢٢) راجع دوان، L'Égypte de 1828 a 1830، الوثائق ٣٥-٣٦، ٣٩-٤٠، ٤٣، ٤٦-٥٠، ٥٦

(١٢٣) نفس المرجع، نفس الصفحة، الوثائق ٧٠-٧١، ٧٥-٧٧، ٧٩

(١٢٤) نفس المرجع، نفس الصفحة، الوثائق ٧٥-٧٦، ٨٤

(١٢٥) الاتفاقية منحت حق دخول المضائق للسفن التجارية، وليس للسفن الحربية، راجع جوريانوف Le Bosphore et les Dardanelles، باريس، بلون، ١٩١٠، ص ٢٧-٢٨.

(١٢٦) راجع و. أليسون فيليبس، Mehmet Ali فى Cambridge Modern History، المجلد العاشر، ص ٥٤٥.

(١٢٧) راجع جوريانوف، المرجع المذكور، ص ٤٩. هذا المؤلف ينتقد قرار نيقولا الأول، فى نفس الموضوع، ص ٤٨-٥٠

(١٢٨) نص مذكرة ١٦ سبتمبر ١٨٢٩ قدمة ر.ج. كيرنر، Russia's New Policy in the Near East after the Peace of Adrianople فى Cambridge Historical Journal، ١٩٧٣، ٤، العدد ٣، ص ص ٢٨٦-٢٨٩. تقرير عن نتائج اللجنة فى ت. شيمان، Geschichte

Russlands unter Kaiser Nikolaus I مؤلف من ٣ مجلدات، برلين، ١٩٠٨، المجلد الثاني، ص ٣٦٧. مذكرات عضوية في اللجنة نيسلرود وداشكوف) ونتائج اللجنة موجودة في ف. مارتنز، Recueil de traités et conventions conclus par la Russie avec les puissances étrangères، بطرسبرج، ديفريو، ١٨٧٨، ١٥ مجلدا، الكتاب الرابع، الجزء الأول، ص ٤٣٧-٤٤١. وهناك خطاب ل "تيسلرود" إلى السفير الروسي في لندن، ليفني، بتاريخ ٢٧ سبتمبر ١٨٢٩ في مارتنز، المجلد الحادي عشر، ص ٤١٢-٤١٣. أنظر أيضا س. جورباينوف، Le Bosphore et les Dardanelles، باريس، بلون، ١٩١٠، ص ٢٥-٢٧. وهناك إشارات في تيمبرلي، Crimea، ص ٥٧-٥٨، ٤١١؛ فيليبس، Mehemet Ali، ص ٥٤٦ وه. تيمبرلي- ل بنسون، Foundations of British Foreign Policy، كامبردج، مطبعة الجامعة، ١٩٣٨، ص ١١٨

(١٢٩) جورباينوف، المرجع المذكور، ص ٢٩-٣٠

(١٣٠) حول موقف حكومات ويلينجتون- أبردين وجرى- بالمرستون في قضايا الحرب الروسية- التركية، والاستقلال اليوناني والاحتلال الفرنسي للجزائر راجع تيمبرلي، Crimea، ص ٥٢-٥٦، ٥٨-٦٢، ٤١٢؛ صبرى L'Empire égyptien sous Mohamed Ali، ص ١٦٩-١٨١، ١٩٠. حول مشروع الاتفاق بين فرنسا ومحمد علي لاحتلال شمال أفريقيا راجع ج. دوان Mohamed Ali et l'expédition d'Aleger (1829-1830)، القاهرة، الجمعية الملكية للجغرافيا في مصر، ١٩٣٠؛ نفس المرجع، L'Égypte de 1828 à 1930، الجمعية الملكية للجغرافيا في مصر، ١٩٣٥، الوثائق ٧١-٧٣، ٧٦-٨٠. القاهرة؛ دوان، La première guerre de Syrie، الوثائق ٢-٣

(١٣١) بالنسبة لهذه الوثائق الثلاث راجع صبرى، المرجع المذكور، ص ١٨٢-١٨٣، ١٨٦.

(١٣٢) راجع أ. سان ماركو، Il regno di Mohammed Ali، القاهرة، الجمعية الملكية للجغرافيا في مصر ١٩٣١، المجلد الثامن، الوثيقة ٤٨؛ ج. دوان، La première guerre de Syrie، في مجلدين، القاهرة، الجمعية الملكية للجغرافيا في مصر، ١٩٣١، المجلد الأول، الوثيقة ١٠؛ أليزون فيليبس، Mehmet Ali، كامبردج، مطبعة الجامعة، ١٩٠٧، ص ٥٤٥، في Cambridge Modern History، المجلد العاشر؛ كان محمد علي قد طلب من الباب العالي في فبراير ١٨٣١ حكم سوريا كمكافأة على المساعدة التي سيقدمها له في قمع ثورة زعيم محلي. راجع دوان، المرجع المذكور، المجلد الأول، الوثيقة ٢. وقد سنحت فرصة أخرى لمحمد علي للحصول على سوريا أو الاستيلاء عليها أثناء الأيام الأولى من عام ١٩٣١ نفسه، عندما دعاه باشا سكوتاري في ألبانيا، مصطفى، في تمرد

على الدعوة وفضل الوقوف محايدا: دوان، المرجع المذكور، المجلد الأول، الوثائق ٣-٤، ٨، ١٢

(١٣٣) سان ماركو، نفس الموضوع، المجلد الثامن، الوثيقة ٥٠

(١٣٤) راجع دوان، المرجع المذكور، المجلد الأول، الوثائق ١٦، ١٩ وص ٧-٩

(١٣٥) راجع دوان، المرجع المذكور، المجلد الأول، الوثائق ٢٤، ٢٥، ٢٩، ٣٣-٣٤، ٣٨، ٣٩، ٤١، ٤٦، ٥٢.

(١٣٦) راجع دوان، المرجع المذكور، المجلد الأول، الوثائق ٤٦، ٥٢، ٥٣، ٥٣، ٦١.

(١٣٧) حول الوزن الحقيقي لمطلب محمد علي، راجع صبرى، المرجع المذكور، ص ٢٠٠ ودوان، المرجع المذكور، المجلد الأول، ص ص ١٨-١٩.

(١٣٨) راجع سان ماركو، المرجع المذكور، المجلد التاسع، الوثيقة ١٠٧؛ المجلد العاشر، الوثائق ٥، ١٥؛ صبرى، المرجع المذكور، ص ٢٠٤-٢٠٦ فى مواضع متفرقة. حول موقف فرنسا، راجع دوان، المرجع المذكور، المجلد الأول، الوثائق ٤٢-٤٣، ٥٠، ٥٦، ٦٥، ٦٨، ٧٤، ٧٦، ٨٣، ٨٥، ٩٦، ١٠٨، ١٠٢. الوثائق الإنجليزية لم تنشر بعد.

(١٣٩) راجع دوان، المرجع المذكور، المجلد الأول، الوثيقة ١٠٤

(١٤٠) دوان، نفس الموضوع، المجلد الأول، الوثائق ١٠٣، ١١٤، ١١٦، ١١٧، ١٣٢، ١٣٥. وقد تأخر الرد لكسب الوقت.

(١٤١) حول نشاط القنصل الفرنسى ميمو لدى محمد على والمكلف بالأعمال فارين لدى الباب العالى، راجع دوان، المرجع المذكور، المجلد الأول، الوثائق ١١٩، ١٢٠، ١٢٣، ١٢٨، ١٣١، ١٣٤، ١٣٩، ١٤١، ١٤٣. فى التعليمات الموجهة للسفير روسين (١٣ ديسمبر ١٨٣٢) كتب وزير الخارجية الفرنسى دو برولى يقول: "نحن لا يمكن ألا نرى باهتمام ميلاد ونمو دولة تقدم منفا هاما لتجارتنا، لامتلاكها ثلاثة ملايين من السكان وأجمل موقع جغرافى فى العالم... دولة يمكن أن تصبح بحريتها فى يوم من الأيام حليفة لبحريتنا فى البحر المتوسط"، (الوثيقة ١٤١)

(١٤٢) *Il regno di Mohammed Ali* حول حملة محمد على فى سوريا راجع أ. سان ماركو، المجلدات الثامن- العاشر؛ كادالفين وبارو، *Histoire de la guerre de Méhémet contre la Port Ottomane en Syrie et en Asie Mineure (1831-1833)* باريس، ١٨٣٧؛ بول موربيه، *Histoire de Méhémet Ali*، مؤلف من ٥ مجلدات، باريس،

- ١٨٠٧؛ ف. منجين، Histoire sommaire de l'Égypte sous le gouvernement de Mohammed Ali (1823-1838)، باريس، ١٨٣٩؛ دوان، المرجع المذكور، المجلد الأول؛ صبرى، المرجع المذكور، الفصل الرابع. بالنسبة للإشارة للمصادر الأصلية المخطوطة المصرية راجع ج. دينى، Sommaire des archives turques du Caire، القاهرة، الجمعية الملكية للجغرافيا في مصر، ١٩٣٠، ص ٣٠١-٣٠٥.
- (١٤٣) راجع أليزون فيليبس، المرجع المذكور، ص ٥٥١، "موات" المرجع المذكور، ص ١٦٤، الملحوظ، ومذكرة كانينج إلى بالمرستون بتاريخ ١٩ ديسمبر ١٨٣٢ فى C.H.B.P.، المجلد الثانى، ص ٦٣٨.
- (١٤٤) حول الطلب التركى والرد الإنجليزى، راجع دوان، المرجع المذكور، المجلد الأول، الوثائق ١١٧، ١٢٠ والمجلد الثانى، ص ص ١٠، ١٢-١٣، ١٦-١٩، الوثائق ١٠، ٢٦؛ تيمبرلى، Crimea، ص ٦٣؛ فيليبس، Méhmét Ali، ص ٥٤٨.
- (١٤٥) حول مهمة مورافيف راجع دوان La première guerre de Syrie، المجلد الأول، الوثائق ١٥١-١٥٢؛ المجلد الثانى، ص ص ٧-٩، ٣٥ والوثائق ١-٢، ١٥، ٣١؛ صبرى، المرجع المذكور، ص
- (١٤٦) راجع دوان، المرجع المذكور، المجلد الثانى، الوثيقة ٥. حول مهمته فى الإسكندرية، الوثائق ١٥، ٢٠، ٢٤-٢٥، ٣٨، ٤٨، ٦٣
- (١٤٧) نص الخطابات فى دوان، المرجع المذكور، المجلد الثانى، الوثيقة ٧
- (١٤٨) راجع دوان، المرجع المذكور، المجلد الثانى، ص ١٢-١٩
- (١٤٩) راجع خطاب إبراهيم لمحمد على فى ٣ فبراير فى صبرى، المرجع المذكور، ص ٢٢٧-٢٢٨.
- (١٥٠) راجع الحديث بين القيصر نيقولا الأول والسفير النمساوى فى بطرسبرج فيكلمونت، بتاريخ ١٨ فبراير ١٨٣٣. نص رسالة السفير إلى حكومته نقله تيمبرلى، Crimea، ص ٦٧-٦٨. أنظر أيضا ف. دو مارتنز، Recueil de Traités et conventions conclus par la Russie avec les Puissances étrangères، المجلد الرابع، الجزء الأول، ص ص ٤٤٢-٤٤٣.
- (١٥١) راجع دوان، المرجع المذكور، المجلد الثانى، الوثائق ١٥، ٢٤، ٢٩
- (١٥٢) حول التدخل الروسى ومهمة أورلون راجع جورباينوف، المرجع المذكور، ص ٣١-٣٧.

حول المباحثات من فبراير ١٨٣٢ حتى سلام كيوتاهيا راجع ج. دوان، La première guerre de Syrie، المجلد الثاني، ص ٣٦-٩٧ والوثائق ٣٦-١٢٣؛ ج. دوان، La mission du baron de Boislecomte. L'Égypte et la Syrie en 1833 الملكية للجغرافيا في مصر، ١٩٢٧؛ المقدمة والوثائق ١-٢٠؛ صبرى، المرجع المذكور الفصول ٤ و ٥. لم أستطع العثور في إيطاليا على الكتب الإنجليزية الزرقاء، المنشورة كأبحاث ٢١٣، ٢٢٩ في المجلد L من B.P.P.، ١٨٣٩، والتي تتضمن الوثائق الدبلوماسية الإنجليزية. ولكن ملخصات ومقتطفات هذه الوثائق موجودة في المقدمة في المجلد الثاني من دوان، La première guerre de Syrie، أنظر أيضا مترنيخ، Mémoires, documents et écrits divers، في ٨ مجلدات، إعداد ريكاردو دو مترنيخ و م. أ. دو كلينكوستروم باريس، بلون، ١٨٨٠-١٨٨٤، الكتاب الخامس، الوثائق ١١٢٨-١١٣٢؛ م جويزو Mémoires pour servir à l'histoire de mon temps، في ١٢ مجلدا. باريس، ليفي، ١٨٥٨-١٨٦٨، الكتاب الرابع، ص ٣٨-٤٧. أنظر قائمة مراجع Cambridge Modern History، المجلد العاشر، ص ٨٥٢-٨٥٥

(١٥٣) راجع تيمبرلي، Crimea، ص ٦٤

(١٥٤) تيمبرلي، Crimea، ص ٦٦. راجع خطاب بالمرستون إلى سير و. تيمبل في ١٩ لأبريل ١٨٣٣ والذي نقله جزئيا ر.ب. "موات" The Egyptian crisis and its sequences، المجلد 1833-1841، ص ١٦٢، Cambridge History of British Foreign Policy، الثاني، كامبردج، مطبعة الجامعة، ١٩٢٣. (المجلد الثاني، "موات" يذكر أشلى لمصدر، المرجع المذكور، المجلد الأول، ص ٣٨٥. ولكن الاستشهاد غير متطابق).

(١٥٥) بالنسبة للمفاوضات راجع جورياينوف، المرجع المذكور، ص ٣٧-٤٢: دوان، La première guerre de Syrie، ص ٩٧-١٠٤ والوثائق ١٤٠-١٧٨، في مواضع متفرقة. من أجل الحصول على تعليق عام على المعاهدة راجع صبرى، المرجع المذكور، ص ٢٥١-٢٦٩. النص في مارتنز- مور هارد، Nouveau Recueil de Traités، المجلد الحادي عشر، ص ٦٥٥-٦٥٩

(١٥٦) راجع شيمان، المرجع المذكور، المجلد الثالث، ص ٢١٩-٢٢٢؛ جورياينوف، Le Bosphore et les Dardanelles، ص ٤٣-٤٦، ٨٩؛ تيمبرلي، Crimea، ص ٦٩-٧٢، ٤١٢-٤١٤؛ ب. أ. موزلي، Russian Diplomacy and the opening of the Eastern Question in 1838-1839، كامبردج، مطبعة جامعة هارفارد، ١٩٣٤، ص ٩-٣٠، س.و. كرولي، Anglo-Russian Relations 1815-1840 في Cambridge

- Historical Journal، ١٩٢٩؛ ج.أ.ر. ماريوت The Eastern Question، الطبعة الأولى، أكسفورد، مطبعة كلاريندون، ١٩١٧، ص ص ٢٠٩-٢١٠ (الطبعة الثالثة بتاريخ ١٩٢٤، ولكنني لم أستطع الرجوع إليها)؛ "موات"، المرجع المذكور، ص ص ١٦٥-١٦٨؛ أليزون فيليبس، المرجع المذكور، ص ص ٥٥٥-٥٥٦.
- (١٥٧) راجع "موات"، المرجع المذكور، ص ١٦٦، ١٦٨ و C.H.B.F.P.، المجلد الثاني، ص ٦٣٩
- (١٥٨) راجع تيمبرلي، Crimea، ص ص ٧٢-٧٣. حول سياسة مترنيخ في ١٨٣٣-١٨٣٤ تجاه القضية الشرقية، راجع تيمبرلي، Crimea، ص ص ٧٩-٨١
- (١٥٩) راجع تيمبرلي، Crimea، ص ص ٧٤، ٧٧-٧٨؛ أليزون فيليبس، المرجع المذكور، ص ٥٥٦. حول "الأمر التقديري" في ١٨٣٤ الذي ألغاه ويلينجتون في ١٨٣٥ وجدده بالمرستون في ١٨٣٦، راجع في نفس الموضوع ص ص ٧٦-٧٧ وتيمبرلي- بنسون، Foundation، ص ص ١١٨-١٢١
- (١٦٠) راجع "موات"، المرجع المذكور، ص ١٦٨. ومن نوفمبر ١٨٣٤ حتى أبريل ١٨٣٥ كانت هناك حكومة "بيل". وقد ترك بالمرستون ل ويلينجتون نفسه مقاليد وزارة الخارجية، التي لم تغير مع ذلك توجيهاتها، في القضية الشرقية.
- (١٦١) راجع النص في ف. مارتنز Recueil de traités et conventions conclus par la Russie، الكتاب الرابع، الجزء الأول، ص ص ٤٤٥-٤٤٩ والملحوظة التمهيدية، ص ص ٤٣٥-٤٤٥. للحصول على تعليق، راجع أ. مولدن، Die Orientpolitik (1829-1837) Meternichs، فيينا، ١٩١٣؛ شيمان، المرجع المذكور، ص ص ٥١-٥٢؛ "موات"، المرجع المذكور، ص ١٦٧.
- (١٦٢) راجع بولوير، Life of Palmerston، المجلد الثاني، ص ص ١٦٩-١٧٠. حول سياسات مترنيخ في ١٨٣٣-١٨٣٤ تجاه القضية الشرقية راجع تيمبرلي، Crimea، ص ص ٧٩-٨١
- (١٦٣) راجع صبري، المرجع المذكور، ص ص ٢٧٤-٢٨٦؛ تيمبرلي، Crimea، ص ص ٨٠-٨١
- (١٦٤) راجع رسالة كامبل إلى بالمرستون في بولوير، المرجع المذكور، المجلد الثاني، ص ٤١٩.
- (١٦٥) النص في تيمبرلي- بنسون، Foundations، الوثيقة ١٢٤ المنقولة جزئيا في تيمبرلي، Crimea، ص ٨٢

- (١٦٦) حول هذا راجع موزلى، المرجع المذكور، ص ص ٩٦-٩٨
- (١٦٧) النص فى مارتنز- مور هارد، N.R.T.، المجلد ١٥، ص ٦٩٥-٦٩٩. المقالات الإضافية للـ ١٨ التالى. نفس المرجع، نفس الموضوع، ص ٦٩٩-٧٠٢. حول المفاوضات راجع ه. ليتون بولوير، *The Life of John Temple, Viscount Palmerton*، المجلد الثانى، ص ٢٥٧-٢٦٥، ٢٧٣-٢٨٠، ٢٨٤-٢٨٥، ٢٨٨ (المؤلف فى مجلدين، لندن، ينتلى، ١٨٧٠، أكمله آشلى بمجلدين آخرين). حول العداء وتفسير روسيا وفرنسا راجع موزلى، المرجع المذكور، ص ٩٧-١٠٢. حول تطبيقه راجع Paper 341 فى B.P.P.، المجلد الثامن (السابع الخاص بـ A. و P.)
- (١٦٨) راجع موزلى، المرجع المذكور، ص ٥٢-٥٣. حول تطور السياسة الفرنسية نحو محمد على على بعد ١٨٣٣ راجع صبرى، المرجع المذكور، ص ٣١٠-٣٢٨، ٤٠٥-٤١٦ و ٤٢٠-٤٢٦.
- (١٦٩) راجع موزلى، المرجع المذكور، ص ٤٩-٥٠
- (١٧٠) موزلى، المرجع المذكور، ص ٦٥-٦٦. بالمرستون كان يخشى كثيرا قيام تحالف بين فرنسا وروسيا: راجع خطابه إلى كرانفيل فى ٨ يونيو ١٨٣٨ فى بولوير، المرجع المذكور، المجلد الثانى، ص ٢٦٨.
- (١٧١) النص موزلى، المرجع المذكور، ص ٥٦-٥٧
- (١٧٢) نص الخطاب فى بولوير، *Life of Palmerston*، المجلد الثانى، ص ٢٧٠-٢٧٢
- (١٧٣) حول المفاوضات من أجل عقد مؤتمر للقضية المصرية والعلاقات الإنجليزية-الروسية فى النصف الثانى من ١٨٣٨ راجع موزلى، المرجع المذكور، الفصل الخامس وص ١١٧-١٢١؛ صبرى، المرجع المذكور، ص ٤١٦-٤١٩، ٤٢٦-٤٣٧، جورباينوف، المرجع المذكور، ص ٥٢-٥٧
- (١٧٤) حول الحرب الصليبية وأصوات الهجوم، راجع موزلى، المرجع المذكور، ص ١٠٣، ١٠٨-١١٢.
- (١٧٥) راجع موزلى، المرجع المذكور، ص ١٠٥-١٠٨
- (١٧٦) راجع خطابات بالمرستون إلى بونسنبى فى ١٣ سبتمبر ١٨٣٨ فى بولوير، المرجع المذكور، المجلد الثانى، ص ٢٨١-٢ ومن نفس الشخص لنفس الشخص الآخر فى ١٥ مارس ١٨٣٩ فى Paper n. 304, Correspondance relative to the Affairs of the

levant، الوثيقة ٧، B. P. P.، ١٨٤١، المجلد التاسع والعشرون (الـ١٧ الخاص بـ A. و P.) المنقول في تيمبرلي- بنسون، Foundation، ص ١٢٧ خطابات بونسنبى إلى المرستون في ٦ و ٢٢ أبريل ١٨٣٩ في Paper n. 304، الوثائق ٢٣، ٢٦، المنقولة في تيمبرلي، Crimea، ص ٩٩. انظر أيضا الوثائق ٤٣-٤٤. نص الصورة الأولى من المعاهدة في Paper n. 304، الوثيقة ٢٦، المرفق ٤. انظر أيضا الوثائق ١٩-٢٠

(١٧٧) حول المفاوضات الإنجليزية- التركية والتدخل الروسى، راجع تيمبرلي، Crimea، ص ٩٨-١٠٠؛ موزلى، المرجع المذكور، ص ٤٣٨-٤٣٩. ولا يوجد عام مؤلف جوريانوف.

(١٧٨) راجع تيمبرلي Crimea، ص ٩١-٩٢

(١٧٩) النص في تيمبرلي، Crimea، ص ٨٨-٩٠

(١٨٠) تيمبرلي، Crimea، ص ٩٠

(١٨١) رسالة بالمرستون لى جرانفيل (٨ يوليو ١٨٣٩)، التى نقلها تيمبرلي، Crimea، ص ٩٣.

(١٨٢) رسالة بالمرستون للممثل البريطانى فى القاهرة، كامبل، بتاريخ ٢٩ نوفمبر ١٨٣٨. النص تيمبرلي- بنسون، المرجع المذكور، ص ١٢٦-١٢٧ وبالمثل اعترضى انجلترا على احتلال الباشا لمنطقة "دير" على الفرات: راجع صبرى، المرجع المذكور، ص ٣٠٢

(١٨٣) النص فى صبرى، المرجع المذكور، ص ٢٩١-٢٩٦

(١٨٤) حول أسباب عداء بالمرستون تجاه محمد على، راجع تيمبرلي، Crimea، ص ٩٢؛ ٩٦؛ صبرى، المرجع المذكور، ص ٢٨٨-٣٠٦؛ ه.ل. هو سكينز؛ British Routes to India، الفصول ١، ١٣، ١٩٢٨؛ هـ. دودويل، The foundation of modern Egypt: study of Mohammed Ali، كامبردج، مطبعة الجامعة، ١٩٣١، ص ١٤٩-١٥١.

(١٨٥) نفس الممثل البريطانى فى القاهرة، كامبل، كان يعترف فى رسالة إلى بونسنبى (١٧ يوليو ١٨٣٩) "بعدم صحة كثير من الشكاوى المقدمة من الباب العالى ضد محمد على": النص فى Paper n. 304، ص ١٩٤، مرفق ٤. وقد وبخ بالمرستون كامبل على هذه الرسالة لأنها "ضد مشاعر الحكومة البريطانية" وأقاله فى سبتمبر: راجع تيمبرلي، Crimea، ص ١٠٧

(١٨٦) حول مسئولية السلطان كمعتد- راجع جويوزو، Mémoires، المجلد الرابع، ص ٣٣١-

٣٣٤ وص ٤٧٩-٤٨٤؛ أ. دريو، *L'Égypte et l'Europe: la crise de 1839-1841*، في مجلدات، القاهرة، الجمعية الملكية للجغرافيا في مصر، ١٩٣٠-١٩٣٤، المجلد الأول، الوثائق ١-٦، ١١. ولكن روسيا أبلغت محمد علي أنها تعتبره "معتدياً": راجع دريو، نفس الموضوع، الوثيقة ٧.

(١٨٧) راجع دريو، *L'Égypte et l'Europe*، المجلد الأول، الوثيقة ٨ (ص ٢٤)، المجلد الثاني (ص ٣٦)، تقارير الممثل الفرنسي في القاهرة، كوشليه، الوزير الخارجية، سولت، بتاريخ ١٥ مايو والسفير البابوي النمساوي بتاريخ ٢٨ مايو ١٨٣٩.

(١٨٨) النص في دريو، *L'Égypte et l'Europe*، المجلد الأول، الوثيقة ١٣ (ص ٥١).

(١٨٩) حول هذه الأحداث راجع أ.ج. بوليتيس، *Le conflit Turco-Égyptien de 1838-41*، القاهرة، الجمعية الملكية للجغرافيا في مصر، ١٩٣١، الوثائق ٤٨-٦٣، دريو، الوثائق ٦-٣٦ في مواضع متفرقة، ص ٥٣-٦٢؛ تيمبرلي، *Crimea*، ص ١٠٤-١٠٥؛ صبرى، المرجع المذكور، ص ٤٤٣-٤٤٦؛ مولتكه، *Gesammelte Schriften*، المجلد الثاني، برلين، ميتر، ١٨٩٢، ص ص ٢٩٨-٣١٤؛ مولتكه، *Lettres du maréchal de Moltke sur l'orient*، باريس، ساندوز وفيشباخر، ١٨٧٢، الخطاب ٦٣ (*La bataille de Nisib*). وكان مولتكه مع قوات حافظ.

(١٩٠) حول قضية نقل الأسطول راجع دريو، المرجع المذكور، المجلد الأول، الوثائق ٣٨، ٤٦، ٤٧-٤٠، ٥١؛ المجلد الثاني، الوثيقة ٢٨

(١٩١) راجع *Memoires*، المجلد الرابع، ص ٣٤٢

(١٩٢) دريو، *L'Égypte et l'Europe*، المجلد الأول، الوثائق ٤١-٤٣. أنظر أيضا ٢٠-٣٠؛ بوليتيس؛ المرجع المذكور، الوثيقة ٦٤، صبرى، المرجع المذكور، ص ٤٥٤

(١٩٣) لطرده كوزريف، طلب مساندة المفتى الأكبر في القسطنطينية وباشوات الباب العالي الستة عشر، راجع دريو، المرجع المذكور، المجلد الأول، ص ٤٧، ٥٠، ٦٦.

(١٩٤) راجع خطاب بالمرستون إلى جرانفيل بتاريخ ١٩ يوليو ١٨٣٩ في بولوير، *Life of Palmerston*، المجلد الثاني، ص ٢٩٥

(١٩٥) حول السياسة المصرية عند "سولت"، من أبريل إلى يوليو ١٨٣٩، والمنتقدة عامة، راجع دريو، *L'Égypte et l'Europe*، المجلد الأول، ص ٥٢-٦٨ والوثائق ١١، ٢٥، ٣٤، ٥٢، ٥٣؛ جويزو، *Mémoires*، المجلد الرابع، ص ٣٣٥-٣٤١، ٣٥٧-٣٦١؛

'موات'، المرجع المذكور، ص ١٧١-١٧٢. نص رسالة ١٧ يوليو في دريو، L'Égypte et l'Europe، المجلد الأول، الوثيقة ٤٤ وفي جويزو، المرجع المذكور، المجلد الرابع، ص ٥١٢-٥١٣.

(١٩٦) راجع جويزو، المرجع المذكور، المجلد الرابع، ص ٣٤٨؛ دريو، المرجع المذكور، ص ٤٥٦-٤٥٧. ولا توجد إشارة في Mémoires مترنيخ.

(١٩٧) النص في Paper n. 304، الوثيقة ٢٢٦، المرفق ١؛ د مارتنز- مورهارد، Nouveau Suppléments، المجلد الثالث، ص ٨٧٥-٨٧٦. بالنسبة للمراسلات التي جرت بين مختلف الحكومات الأوربية والطرفين المتحاربين راجع Paper n. 304، الوثائق ٤٥-٢٢٦ في مواضع متفرقة؛ صبرى، المرجع المذكور، ٤٥٧-٤٦١. جويزو، المرجع المذكور، المجلد الرابع، ص ٣٤٣-٣٤٨؛ دريو، المرجع المذكور، المجلد الأول، الوثائق ٤٨٤-٥٤٦. حولها راجع تيمبرلى، Crimea، ص ١٠٨؛ تيمبرلى- بنسون، Foundations، ص ١٢٢؛ ماريوت، المرجع المذكور، ص ٢١٢-١٣.

(١٩٨) دريو، المرجع المذكور، المجلد الأول، الوثيقة ٥٧

(١٩٩) حول موقف بوتينف، راجع موزلى، المرجع المذكور، ص ١٠٤

(٢٠٠) دريو، المرجع المذكور، المجلد الأول، الوثائق ٥٩، ٦٣-٦٤؛ دريو، المرجع المذكور، المجلد الأول، الوثائق ٨٥، ٨٩؛ المجلد الثانى، الوثيقة ٦.

(٢٠١) دريو، المرجع المذكور، المجلد الأول، الوثائق ٥٩-٦٠. الاتفاق المباشر لقي تشجيع روسيا؛ الوثائق ٧٩، ٨١. راجع أيضا بوليتيس، المرجع المذكور، الوثائق ٦٦-٦٧، ٦٩، ٧٢.

(٢٠٢) راجع Paper n. 304، الوثائق ٢٨٦، ٢٨٨؛ دريو، المرجع المذكور، المجلد الأول، الوثيقة ٦٦، جويزو، المرجع المذكور، المجلد الرابع، ص ٣٤٣؛ تيمبرلى، Crimea، ص ١٠٨-١٠٩.

(٢٠٣) راجع دريو، المرجع المذكور، المجلد الأول، الوثيقة ٨٥ (ص ٣٢٩-٣٣٩) و٨٩.

(٢٠٤) راجع دريو، المرجع المذكور، المجلد الأول، الوثائق ٨٣-٩١؛ بوليتيس، المرجع المذكور، الوثيقة ٧٣.

(٢٠٥) حول أهداف توسع محمد على راجع تيمبرلى، Crimea، ص ١٠٠-١٠٣ وسان ماركو، Il Regno di Mohammed Ali، المجلد الثامن، وثائق مختلفة.

(٢٠٦) راجع جويزو، المرجع المذكور، المجلد الرابع، ص ٣٤٩ - ٣٥٥؛ المجلد الخامس، ص ٢٧-٢٩؛ دريو، المرجع المذكور، المجلد الأول، الوثائق ٩٥-٩٦؛ بولير، المرجع المذكور، المجلد الثاني، ص ٢٩٦-٢٩٨.

(٢٠٧) راجع دريو، المرجع المذكور، المجلد الثاني، الوثيقة ١، ص ٢١-١

(٢٠٨) دريو، المرجع المذكور، المجلد الثاني، الوثيقة ٢٩

(٢٠٩) دريو، المرجع المذكور، المجلد الثاني، الوثيقة ٣٥، بوليتيس، المرجع المذكور، الوثائق ٧٦-٧٧.

(٢١٠) دريو، المرجع المذكور، المجلد الثاني، الوثائق ٤٣، ٣٨، ٤٣، ٥٨-٦٣.

(٢١١) دريو، المرجع المذكور، المرجع الثاني، الوثيقة ٢٩ (ص ٨١).

(٢١٢) راجع نفس الموضوع، ص ٧٨-٨٠

(٢١٣) دريو، المرجع المذكور، المجلد الثاني، الوثائق ٣٤، ٤٧.

(٢١٤) دريو، المرجع المذكور، المجلد الثاني، ص ٥٥-٥٨.

(٢١٥) راجع دريو، المرجع المذكور، المجلد الثاني، ص ١٧-١٨.

(٢١٦) راجع دريو، المرجع المذكور، المجلد الثاني، الوثيقة ١ (رسائل من زميرنه، ٢٩ أكتوبر والقسطنطينية، ٤ نوفمبر)، ٢ (رسالة لكوشليه في ٥ نوفمبر)، ٩ (رسالة من القسطنطينية في ١٩ نوفمبر)، ١٠ و ١١ (رسائل كوشليه في ٢٠ و ٢٦ نوفمبر)، ١٤ (رسالة سولت إلى كوشليه في ٧ ديسمبر)، ١٥ (رسالة من القسطنطينية في ٩ ديسمبر)، ١٦ (خطاب محمد على إلى كوشليه في ١٦ ديسمبر)، ١٧ (رسالة كوشليه في ١٦ ديسمبر)، ٢٩، ص ٧٩ (رسالة كوشليه في ٥ يناير ١٨٤٠)، ٧٧ (رسالة كوشليه في ٢٦ مارس).

(٢١٧) راجع دريو، المجلد الثاني، الوثائق ٢١-٢٢-٢٨

(٢١٨) حول مايسمي ب "عرض سيياستيانى"، راجع Paper n. 304 الوثائق ٣٠٦، ٢٨١، ٣١٣، ٣٢٣، ٣٢٤، ٣٢٩، ٣٣٣، ٣٥١، ٣٥٥، ٣٥٨، ٣٧٩، ٣٨٥، ٣٩٩، ٤٠٣، جويزو، Mémoires، المجلد الرابع، ص ٣٥٨ - ٣٦٣؛ ٣٧٠، ٥٤٦ - ٥٧٤، تيمبرلى، Crimea، ص ١١٣، صبرى، ص ٤٧٥-٤٧٧، "موات"، المرجع المذكور، ص ١٧٣-١٧٥ في مواضع متفرقة

(٢١٩) راجع خطاب بالمرستون إلى بونسنبى، في ٢ ديسمبر ١٨٣٩ في تيمبرلى - بنسون،

Foundations، ص ١٢٧-١٢٨؛ مقتطف في Paper 304، الوثيقة ٣٩٨.

(٢٢٠) راجع رسائل ٢٢، ٢٧، ٣١ أغسطس الخاصة بالسفير الإنجليزي في بطرسبرج كلانريكارد في Paper n. 304، الوثائق ٢٩٠-٢٩٣. راجع بولير، المرجع المذكور، المجلد الثاني، ص ٢٩٩؛ "موات"، المرجع المذكور، ص ١٣٧

(٢٢١) راجع أليزون فيليبس، Méhémet Ali، ص ٥٥٧.

(٢٢٢) حول مهمتي برونو والاتفاق الإنجليزي-الروسي راجع ----، الوثائق ٤١٩، ٤٢٧، ٤٣٠، ٤٤٥-٤٤٦، ٤٥٦-٤٥٧، ٥٠٦؛ دريو، المرجع المذكور، المجلد الثاني، جويزو، المرجع المذكور، المجلد الرابع، ص ٥٥٩-٥٧٤؛ جوريا ينوف، المرجع المذكور، ص ٦٢-٧٦؛ بولوير، المرجع المذكور، المجلد الثاني، ص ٢٩٩-٣٠٣، ٣٠٥-٣٠٧؛ "موات"، المرجع المذكور، ص ١٧٣؛ تيمبرلي Crimea، Paper 304، ص ١١١-١١٢، ٤٢٦. وقد أعيدت صيغة الاتفاق مرة أخرى؛ راجع جورياينوف ص ٧٦-٨١

(٢٢٣) حول مهمة كامل، راجع دريو، المرجع المذكور، المجلد الثاني، الوثائق ٢٣، ٣٩؛ صبرى، المرجع المذكور، ص ٤٠-٤٠٣.

(٢٢٤) راجع دريو، المرجع المذكور، المجلد الثاني، الوثيقة ٩٣ أنظر أيضا الوثيقة ٩٥

(٢٢٥) دريو، المرجع المذكور، المجلد الثاني، الوثائق ٩٨-١٠٠، ١١٨، ١٢٦.

(٢٢٦) راجع جويزو، المرجع المذكور، الكتاب الخامس، الفصل الثامن والعشرون؛ دريو، المرجع المذكور، المجلد الثاني، في مواضع متفرقة.

(٢٢٧) راجع النص في Paper 304، الوثيقة ٥٤١؛ جويزو، المرجع المذكور، المجلد الخامس، ص ٤٢٠-٤٢٣؛ دريو، المرجع المذكور، الوثيقة ٩٠

(٢٢٨) دريو، المرجع المذكور، المجلد الثاني، ١٠؛ جويزو، المرجع المذكور، المجلد الخامس، ٤٢٥؛ "موات"، المرجع المذكور، ص ١٧٦. أنظر أيضا ص ٧٥-٨٥. حول السياسة المصرية، هناك بعض الإشارات ولكنها غير كافية، سيرة هـ. مالو، Thiers (1796-1877)، باريس، بايوت، ١٩٣٢، ص ٢٩٦-٢٩٧، ٣٠٤-٣٠٧.

(٢٢٩) راجع Paper 304، الوثيقة ٥٤٣

(٢٣٠) راجع تقارير المفاوضات في رسالة بالمرستون إلى السفير بولوير بتاريخ ٢١ يوليو ١٨٤٠ في Paper 323: Correspondence relative to the Affairs of Levant، الجزء الثاني، الوثيقة ١٠ في B.P.P.، المجلد التاسع والعشرون المذكور؛ جويزو، المرجع

- المذكور، الكتاب الخامس، ص ٨٥-٨٧؛ صبرى، المرجع المذكور، ص ٤٩١-٤٩٣.
- (٢٣١) راجع رسالة كوشليه إلى وزير خارجية في ٦ مايو ١٨٤٠ في دريو، المرجع المذكور، المجلد الثاني، الوثيقة ١٠٣. انظر أيضا الوثيقة ١٢١
- (٢٣٢) راجع "موات"، المرجع المذكور، ص ١٧٦-١٧٧ و ص ٦٣٩-٦٤٠
- (٢٣٣) حول مهمة سامى راجع دريو، المرجع المذكور، المجلد الثاني، ص ص ٨٤-٨٥، الوثائق ٣، ١٢، ١٢٨، ١٢٩ والمجلد الثالث، ص ص ٦-٩، الوثيقة ١، ٨، ١٠، ١٢، ١٥، ١٧، ١٩، ٢٠، ٢٣، ٢٦، ٢٨، ٣٠؛ Papers 323، الوثيقة ٦٥؛ جويزو، Mémoires، المجلد الخامس، ص ٢٠٨-٢١٠؛ تيمبرلى، Crimea، ص ص ١١٧-١١٨ في مواضع متفرقة؛ بوليتيس، المرجع المذكور، الوثائق ٨٧-٩٧؛ أليزون فيليبس، المرجع المذكور، ص ٥٦٧.
- (٢٣٤) راجع النص في تيمبرلى، Crimea، ص ٤٨٧-٤٨٨.
- (٢٣٥) بالنسبة للمفاوضات راجع مترنيخ، Mémoires، الكتاب السادس، الوثائق ١٣٥٩-١٣٦٧، ١٣٧٤، ١٣٧٦، ١٣٧٨، ١٣٨٠-١٣٨١، ١٣٨٦-١٣٨٧، ١٣٩٨-١٣٩٠، ١٣٩٧-١٤٠١ صبرى، المرجع المذكور، ص ص ٤٩٥-٤٩٩، جورياينوف، المرجع المذكور، ص ٨١-٨٢؛ ماريوت، المرجع المذكور، ص ٢١٥-٢١٦.
- (٢٣٦) النصوص في دريو، المرجع المذكور، المجلد الثالث، الوثائق ٩١-٩٤؛ Paper 305، الوثائق ٦١٥-٦١٨؛ مارتنز، Nouveau Recueil Général de Traités، المجلد الأول، ص ١٥٦. الملخص في تيمبرلى، Crimea، و ص ١١٥-١١٦؛ تيمبرلى- بنسون، المرجع المذكور، ص ١٢٢
- (٢٣٧) حول هذه الأوامر، راجع Paper 323، الوثائق ١٤-١٦، ١٨، ٢٠، ٢٧؛ دريو، المجلد الثالث، الوثائق ٤٢ و ٤٣؛ تيمبرلى، Crimea، ص ١١٨-١١٩
- (٢٣٨) راجع دريو، المرجع المذكور، المجلد الثالث، الوثائق ٣٢، ٣٧
- (٢٣٩) راجع Paper 323، الوثائق ١١٧، مرفق ٢؛ دريو، المرجع المذكور، المجلد الثالث، الوثائق ٤٧، ٤٨، ٥٢، ٥٣، ٥٨، ٦٦.
- (٢٤٠) راجع Paper 323، الوثيقة ١٣٠؛ دريو، المرجع المذكور، المجلد الثالث، الوثائق ٥٤، ٥٨، ٥٩، ٧٠، ٧٧-٧٨، ٩٥.
- (٢٤١) راجع دريو، المرجع المذكور، الوثائق ٧١، ٧٥، ٧٩-٨١

(٢٤٢) راجع Paper 323، الوثيقة ١٧٨؛ دريو، المرجع المذكور، المجلد الثالث، الوثائق ٨٥، ٨٩، ١٠١.

(٢٤٣) للحصول على تقرير عن العمليات والمصادر المرجعية راجع تيمبرلي، Crimea، ص ١٢٠-١٣٠؛ صبرى، المرجع المذكور، ص ٥١٣-٥٢٦؛ دريو، المرجع المذكور، المجلد الثالث فى مواضع متفرقة.

(٢٤٤) راجع Paper 323، الوثيقة ١٧٨؛ دريو، المرجع المذكور، المجلد الثالث، الوثيقة ١٨.

(٢٤٥) راجع مالو، Thiers، ص ٣٠٨-٣١٤؛ دو لازاد، Monsieur Thiers، باريس، بلون، ١٨٨٤، ص ١٥٠-٥٥؛ "موات"، المرجع المذكور، ص ١٧٧-١٧٨؛ أليزون فيليبس، التاريخ المذكور، ص ٥٦٨-٥٧٠.

(٢٤٦) راجع نص المذكرة فى Paper 323، الوثيقة ١٧. حول القطيعة الإنجليزية- الفرنسية ودفاع بالمرستون عن عمله، راجع خطاب بالمرستون إلى بولوير فى ٣١ أغسطس ١٨٤٠. فى Paper 323، الوثيقة ٩١ ودريو، المرجع المذكور، المجلد الثالث، الوثيقة ٧٩ والخطاب الآخر من بالمرستون إلى ملبورن بتاريخ ٥ يوليو ١٨٤٠ فى بولوير، المرجع المذكور، المجلد الثانى، من الجانب الفرنسى راجع جويزو، المرجع المذكور، المجلد الخامس، الفصل الحادى والثلاثون وص ٤٤٥-٤٤٦.

(٢٤٧) حول مهمة واليسكى، راجع صبرى، المرجع المذكور، ص ٥٠٢-٥٠٨ دريو، المرجع المذكور، المرجع الثالث، الوثائق ٤٨، ٥٠، ٥٩، ٦٢، ٧٠، ٧٥، ٨٨، ١٠٣، ١٢٧، ١٣٩، ١٤٢، ١٥٤، ١٥٦، ١٦٢.

(٢٤٨) تيمبرلي- بنسون، Foundations، ص ١٢٢-١٢٣؛ فيليبس، Méhémet Ali، المالو، المرجع المذكور، ص ٣١٦ ينقل الجملة التالية عن بالمرستون: "إذا ألقن فرنسا بققازها فلا بد من التقاطه. وستفقد فرنسا الأسطول والمستعمرات والتجارة والجزائر، وسيلقى الباشا فى النيل. وقد فعلت هذا دائما فى كل مرة يبدأ فيهل السفيران جوزو و بوركينى فى القام ببعض الأعمال الاستقرارية وقد لاحظت أن هذا يعمل دائما كمهدى". وكان بالمرستون واثقا من أن تبرز لن يذهب أبعد من التهديدات الشفوية: راجع خطابه إلى بولوير بتاريخ ٢١ يوليو ١٨٤٠ فى بولوير، المرجع المذكور، المجلد الثانى، ص ٣١٥-٣١٨

(٢٤٩) مالو، Thiers، ص ٣٠٧-٣٠٨

(٢٥٠) راجع Paper 323، الوثيقة ٥٦، ٦١، ٦٧، ٧٨؛ جويزو، المرجع المذكور، المجلد

الخامس، الفصل ٣٢ فى مواضع متفرقة؛ بولوير، المرجع المذكور، المجلد الثانى، ص ٣٣٣-٣١٩

(٢٥١) نص البروتوكول فى Paper 323، الوثيقة ١٢٩ و دريو، المرجع المذكور، المجلد الثالث، الوثيقة ٩٧

(٢٥٢) Paper 323، الوثائق ١٤٩، ١٣٥، ١٥٦، ١٦٨، ١٧٤، ١٨٠، ١٨٣، ٢٠٧، ٢٠٩-٢١١، ٢١٤، ٢١٧، ٢٢٥، ٢٣١، ٢٣٤، ٢٣٦؛ Paper 337, Correspondence relative to the Affairs of the Levant، الجزء الثالث؛ الوثائق ١-٦، ٢٥-٢٩، ٣٨، ٥٧، ٣٦، ٦٥، فى B.P.P.، ١٨٤١، المجلد الثامن (السابع لـ A. و P.)؛ صبرى، المرجع المذكور، ص ٥٢٦-٥٣١؛ مالو، المرجع المذكور، ص ٣١٧-٣١٨؛ "موات"، ص ١٧٨.

(٢٥٣) راجع النصوص فى Paper 323، الوثيقة ١٨٣، ٢١٣؛ دريو، المرجع المذكور، المجلد الخامس، ص ٣٣٧ و ص ٥٠٦-٥٠٩. أنظر أيضا بوليتيس، المرجع المذكور، الوثيقة ١٠٣، بولوير، المرجع المذكور، المجلد الثانى، ص ٣٧٦-٣٨٣ فى مواضع متفرقة مالو، المرجع المذكور، ص ٣١٩. دافع تيرز عن سياسته فى مجلس النواب فى جلسة ٢٥ نوفمبر.

(٢٥٤) Paper 323، الوثائق ٢٥٨-٢٦٢

(٢٥٥) راجع جويزو، Mémoires، المجلد السادس، ص ٤٠-٤١، دريو، المرجع المذكور، المجلد الرابع، الوثائق ٨-٩، ٣٤.

(٢٥٦) راجع دريو، المرجع المذكور، المجلد الرابع، الوثائق ٦-٧، ١٥.

(٢٥٧) راجع النص فى دريو، المرجع المذكور، المجلد الرابع، الوثيقة ١٠. للحصول على تعليق بالمرستون على المديح الفرنسى تجاه محمد على، راجع بولوير، المرجع المذكور، المجلد الثانى، ص ٣٦٣-٣٦٤.

(٢٥٨) حول رسالة ٢ نوفمبر، راجع جويزو، Mémoires، المجلد السادس، ص ٤٢-٤٦؛ دريو، المرجع المذكور، المجلد الرابع، الوثيقة ٢

(٢٥٩) حول تعليمات بالمرستون فى ١٥ أكتوبر و ١٤ نوفمبر راجع Paper 323، الوثيقة ٢٣٠، Paper 337، الوثائق ٢٢-٢٤؛ دريو، المرجع المذكور، المجلد الرابع، الوثائق ١٩، ٢٤؛ تيمبرلى، Crimea، ص ١٣١-١٣٢.

- (٢٦٠) النص في Paper 337، الوثيقة ٨٧. حول الاتفاقية Paper 337، الوثائق ٨٣-٨٧ راجع
تيمبرلي، Crimea، ص ١٣٣؛ دريو، المرجع المذكور، المجلد الرابع، الوثيقة ١٠٨
- (٢٦١) راجع دريو، المرجع المذكور، المجلد الرابع، الوثيقة ٤١
- (٢٦٢) راجع Paper 337، الوثيقة ٩٢؛ دريو، المرجع المذكور، المجلد الرابع، الوثيقة ٤٨؛
جوزو، المرجع المذكور، المجلد الرابع، ص ٥٧-٥٩.
- (٢٦٣) راجع Paper 337، الوثائق ١١٥، ١٢٤، ١٣٣، ١٤٣؛ دريو، المرجع المذكور، المجلد
الرابع، الوثائق ٤٢-٤٥، ٥٠، ٥٤، ٥٥، ٦١؛ تيمبرلي، Crimea، ص ١٣٥
- (٢٦٤) راجع Paper 337، الوثيقة ١٣٢، المرفق؛ جوزو، المرجع المذكور، المجلد السادس، ص
٦١-٦٤؛ تيمبرلي، Crimea، ص ١٣٨
- (٢٦٥) راجع Paper 337، الوثائق ١٠٣-١٠٤
- (٢٦٦) راجع Paper 337، الوثيقة ٩٣؛ جوزو، المرجع المذكور، المجلد السادس، ص ٦٦؛
تيمبرلي، Crimea، ص ١٣٦-١٣٨
- (٢٦٧) راجع دريو، المرجع المذكور، المجلد الرابع، ٦٤
- (٢٦٨) راجع دريو، المرجع المذكور، المجلد الرابع، الوثائق ٦٧-٦٨؛ بوليتيس، المرجع
المذكور، الوثيقة ١١٣
- (٢٦٩) نص المذكرة في دريو، المجلد الرابع، الوثيقة ٨٠. أنظر أيضا جوزو، المرجع المذكور،
المجلد السادس، ص ٧١
- (٢٧٠) النص في دريو، المرجع المذكور، المجلد الرابع، الوثيقة ٩٦
- (٢٧١) النص في دريو، المرجع المذكور، المجلد الرابع، الوثيقة ٩٧
- (٢٧٢) راجع دريو، المرجع المذكور، المجلد الرابع، الوثائق ١٠٨-١٠٩، ١١٣-١١٥.
- (٢٧٣) راجع دريو، المرجع المذكور، المجلد الرابع، الوثيقة ١٢٣.
- (٢٧٤) راجع نص الروتوكول دريو، المجلد الرابع، الوثيقة ١٢٠. أنظر أيضا الوثيقة ١٢٩.
- (٢٧٥) راجع دريو، المرجع المذكور، المجلد الرابع، الوثيقة ١٣١
- (٢٧٦) جوزو، المرجع المذكور، المجلد السادس، ص ٧١-١٠٣؛ دريو، المرجع المذكور،
المجلد الخامس، الوثيقة ٦

- (٢٧٧) راجع دريو، المرجع المذكور، الوثائق ١٢، ٢٠، ٢٣
- (٢٧٨) راجع نص المذكرة في دريو، المرجع المذكور، المجلد الخامس، الوثيقة ٢٩.
- (٢٧٩) راجع النص في دريو، المرجع المذكور، المجلد الخامس، الوثيقة ٣٧. حول النشاط الدبلوماسي للحكومات الأوروبية في شهر أبريل- مايو راجع جويزو، Mémoires، المجلد السادس، ص ١٠٥-١٢٢.
- (٢٨٠) راجع النص في دريو، المرجع المذكور، المجلد الخامس، الوثائق ٤٠ و ٤٠ مكرر. (في التاريخ باللغة التركية لـ "لطفى"، المجلد - ص ١٤٣ وكما في الـ Recueil des firmans impériaux ottomans adressés aux valis et aux Khédives d'Égypte القاهرة، ١٩٣٤، ص ٢٣٣، وهذه الوثيقة بتاريخ ٢ ربيع الثاني ١٢٥٧، المقابل لـ ٢٤ مايو ١٨٤١. ملحوظة لمكتب التحرير.)
- (٢٨١) راجع دريو، المجلد الخامس، الوثيقة ٥٣
- (٢٨٢) راجع دريو، المجلد الخامس، الوثائق ٨١، ٨٩
- (٢٨٣) النص في مارتنز-مورهارد، Nouveau Recueil général de traités، المجلد الثاني، جوتينجا، دييتريتش، ١٨٤٤، ص ١٢٠-٢٧
- (٢٨٤) النص في مارتنز- مورهارد، المجلد الثاني، ص ١٢٨-١٣٠.
- للحصول على تعليق راجع جوريايينوف، المرجع المذكور، ص ٨٢-٨٣

المشروع القومي للترجمة

المشروع القومي للترجمة مشروع تنمية ثقافية بالدرجة الأولى ، ينطلق من الإيجابيات التي حققتها مشروعات الترجمة التي سبقته في مصر والعالم العربي ويسعى إلى الإضافة بما يفتح الأفق على وعود المستقبل، معتمداً المبادئ التالية :

- ١- الخروج من أسر المركزية الأوروبية وهيمنة اللغتين الإنجليزية والفرنسية .
- ٢- التوازن بين المعارف الإنسانية في المجالات العلمية والفنية والفكرية والإبداعية .
- ٣- الانحياز إلى كل ما يؤسس لأفكار التقدم وحضور العلم وإشاعة العقلانية والتشجيع على التجريب .
- ٤- ترجمة الأصول المعرفية التي أصبحت أقرب إلى الإطار المرجعي في الثقافة الإنسانية المعاصرة، جنباً إلى جنب المنجزات الجديدة التي تضع القارئ في القلب من حركة الإبداع والفكر العالميين .
- ٥- العمل على إعداد جيل جديد من المترجمين المتخصصين عن طريق ورش العمل بالتنسيق مع لجنة الترجمة بالمجلس الأعلى للثقافة .
- ٦- الاستعانة بكل الخبرات العربية وتنسيق الجهود مع المؤسسات المعنية بالترجمة .

المشروع القومى للترجمة

أحمد درويش	جون كوين	اللغة العليا	١-
أحمد فؤاد بليغ	ك. مادهو باننيكار	الوثنية والإسلام (ط١)	٢-
شوقي جلال	جورج جيمس	التراث المسروق	٣-
أحمد الحضرى	إنجا كاريتتيكوفا	كيف تتم كتابة السيناريو	٤-
محمد علاء الدين منصور	إسماعيل فصيح	ثريا فى غيبوبة	٥-
سعد مصلوح ووفاء كامل فايد	ميلكا إفتيش	اتجاهات البحث اللسانى	٦-
يوسف الأنطكى	لوسيان غولدمان	العلوم الإنسانية والفلسفة	٧-
مصطفى ماهر	ماكس فريش	مشعلو الحرائق	٨-
محمود محمد عاشور	أندرو. س. جودى	التغيرات البيئية	٩-
محمد معتصم وعبد الجليل الأزدي وعمر حلى	جيرار چينيت	خطاب الحكاية	١٠-
هناء عبد الفتاح	فيسوافا شيمبوريسكا	مختارات شعرية	١١-
أحمد محمود	ديفيد براونستون وأيرين فرانك	طريق الحرير	١٢-
عبد الوهاب علوب	روبرتسن سميث	ديانة الساميين	١٣-
حسن المودن	جان بيلمان نويل	التحليل النفسى للأدب	١٤-
أشرف رفيق عفيفى	إوارد لوسى سميث	الحركات الفنية منذ ١٩٤٥	١٥-
ياشراف: نصد عثمان	مارتن برنال	أثنية السوداء (ج١)	١٦-
محمد مصطفى بدوى	فيليب لاركين	مختارات شعرية	١٧-
طلعت شاهين	مختارات	الشعر النسائى فى أمريكا اللاتينية	١٨-
نعيم عطية	جورج سفيريس	الأعمال الشعرية الكاملة	١٩-
يمنى طريف الخولى و بدوى عبد الفتاح	ج. ج. كراوثر	قصة العلم	٢٠-
ماجدة العنانى	صمد بهرنجى	خوخة وألف خوخة وقصص أخرى	٢١-
سيد أحمد على الناصرى	جون أنتيس	مذكرات رحالة عن المصريين	٢٢-
سعید توفيق	هانز جيورج جادامر	تجلى الجميل	٢٣-
بكر عباس	باتريك بارنر	ظلال المستقبل	٢٤-
إبراهيم الدسوقى شتا	مولانا جلال الدين الرومى	مثنوى (٦ أجزاء)	٢٥-
أحمد محمد حسين هيكل	محمد حسين هيكل	دين مصر العام	٢٦-
ياشراف: جابر عصفور	مجموعة من المؤلفين	التنوع البشرى الخلاق	٢٧-
منى أبو سنة	جون لوك	رسالة فى التسامح	٢٨-
بدر الديب	جيمس ب. كارس	الموت والوجود	٢٩-
أحمد فؤاد بليغ	ك. مادهو باننيكار	الوثنية والإسلام (ط٢)	٣٠-
عبد الستار الطوجى وعبد الوهاب علوب	جان سوفاجيه - كلود كاين	مصادر دراسة التاريخ الإسلامى	٣١-
مصطفى إبراهيم فهمى	ديفيد روب	الانقراض	٣٢-
أحمد فؤاد بليغ	أ. ج. هوبكنز	التاريخ الاقتصادى لأفريقيا الغربية	٣٣-
حصه إبراهيم المنيف	روجر ألن	الرواية العربية	٣٤-
خليل كلفت	پول ب. ديكسون	الأسطورة والحدائق	٣٥-
حياة جاسم محمد	والاس مارتن	نظريات السرد الحديثة	٣٦-

جمال عبد الرحيم	بريجيت شيفر	واحة سيوة وموسيقاها	٢٧-
أنور مغيث	ألن تورين	نقد الحدائق	٢٨-
منيرة كروان	بيتر والكوت	الحسد والإغريق	٢٩-
محمد عيد إبراهيم	آن سكستون	قصائد حب	٤٠-
عاطف أحمد وإبراهيم فتحى ومحمود ماجد	بيتر جران	ما بعد المركزية الأوروبية	٤١-
أحمد محمود	بنجامين باربر	عالم ماك	٤٢-
المهدى أخريف	أوكتايفو پات	اللهب المزوج	٤٣-
مارلين تادرس	ألنوس هكسلى	بعد عدة أصياف	٤٤-
أحمد محمود	روبرت دينا وچون فاين	التراث المغنود	٤٥-
محمود السيد على	بابلو نيرودا	عشرون قصيدة حب	٤٦-
مجاهد عبد المنعم مجاهد	رينيه ويليك	تاريخ النقد الأدبى الحديث (ج١)	٤٧-
ماهر جويجاتى	فرانسوا روما	حضارة مصر الفرعونية	٤٨-
عبد الوهاب علوب	ه . ت . نوريس	الإسلام فى البلقان	٤٩-
محمد برادة وعثمانى الميلود ويوسف الأتلكى	جمال الدين بن الشيخ	ألف ليلة وليلة أو القول الأسير	٥٠-
محمد أبو العطا	داريو بيانوبيا وخ . م . بينياليستى	مسار الرواية الإسبانية أمريكية	٥١-
لطفى قطيم وعادل دمرداش	ب . نواليس وس . روسيفيتز وروجر بيل	العلاج النفسى التذعيمي	٥٢-
مرسى سعد الدين	أ . ف . ألنجتون	الدراما والتعليم	٥٣-
محسن مصيلحي	ج . مايكل والتون	المفهوم الإغريقى للمسرح	٥٤-
على يوسف على	جون بولكنجهوم	ما وراء العلم	٥٥-
محمود على مكى	فديريكو غرسية لوركا	الأعمال الشعرية الكاملة (ج١)	٥٦-
محمود السيد و ماهر البطوطى	فديريكو غرسية لوركا	الأعمال الشعرية الكاملة (ج٢)	٥٧-
محمد أبو العطا	فديريكو غرسية لوركا	مسرحيتان	٥٨-
السيد السيد سهيم	كارلوس مونيث	المحبرة (مسرحية)	٥٩-
صبرى محمد عبد الفنى	چوهانز إيتين	التصميم والشكل	٦٠-
باشراف : محمد الجوهري	شارلوت سيمور - سميث	موسوعة علم الإنسان	٦١-
محمد خير البقاعى	رولان بارت	لذة النص	٦٢-
مجاهد عبد المنعم مجاهد	رينيه ويليك	تاريخ النقد الأدبى الحديث (ج٢)	٦٣-
رمسيس عوض	ألان وود	برتراند راسل (سيرة حياة)	٦٤-
رمسيس عوض	برتراند راسل	فى مدح الكسل ومقالات أخرى	٦٥-
عبد اللطيف عبد الطيم	أنطونيو جالا	خمس مسرحيات أندلسية	٦٦-
المهدى أخريف	فرناندو بيسوا	مختارات شعرية	٦٧-
أشرف الصباغ	قالنتين راسبوتين	نتاشا العجوز وقصص أخرى	٦٨-
أحمد فؤاد متولى وهويدا محمد فهمى	عبد الرشيد إبراهيم	العالم الإسلامى فى أولئ القرن العشرين	٦٩-
عبد الحميد غلاب وأحمد حشاد	أوخينيو تشانج رودريجت	ثقافة وحضارة أمريكا اللاتينية	٧٠-
حسين محمود	داريو فو	السيدة لا تصلح إلا للرمى	٧١-
فؤاد مجلى	ت . س . إليوت	السياسى العجوز	٧٢-
حسن ناظم وعلى حاكم	چين ب . تومبكنز	نقد استجابة القارئ	٧٣-
حسن بيومى	ل . ا . سيمينوفا	صلاح الدين والمماليك فى مصر	٧٤-

أحمد درويش	أندريه موروا	فن التراجم والسير الذاتية	٧٥-
عبد المقصود عبد الكريم	مجموعة من المؤلفين	چاك لاكان وإغواء التطيل النفسى	٧٦-
مجاهد عبد المنعم مجاهد	رينيه ويليك	تاريخ النقد الألبى الحديث (ج٢)	٧٧-
أحمد محمود ونورا أمين	رونالد روبرتسون	العولة : النظرية الاجتماعية والثقافة الكونية	٧٨-
سعید القانمى وناصر حلاوى	بوريس أوسپنسكى	شعرية التأليف	٧٩-
مكارم الغمرى	ألكسندر پوشكين	بوشكين عند «نافورة الدموع»	٨٠-
محمد طارق الشرقاوى	بنديكت أندرسن	الجماعات المتخيلة	٨١-
محمود السيد على	ميجيل دى أونامونو	مسرح ميجيل	٨٢-
خالد المعالى	غوتفريد بن	مختارات شعرية	٨٣-
عبد الحميد شيحة	مجموعة من المؤلفين	موسوعة الأدب والنقد (ج١)	٨٤-
عبد الرازق بركات	صلاح زكى أقطاى	منصور الحلاج (مسرحية)	٨٥-
أحمد فتحى يوسف شتا	جمال مير صادقى	طول الليل (رواية)	٨٦-
ماجدة العنانى	جلال آل أحمد	نون والقلع (رواية)	٨٧-
إبراهيم الدسوقى شتا	جلال آل أحمد	الابتلاء بالتغرب	٨٨-
أحمد زايد ومحمد محيى الدين	أنتونى جيننز	الطريق الثالث	٨٩-
محمد إبراهيم مبروك	بورخيس وآخرون	وسم السيف وقصص أخرى	٩٠-
محمد هناء عبد الفتاح	باريرا لاسوتسكا - بشونباك	المسرح والتجريب بين النظرية والتطبيق	٩١-
نادية جمال الدين	كارلوس ميجيل	لساليب ومضامين المسرح الإسباني المعاصر	٩٢-
عبد الوهاب علوب	مايك فيذرستون وسكوت لاش	محدثات العولة	٩٣-
فوزية العشماوى	صمويل بيكيت	مسرحيتنا الحب الأول والصحبة	٩٤-
سرى محمد عبد اللطيف	أنطونيو بويرو بايخو	مختارات من المسرح الإسباني	٩٥-
إيوار الخراط	نخبة	ثلاث زنبقات ووردة وقصص أخرى	٩٦-
بشير السباعى	فرنان برودل	هوية فرنسا (مج١)	٩٧-
أشرف الصباغ	مجموعة من المؤلفين	الهم الإنسانى والابتزاز الصهيونى	٩٨-
إبراهيم قنديل	ديفيد روينسون	تاريخ السينما العالمية (١٨٩٥-١٩٨٠)	٩٩-
إبراهيم فتحى	بول هيرست وجراهام تومبسون	مساطة العولة	١٠٠-
رشيد بنحو	بيرنار فاليط	النص الروائى: تقنيات ومناهج	١٠١-
عز الدين الكتانى الإبريسى	عبد الكبير الخطيبى	السياسة والتسامح	١٠٢-
محمد بنيس	عبد الوهاب المؤذب	قبر ابن عربى يليه آباء (شعر)	١٠٣-
عبد الفقار مكاوى	برتولت بريشت	أوبرا: ماهوجنى (مسرحية)	١٠٤-
عبد العزيز شبيل	جيرارچينيت	مدخل إلى النص الجامع	١٠٥-
أشرف على دعور	ماريا خيسوس روبييرامتى	الأدب الأندلسى	١٠٦-
محمد عبد الله الجعيدى	نخبة من الشعراء	صورة الغائى فى الشعر الأمريكى اللاتينى المعاصر	١٠٧-
محمود على مكى	مجموعة من المؤلفين	ثلاث دراسات عن الشعر الأندلسى	١٠٨-
هاشم أحمد محمد	جون بولوك وعادل درويش	حروب المياه	١٠٩-
منى قطان	حسنة بيجوم	النساء فى العالم النامى	١١٠-
ريهام حسين إبراهيم	فرانسس هيدسون	المرأة والجريمة	١١١-
إكرام يوسف	أرلين علوى ماكليود	الاحتجاج الهادئ	١١٢-

- ١١٣- راية التمرد سادى پلانت أحمد حسان
- ١١٤- مسرحيتا حصاد كوتجى وسكان المستقع وول شوينكا نسيم مجلى
- ١١٥- غرفة تخص المرء وحده فرچينيا وولف سمية رمضان
- ١١٦- امرأة مختلفة (درية شفيق) سينثيا نلسون نهاد أحمد سالم
- ١١٧- المرأة والجنوسة فى الإسلام لىلى أحمد منى إبراهيم وهالة كمال
- ١١٨- النهضة النسائية فى مصر بىث بارون ليس النقاش
- ١١٩- النساء والأسرة والعواين الطلاق فى التاريخ الإسلامى أميرة الأزهرى سنبل بإشراف: روف عباس
- ١٢٠- الحركة النسائية والتطور فى الشرق الأوسط لىلى أبو لغد مجموعة من المترجمين
- ١٢١- الدليل الصغير فى كتابة المرأة العربية فاطمة موسى محمد الجندى وإيزابيل كمال
- ١٢٢- نظام العبودية القديم والنموذج المثالى للإنسان جوزيف فوجت منيرة كروان
- ١٢٣- الإمبراطورية العثمانية وعلاقتها الدولية أنيبل ألكسندرو فنابولينا أنور محمد إبراهيم
- ١٢٤- الفجر الكاذب: أوهام الرأسمالية العالمية جون جراى أحمد فؤاد بليغ
- ١٢٥- التحليل الموسيقى سيدرك ثورپ ديفى سمحة الخولى
- ١٢٦- فعل القراءة فولغانج إيسر عبد الوهاب علوب
- ١٢٧- إرهاب (مسرحية) صفاء فتحى بشير السباعى
- ١٢٨- الأدب المقارن سوزان باسنيت أميرة حسن نويرة
- ١٢٩- الرواية الإسبانية المعاصرة ماريا دولورس أسيس جاروتة محمد أبو العطا وآخرون
- ١٣٠- الشرق يصعد ثانية أندريه جوندر فرانك شوقى جلال
- ١٣١- مصر القديمة: التاريخ الاجتماعى مجموعة من المؤلفين لويس بقطر
- ١٣٢- ثقافة العولة مايك فيذرستون عبد الوهاب علوب
- ١٣٣- الخوف من المرايا (رواية) طارق على طلعت الشايب
- ١٣٤- تشريح حضارة بارى ج. كيمب أحمد محمود
- ١٣٥- المختار من نقد ت. س. إليوت ت. س. إليوت ماهر شفيق فريد
- ١٣٦- فلاحو الباشا كينيث كونو سحر توفيق
- ١٣٧- منكرات ضابط فى العملة الفرنسية على مصر جوزيف مارى مواريه كاميليا صبحى
- ١٣٨- عالم التليفزيون بين الجمال والعنف أندريه جلوكسمان وجيه سمعان عبد المسيح
- ١٣٩- پارسيغال (مسرحية) ريتشارد فاچنر مصطفى ماهر
- ١٤٠- حيث تلتقى الأنهار هريوت ميسن أمل الجبورى
- ١٤١- اثنتا عشرة مسرحية يونانية مجموعة من المؤلفين نعيم عطية
- ١٤٢- الإسكندرية : تاريخ ودليل أ. م. فورستر حسن بيومى
- ١٤٣- قضايا التنظير فى البحث الاجتماعى ديرك لايدر عدلى السمرى
- ١٤٤- صاحبة اللوكاندة (مسرحية) كارلو جولونوى سلامة محمد سليمان
- ١٤٥- موت أرتيميو كروث (رواية) كارلوس فوينتس أحمد حسان
- ١٤٦- الورقة الحمراء (رواية) ميجيل دى ليبس على عبدالروف البعبى
- ١٤٧- مسرحيتان تانكريد نورست عبدالقفار مكاوى
- ١٤٨- القصة القصيرة: النظرية والتقنية إنريكى أندرسون إمبرت على إبراهيم منوفى
- ١٤٩- النظرية الشعرية عند إليوت وأونيس عاطف فضول أسامة إسبر
- ١٥٠- التجربة الإغريقية روبرت ج. ليتمان منيرة كروان

بشير السباعي	فرنان برودل	هوية فرنسا (مج ٢ ، ج ١)	١٥١-
محمد محمد الخطابي	مجموعة من المؤلفين	عدالة الهنود وقصص أخرى	١٥٢-
فاطمة عبدالله محمود	فيولين فانويك	غرام الفراغة	١٥٣-
خليل كلفت	فيل سليتر	مدرسة فرانكفورت	١٥٤-
أحمد مرسى	نخبة من الشعراء	الشعر الأمريكي المعاصر	١٥٥-
مى التمساني	جى أنبال وآلان وأوديت فيرمو	المدارس الجمالية الكبرى	١٥٦-
عبدالعزیز بقوش	النظامى الكنجوى	خسرو وشيرين	١٥٧-
بشير السباعي	فرنان برودل	هوية فرنسا (مج ٢ ، ج ٢)	١٥٨-
إبراهيم فتحى	ديفيد هوكس	الأبيولوجية	١٥٩-
حسين بيومى	بول إيرليش	آلة الطبيعة	١٦٠-
زيدان عبدالحليم زيدان	أليخاندرو كاسونا وأنطونيو جالا	مسرحيتان من المسرح الإسباني	١٦١-
صلاح عبدالعزیز محجوب	يوحنا الآسيوى	تاريخ الكنيسة	١٦٢-
بإشراف: محمد الجوهري	جوردون مارشال	موسوعة علم الاجتماع (ج ١)	١٦٣-
نبيل سعد	جان لاكوثير	شامبوليون (حياة من نور)	١٦٤-
سهير المصادفة	أ. ن. أفاناسيفا	حكايات الثعلب (قصص أطفال)	١٦٥-
محمد محمود أبوغدير	يشعياهو ليتمان	العلاقات بين المتدينين والطمانيين في إسرائيل	١٦٦-
شكرى محمد عياد	رابندرنات طاغور	في عالم طاغور	١٦٧-
شكرى محمد عياد	مجموعة من المؤلفين	دراسات في الأدب والثقافة	١٦٨-
شكرى محمد عياد	مجموعة من المؤلفين	إبداعات أدبية	١٦٩-
بسام ياسين رشيد	ميجيل دلبسيس	الطريق (رواية)	١٧٠-
هدى حسين	فرانك بيجو	وضع حد (رواية)	١٧١-
محمد محمد الخطابي	نخبة	حجر الشمس (شعر)	١٧٢-
إمام عبد الفتاح إمام	ولتر ت. ستيس	معنى الجمال	١٧٣-
أحمد محمود	إيليس كاشمور	صناعة الثقافة السوداء	١٧٤-
وجيه سمعان عبد المسيح	لورينزو فيلشس	التليفزيون في الحياة اليومية	١٧٥-
جلال البنا	توم تيتنبرج	نحو مفهوم للاقتصاديات البيئية	١٧٦-
حصه إبراهيم المنيف	هنرى تروايا	أنطون تشيخوف	١٧٧-
محمد حمدي إبراهيم	نخبة من الشعراء	مختارات من الشعر اليوناني الحديث	١٧٨-
إمام عبد الفتاح إمام	أيسوب	حكايات أيسوب (قصص أطفال)	١٧٩-
سليم عبد الأمير حمدان	إسماعيل فصيح	قصة جاويد (رواية)	١٨٠-
محمد يحيى	فنسننت ب. ليتش	الثق الامريكي من الثلاثينات إلى الثمانينات	١٨١-
ياسين طه حافظ	وب. بيتس	العنف والنبوة (شعر)	١٨٢-
فتحى العشرى	رينيه جيلسون	جان كوكتو على شاشة السينما	١٨٣-
دسوقي سعيد	هانز إبنورفر	القاهرة: حالة لا تنام	١٨٤-
عبد الوهاب علوب	توماس تومسن	أسفار العهد القديم في التاريخ	١٨٥-
إمام عبد الفتاح إمام	ميخائيل إنوود	معجم مصطلحات هيجل	١٨٦-
محمد علاء الدين منصور	بُزدج علوى	الأرضة (رواية)	١٨٧-
بدر الديب	ألفين كرنان	موت الأدب	١٨٨-

- ١٨٩- العمى والبصيرة: مقالات في بلاغة النقد المعاصر پول دى مان سعيد الغانمى
- ١٩٠- محاورات كونفوشيوس كونفوشيوس محسن سيد فرجاني
- ١٩١- الكلام رأسمال وقصص أخرى الحاج أبو بكر إمام وآخرون مصطفى حجازى السيد
- ١٩٢- سياحت نامه إبراهيم بك (ج١) زين العابدين المراغى محمود علاوى
- ١٩٣- عامل المنجم (رواية) بيتر أبراهامز محمد عبد الواحد محمد
- ١٩٤- مختارات من النقد الأنجلو-أمريكى الحديث مجموعة من النقاد ماهر شفيق فريد
- ١٩٥- شتاء ٨٤ (رواية) إسماعيل فصيح محمد علاء الدين منصور
- ١٩٦- المهلة الأخيرة (رواية) قائلتين رأسبوتين أشرف الصباغ
- ١٩٧- سيرة الفاروق شمس العلماء شبلى النعمانى جلال السعيد الحفناوى
- ١٩٨- الاتصال الجماهيرى إنيون إمري وآخرون إبراهيم سلامة إبراهيم
- ١٩٩- تاريخ يهود مصر فى الفترة العثمانية يعقوب لاندوا جمال أحمد الرفاعى وأحمد عبد اللطيف حماد
- ٢٠٠- ضحايا التنمية: المقاومة والبدائل جيرمى سيبروك فخزى لبيب
- ٢٠١- الجانب الدينى للفلسفة جوزايا رويس أحمد الأنصارى
- ٢٠٢- تاريخ النقد الأدبى الحديث (ج٤) رينيه ويليك مجاهد عبد المنعم مجاهد
- ٢٠٣- الشعر والشاعرية أطفاف حسين حالى جلال السعيد الحفناوى
- ٢٠٤- تاريخ نقد العهد القديم زالمان شازار أحمد هويدى
- ٢٠٥- الجينات والشعوب واللغات لويجى لوقا كافاللى - سفورزا أحمد مستجير
- ٢٠٦- الهبولية تصنع علماً جديداً جيمس جلايك على يوسف على
- ٢٠٧- ليل أفريقي (رواية) رامون خوتاسنديز محمد أبو العطا
- ٢٠٨- شخصية العربى فى المسرح الإسرائيلى دان أوربان محمد أحمد صالح
- ٢٠٩- السرد والمسرح مجموعة من المؤلفين أشرف الصباغ
- ٢١٠- مثنويات حكيم سنائى (شعر) سنائى الغزنوى يوسف عبد الفتاح فرج
- ٢١١- فردينان نوسوسير جوناثان كلر محمود حمدي عبد الغنى
- ٢١٢- قصص الأمير مرزيان على لسان الحيوان مرزيان بن رستم بن شروين يوسف عبدالفتاح فرج
- ٢١٣- مصر منذ قدم نابليون حتى رحيل عبدالناصر ريمون فلاور سيد أحمد على الناصرى
- ٢١٤- قواعد جديدة للمنهج فى علم الاجتماع أنتونى جيندز محمد محيى الدين
- ٢١٥- سياحت نامه إبراهيم بك (ج٢) زين العابدين المراغى محمود علاوى
- ٢١٦- جوانب أخرى من حياتهم مجموعة من المؤلفين أشرف الصباغ
- ٢١٧- مسرحيتان طليعيتان صمويل بيكيت وهارولد بينتر نادية البنهاوى
- ٢١٨- لعبة الحجلة (رواية) خوليو كورتاثان على إبراهيم منوفى
- ٢١٩- بقايا اليوم (رواية) كازو إيشجورو طلعت الشايب
- ٢٢٠- الهبولية فى الكون بارى پاركر على يوسف على
- ٢٢١- شعرية كفافى جريجورى جوزدانيس رفعت سلام
- ٢٢٢- فرانز كافكا رونالد جراى نسيم مجلى
- ٢٢٣- العلم فى مجتمع حر باول فيرابند السيد محمد نفاذى
- ٢٢٤- دمار يوغسلافيا برانكا ماجاس منى عبدالظاهر إبراهيم
- ٢٢٥- حكاية غريق (رواية) جابرييل جارتيا ماركيت السيد عبدالظاهر السيد
- ٢٢٦- أرض المساء وقصائد أخرى ديفيد هريت لورانس طاهر محمد على البربرى

السيد عبدالظاهر عبدالله	خوسيه مارييا ديث بوركي	المسرح الإسباني في القرن السابع عشر	٢٢٧-
ماري تيريز عبدالمسيح وخالد حسن	چانيت وواف	علم الجمالية وعلم اجتماع الفن	٢٢٨-
أمير إبراهيم العمري	نورمان كيجان	مأزق البطل الوحيد	٢٢٩-
مصطفى إبراهيم فهمي	فرانسواز چاكوب	عن الذباب والفئران والبشر	٢٣٠-
جمال عبدالرحمن	خايمي سالوم بيدال	الرافيل أو الجيل الجديد (مسرحية)	٢٣١-
مصطفى إبراهيم فهمي	توم ستونير	ما بعد المعلومات	٢٣٢-
طلعت الشايب	أرثر هيرمان	فكرة الاضمحلال في التاريخ القريب	٢٣٣-
فؤاد محمد عكود	ج. سبنسر تريمينجهام	الإسلام في السودان	٢٣٤-
إبراهيم الدسوقي شتا	مولانا جلال الدين الرومي	ديوان شمس تبريزي (ج١)	٢٣٥-
أحمد الطيب	ميشيل شوبكفيتش	الولاية	٢٣٦-
عنايات حسين طلعت	رويين فيدين	مصر أرض الوادي	٢٣٧-
ياسر محمد جادالله وعربي مندولي أحمد	تقرير لمنظمة الأنكاد	العولة والتحرير	٢٣٨-
نادية سليمان حافظ وإيهاب صلاح فايق	جيلا رامراز - رايوخ	العربي في الأدب الإسرائيلي	٢٣٩-
صلاح محجوب إدريس	كاي حافظ	الإسلام والغرب وإمكانية الحوار	٢٤٠-
ابتهسام عبدالله	ج. م. كوتزي	في انتظار البرابرة (رواية)	٢٤١-
صبري محمد حسن	وليام إمبسون	سبعة أنماط من القموض	٢٤٢-
بإشراف: صلاح فضل	ليفى بروفتسال	تاريخ إسبانيا الإسلامية (مج١)	٢٤٣-
نادية جمال الدين محمد	لاورا إسكيبيل	الغليان (رواية)	٢٤٤-
توفيق على منصور	إليزابيتا أديس وآخرون	نساء مقاتلات	٢٤٥-
على إبراهيم منوفى	جابرييل جارثيا ماركيث	مختارات قصصية	٢٤٦-
محمد طارق الشرقاوى	والتر أرمبرست	الثقافة الجماهيرية والحدائق في مصر	٢٤٧-
عبداللطيف عبداللطيم	أنطونيو جالا	حقول عدن الخضراء (مسرحية)	٢٤٨-
رفعت سلام	دراجو شتامبوك	لغة التمزيق (شعر)	٢٤٩-
ماجدة محسن أباطة	بومنيك فينك	علم اجتماع العلوم	٢٥٠-
بإشراف: محمد الجوهري	جورنون مارشال	موسوعة علم الاجتماع (ج٢)	٢٥١-
على بدران	مارجو بدران	رائدات الحركة النسوية المصرية	٢٥٢-
حسن بيومي	ل. أ. سيمينوفا	تاريخ مصر الفاطمية	٢٥٣-
إمام عبد الفتاح إمام	ديف روبنسون وجودي جروفز	أقدم لك: الفلسفة	٢٥٤-
إمام عبد الفتاح إمام	ديف روبنسون وجودي جروفز	أقدم لك: أفلاطون	٢٥٥-
إمام عبد الفتاح إمام	ديف روبنسون وكريس جارات	أقدم لك: ديكارت	٢٥٦-
محمود سيد أحمد	وليم كلى رايت	تاريخ الفلسفة الحديثة	٢٥٧-
عبادة كحيلة	سير أنجوس فريزر	العجز	٢٥٨-
فاروجان كازانجيان	نخبة	مختارات من الشعر الأرمني عبر العصور	٢٥٩-
بإشراف: محمد الجوهري	جورنون مارشال	موسوعة علم الاجتماع (ج٢)	٢٦٠-
إمام عبد الفتاح إمام	زكى نجيب محمود	رحلة في فكر زكى نجيب محمود	٢٦١-
محمد أبو العطا	إنوارنو منوثا	مدينة المعجزات (رواية)	٢٦٢-
على يوسف على	چون جرين	الكشف عن حافة الزمن	٢٦٣-
لويس عوض	هوراس وشلى	إبداعات شعرية مترجمة	٢٦٤-

لويس عوض	أوسكار وايلد وصمويل جونسون	روايات مترجمة	٢٦٥-
عادل عبدالمنعم على	جلال آل أحمد	مدير المدرسة (رواية)	٢٦٦-
بدر الدين عرودي	ميلان كونديرا	فن الرواية	٢٦٧-
إبراهيم الدسوقي شتا	مولانا جلال الدين الرومي	ديوان شمس تبريزي (ج٢)	٢٦٨-
صبري محمد حسن	وليم جيفور بالجريف	وسط الجزيرة العربية وشرقها (ج١)	٢٦٩-
صبري محمد حسن	وليم جيفور بالجريف	وسط الجزيرة العربية وشرقها (ج٢)	٢٧٠-
شوقي جلال	توماس سي. باترسون	الحضارة الغربية: الفكرة والتاريخ	٢٧١-
إبراهيم سلامة إبراهيم	سي. سي. والترز	الأديرة الأثرية في مصر	٢٧٢-
عنان الشهاوي	چوان كول	الأسول الاجتماعية والثقافية لمركة عرابي في مصر	٢٧٣-
محمود على مكي	رومولو جاييجوس	السيدة ياربارا (رواية)	٢٧٤-
ماهر شفيق فريد	مجموعة من النقاد	ص. م. إليوت شاعراً وناقداً وكاتباً مسرحياً	٢٧٥-
عبدالقادر التمساني	مجموعة من المؤلفين	فنون السينما	٢٧٦-
أحمد فوزي	براين فورد	الحيوات والصراع من أجل الحياة	٢٧٧-
ظريف عبدالله	إسحاق عظيموف	البدائيات	٢٧٨-
طلعت الشايب	ف.س. سوندرز	الحرب الباردة الثقافية	٢٧٩-
سمير عبدالحميد إبراهيم	بريم شند وآخرون	الأم والنصيب وقصص أخرى	٢٨٠-
جلال الحفناوي	عبد الحليم شرر	الفردوس الأعلى (رواية)	٢٨١-
سمير حنا صادق	لويس وولبرت	طبيعة العلم غير الطبيعية	٢٨٢-
على عبد الرؤوف البعبي	خوان رولفو	السهل يحترق وقصص أخرى	٢٨٣-
أحمد عثمان	يوربيديس	هرقل مجنوناً (مسرحية)	٢٨٤-
سمير عبد الحميد إبراهيم	حسن نظامي الدهلوي	رحلة خواجه حسن نظامي الدهلوي	٢٨٥-
محمود علاوي	زين العابدين المراغي	سياحت نامه إبراهيم بك (ج٢)	٢٨٦-
محمد يحيى وآخرون	أنتوني كنج	الثقافة والعولة والنظام العالمي	٢٨٧-
ماهر البطوطي	ديفيد لودج	الفن الروائي	٢٨٨-
محمد نور الدين عبدالمنعم	أبو نجم أحمد بن قوص	ديوان منوچهری الدامغانی	٢٨٩-
أحمد زكريا إبراهيم	چورچ مونان	علم اللغة والترجمة	٢٩٠-
السيد عبد الظاهر	فرانشيسكو رويس رامون	تاريخ المسرح الإسباني في القرن العشرين (ج١)	٢٩١-
السيد عبد الظاهر	فرانشيسكو رويس رامون	تاريخ المسرح الإسباني في القرن العشرين (ج٢)	٢٩٢-
مجدى توفيق وآخرون	روجر آلن	مقدمة للأدب العربي	٢٩٣-
رجاء ياقوت	بوالو	فن الشعر	٢٩٤-
بدر الديب	چوزيف كامبل وبيل موريز	سلطان الأسطورة	٢٩٥-
محمد مصطفى بدوي	وليم شكسبير	مكبث (مسرحية)	٢٩٦-
ماجدة محمد أنور	ليونيسوس ثراكس ويوسف الأهوازي	فن النحو بين اليونانية والسريانية	٢٩٧-
مصطفى حجازي السيد	نخبة	مأساة العبيد وقصص أخرى	٢٩٨-
هاشم أحمد محمد	چين ماركس	ثورة في التكنولوجيا الحيوية	٢٩٩-
جمال الجزيري وبهاء جاهين وإيزابيل كمال	لويس عوض	أسطورة بروكس في الأدب الإنجليزي والفرنسي (ج١)	٣٠٠-
جمال الجزيري و محمد الجندي	لويس عوض	أسطورة بروكس في الأدب الإنجليزي والفرنسي (ج٢)	٣٠١-
إمام عبد الفتاح إمام	چون هيتون وجودي جروفز	أقدم لك: فنجنشتين	٣٠٢-

إمام عبد الفتاح إمام	چين هوب ويورن فان لون	أقدم لك: بوذا	٢٠٢-
إمام عبد الفتاح إمام	ريوس	أقدم لك: ماركس	٢٠٤-
صلاح عبد الصبور	كروزيو مالابارته	الجلد (رواية)	٢٠٥-
نبيل سعد	جان فرانسوا ليوتار	الحماسة: النقد الكانطى للتاريخ	٢٠٦-
محمود مكى	ديفيد بايينو وهوارد سلينا	أقدم لك: الشعور	٢٠٧-
ممدوح عبد المنعم	ستيف جونز ويورين فان لو	أقدم لك: علم الوراثة	٢٠٨-
جمال الجزيرى	أنجوس جيلاتى وأوسكار زاريت	أقدم لك: الذهن والمخ	٢٠٩-
محيى الدين مزيد	ماجى هايد ومايكل ماكجنس	أقدم لك: يونج	٢١٠-
فاطمة إسماعيل	ر.ج كولنجوود	مقال فى المنهج الفلسفى	٢١١-
أسعد حليم	وليم ديوييس	روح الشعب الأسود	٢١٢-
محمد عبدالله الجعيدى	خاير بيان	أمثال فلسطينية (شعر)	٢١٣-
هويدا السباعى	چانيس مينيك	مارسيل بوشامب: الفن كعدم	٢١٤-
كاميليا صبحى	ميشيل بروندينو والطاهر لبيب	جرامشى فى العالم العربى	٢١٥-
نسيم مجلى	أى. ف. ستون	محاكمة سقراط	٢١٦-
أشرف الصباغ	س. شير لايموثا- س. زنيكين	بلاغد	٢١٧-
أشرف الصباغ	مجموعة من المؤلفين	الأدب الروسى فى السنوات العشر الأخيرة	٢١٨-
حسام نايل	جايترى سبيثاك وكريستوفر نوريس	صور دريدا	٢١٩-
محمد علاء الدين منصور	مؤلف مجهول	لمعة السراج لحضرة التاج	٢٢٠-
ياشراف: صلاح فضل	ليفى برو قنسال	تاريخ إسبانيا الإسلامية (مج ٢، ١ ج)	٢٢١-
خالد مفلح حمزة	دبليو يوجين كلينياور	وجهات نظر حديثة فى تاريخ الفن الغربى	٢٢٢-
هانم محمد فوزى	تراث يونانى قديم	فن الساتورا	٢٢٣-
محمود علاوى	أشرف أسدى	اللعب بالنار (رواية)	٢٢٤-
كريستين يوسف	فيليب بوسان	عالم الآثار (رواية)	٢٢٥-
حسن صقر	يورجين هابرماس	المعرفة والمصلحة	٢٢٦-
توفيق على منصور	نخبة	مختارات شعرية مترجمة (ج ١)	٢٢٧-
عبد العزيز بقوش	نور الدين عبد الرحمن الجامى	يوسف وزليخا (شعر)	٢٢٨-
محمد عيد إبراهيم	تد هيوز	رسائل عيد الميلاد (شعر)	٢٢٩-
سامى صلاح	مارفن شبرد	كل شىء عن التمثيل الصامت	٢٣٠-
سامية نيباب	ستيفن جراى	عندما جاء السردين وقصص أخرى	٢٣١-
على إبراهيم منوفى	نخبة	شهر العسل وقصص أخرى	٢٣٢-
بكر عباس	نبيل مطر	الإسلام فى بريطانيا من ١٥٥٨-١٦٨٥	٢٣٣-
مصطفى إبراهيم فهمى	أرثر كلارك	لقطات من المستقبل	٢٣٤-
فتحى العشرى	ناتالى ساروت	عصر الشك: دراسات عن الرواية	٢٣٥-
حسن صابر	نصوص مصرية قديمة	متون الأهرام	٢٣٦-
أحمد الأنصارى	چوزايا رويس	فلسفة الولاء	٢٣٧-
جلال الحفناوى	نخبة	نظرات حائرة وقصص أخرى	٢٣٨-
محمد علاء الدين منصور	إيوارد براون	تاريخ الأدب فى إيران (ج ٢)	٢٣٩-
فخرى لبيب	بيرش بيربروجلو	اضطراب فى الشرق الأوسط	٢٤٠-

حسین حلمی	راینر ماریا ریلکه	قصائد من رلکه (شعر)	٢٤١-
عبد العزیز بقوش	نور الدین عبدالرحمن الجامی	سلامان وأبسال (شعر)	٢٤٢-
سمیر عبد ربه	نادین جوردیمر	العالم البرجوازی الزائل (روایة)	٢٤٣-
سمیر عبد ربه	پیتر بالانجیو	الموت فی الشمس (روایة)	٢٤٤-
یوسف عبد الفتاح فرج	پونه ندائی	الركض خلف الزمان (شعر)	٢٤٥-
جمال الجزیری	رشاد رشدی	سحر مصر	٢٤٦-
بكر الحلو	چان كوكتو	الصبيبة الطائشون (روایة)	٢٤٧-
عبدالله أحمد إبراهيم	محمد فؤاد كوبريلی	المتصوفة الأولون فی الأدب التركي (ج١)	٢٤٨-
أحمد عمر شاهین	آرثر والدهورن وآخرون	دليل القارئ إلى الثقافة الجادة	٢٤٩-
عطية شحاتة	مجموعة من المؤلفين	بانوراما الحياة السياحية	٢٥٠-
أحمد الانصاری	چوزایا رويس	مبادئ المنطق	٢٥١-
نعيم عطية	قسطنطين كفافيس	قصائد من كفافيس	٢٥٢-
على إبراهيم منوفی	باسیلیو بابون مالدونانو	الفن الإسلامي فی الأندلس: الزخرفة الهندسية	٢٥٣-
على إبراهيم منوفی	باسیلیو بابون مالدونانو	الفن الإسلامي فی الأندلس: الزخرفة النباتية	٢٥٤-
محمود علاوی	حجت مرتجی	التيارات السياسية فی إيران المعاصرة	٢٥٥-
بدر الرفاعي	بول سالم	الميراث المر	٢٥٦-
عمر الفاروق عمر	تيموثی فريك وبيتر غاندى	متون هرمس	٢٥٧-
مصطفى حجازى السيد	نخبة	أمثال الهوسا العامية	٢٥٨-
حبيب الشارونى	أفلاطون	محاورة بارمنيدس	٢٥٩-
ليلی الشربيني	أندريه چاكوب ونويلا باركان	أنثروبولوجيا اللغة	٢٦٠-
عاطف معتمد وأمال شاور	ألان جرينجر	التصحر: التهديد والمجابهة	٢٦١-
سيد أحمد فتح الله	هاينرش شبورل	تلميذ بابنبرج (رواية)	٢٦٢-
صبرى محمد حسن	ريتشارد چيبسون	حركات التحرير الأفريقية	٢٦٣-
نجلاء أبو عجاج	إسماعيل سراج الدين	حدائق شكسبير	٢٦٤-
محمد أحمد حمد	شارل بودليير	سأم باريس (شعر)	٢٦٥-
مصطفى محمود محمد	كلاريسا بنكولا	نساء يركضن مع الذئاب	٢٦٦-
البراق عبدالهادى رضا	مجموعة من المؤلفين	القلم الجرىء	٢٦٧-
عابد خزندار	جيرالد پرنس	المصطلح السردى: معجم مصطلحات	٢٦٨-
فوزية العشماوى	فوزية العشماوى	المرأة فى أدب نجيب محفوظ	٢٦٩-
فاطمة عبدالله محمود	كليرلا لويت	الفن والحياة فى مصر الفرعونية	٢٧٠-
عبدالله أحمد إبراهيم	محمد فؤاد كوبريلی	المتصوفة الأولون فی الأدب التركي (ج٢)	٢٧١-
وحيد السعيد عبدالحميد	وانغ مينغ	عاش الشباب (رواية)	٢٧٢-
على إبراهيم منوفی	أومبرتو إيكو	كيف تعد رسالة دكتوراه	٢٧٣-
حمادة إبراهيم	أندريه شديد	اليوم السادس (رواية)	٢٧٤-
خالد أبو اليزيد	ميلان كونديرا	الخلود (رواية)	٢٧٥-
إدوار الخراط	چان أنوى وآخرون	الغضب وأحلام الستين (مسرحيات)	٢٧٦-
محمد علاء الدين منصور	إدوارد براون	تاريخ الأدب فى إيران (ج٤)	٢٧٧-
يوسف عبدالفتاح فرج	محمد إقبال	المسافر (شعر)	٢٧٨-

جمال عبدالرحمن	سنيل باث	ملك فى الحديقة (رواية)	٣٧٩-
شيرين عبدالسلام	جونتر جراس	حديث عن الخسارة	٣٨٠-
راتيا إبراهيم يوسف	ر. ل. تراسك	أساسيات اللغة	٣٨١-
أحمد محمد نادى	بهاء الدين محمد اسفنديار	تاريخ طبرستان	٣٨٢-
سمير عبدالحميد إبراهيم	محمد إقبال	هدية الحجاز (شعر)	٣٨٣-
إيزابيل كمال	سوزان إنجيل	القصص التى يحكيها الأطفال	٣٨٤-
يوسف عبدالفتاح فرج	محمد على بهزادراد	مشتري المشق (رواية)	٣٨٥-
ريهام حسين إبراهيم	جانيت تود	بفاعاً عن التاريخ الأدبى النسوى	٣٨٦-
بهاء جاهين	جون دن	أغنيات وسوناتات (شعر)	٣٨٧-
محمد علاء الدين منصور	سعدى الشيرازى	مواعظ سعدى الشيرازى (شعر)	٣٨٨-
سمير عبدالحميد إبراهيم	نخبة	تفاهم وقصص أخرى	٣٨٩-
عثمان مصطفى عثمان	إم. فى. روبرتس	الأرشيفات والمدن الكبرى	٣٩٠-
منى الدروبي	مايف بينشى	الحافلة الليكيا (رواية)	٣٩١-
عبداللطيف عبدالحليم	فرناندو دى لاجرانجا	مقامات ورسائل أندلسية	٣٩٢-
زينب محمود الخضيرى	ندوة لويس ماسينيون	فى قلب الشرق	٣٩٣-
هاشم أحمد محمد	بول ديفيز	القوى الأربع الأساسية فى الكون	٣٩٤-
سليم عبد الأمير حمدان	إسماعيل فصيح	آلام سياوش (رواية)	٣٩٥-
محمود علاوى	تقى نجارى راد	السافاك	٣٩٦-
إمام عبدالفتاح إمام	لورانس جين وكيتى شين	أقدم لك: نيتشه	٣٩٧-
إمام عبدالفتاح إمام	فيليب تودى وهوارد ريد	أقدم لك: سارتر	٣٩٨-
إمام عبدالفتاح إمام	ديفيد ميروفتش وألن كوركس	أقدم لك: كامى	٣٩٩-
باهر الجوهري	ميشائيل إنده	مومو (رواية)	٤٠٠-
ممدوح عبد المنعم	زياودن ساردر وآخرون	أقدم لك: علم الرياضيات	٤٠١-
ممدوح عبدالمنعم	ج. ب. ماك إيغوى وأوسكار زاريت	أقدم لك: ستيفن هوكنج	٤٠٢-
عماد حسن بكر	تودور شتورم وجوتفرد كولر	رية المطر والملابس تصنع الناس (روايتان)	٤٠٣-
ظبية خميس	ديفيد إبرام	تعويذة الحسى	٤٠٤-
حمادة إبراهيم	أندريه جيد	إيزابيل (رواية)	٤٠٥-
جمال عبد الرحمن	مانويلا مانتاناريس	المستعربون الإسبان فى القرن ١٩	٤٠٦-
طلعت شاهين	مجموعة من المؤلفين	الأدب الإسبانى المعاصر بأقلام كتابه	٤٠٧-
عنان الشهاوى	جوان فوتشركنج	معجم تاريخ مصر	٤٠٨-
إلهامى عمارة	برتراند راسل	انتصار السعادة	٤٠٩-
الزواوى بغورة	كارل بوير	خلاصة القرن	٤١٠-
أحمد مستجير	جينيغر أكرمان	همس من الماضى	٤١١-
باشراف: صلاح فضل	ليفى بروفنسال	تاريخ إسبانيا الإسلامية (مج ٢، ج ٢)	٤١٢-
محمد البخارى	ناظم حكمت	أغنيات المنفى (شعر)	٤١٣-
أمل الصبيان	باسكال كازانوفا	الجمهورية العالمية للأداب	٤١٤-
أحمد كامل عبدالرحيم	فريدريش نورينمات	صورة كوكب (مسرحية)	٤١٥-
محمد مصطفى بدوى	أ. أ. رتشاردز	مبادئ النقد الأدبى والعلم والشعر	٤١٦-

مجاهد عبدالمنعم مجاهد	رنيه ويليك	٤١٧-	تاريخ النقد الأدبي الحديث (ج٥)
عبد الرحمن الشيخ	چين هاتواي	٤١٨-	سياسات الزمر الحاكمة في مصر العثمانية
نسيم مجلى	جون مارلو	٤١٩-	العصر الذهبي للإسكندرية
الطيب بن رجب	فولتير	٤٢٠-	مكرو ميغاس (قصة فلسفية)
أشرف كيلاني	روى متحدة	٤٢١-	الولاء والقيادة في المجتمع الإسلامي الأول
عبدالله عبدالرازق إبراهيم	ثلاثة من الرحالة	٤٢٢-	رحلة لاستكشاف أفريقيا (ج١)
وحيد النقاش	نخبة	٤٢٣-	إسراءات الرجل الطيف
محمد علاء الدين منصور	نور الدين عبدالرحمن الجامي	٤٢٤-	لوائح الحق ولوامع العشق (شعر)
محمود علاوى	محمود طلوعى	٤٢٥-	من طاووس إلى فرح
محمد علاء الدين منصور وعبد الحفيظ يعقوب	نخبة	٤٢٦-	الخفافيش وقصص أخرى
ثريا شلبي	باي إنكلان	٤٢٧-	بانديراس الطاغية (رواية)
محمد أمان صافى	محمد هوتك بن داود خان	٤٢٨-	الخزانة الخفية
إمام عبدالفتاح إمام	ليود سپنسر وأندزجى كروز	٤٢٩-	أقدم لك: هيجل
إمام عبدالفتاح إمام	كرستوفر وانت وأندزجى كليموفسكى	٤٣٠-	أقدم لك: كانط
إمام عبدالفتاح إمام	كريس هوروكس وزوران جفتيك	٤٣١-	أقدم لك: فوكو
إمام عبدالفتاح إمام	پاتريك كيرى وأوسكار زاريت	٤٣٢-	أقدم لك: ماكياقللى
حمدي الجابرى	ديفيد نوريس وكارل فلنت	٤٣٣-	أقدم لك: جويس
عصام حجازى	نونكان هيث وچودى بورهام	٤٣٤-	أقدم لك: الرومانسية
ناجى رشوان	نيكولاس زيرج	٤٣٥-	توجهات ما بعد الحدائة
إمام عبدالفتاح إمام	فردريك كويلستون	٤٣٦-	تاريخ الفلسفة (مج١)
جلال الحفناوى	شبلى النعمانى	٤٣٧-	رحالة هندي في بلاد الشرق العربي
عايدة سيف الدولة	إيمان ضياء الدين بيبرس	٤٣٨-	بطلات وضحايا
محمد علاء الدين منصور وعبد الحفيظ يعقوب	صدر الدين عيني	٤٣٩-	موت المرابي (رواية)
محمد طارق الشرقاوى	كرستن بروسناد	٤٤٠-	قواعد اللهجات العربية الحديثة
فخرى لبيب	أرونداتى روى	٤٤١-	رب الأشياء الصغيرة (رواية)
ماهر جورجياتى	فوزية أسعد	٤٤٢-	حتشيسوت: المرأة الفرعونية
محمد طارق الشرقاوى	كيس فرستينغ	٤٤٣-	الفة العربية: تاريخها ومستوياتها وتأثيرها
صالح علمانى	لاوريت سيجورنه	٤٤٤-	أمريكا اللاتينية: الثقافات القديمة
محمد محمد يونس	پرويز ناتل خانلرى	٤٤٥-	حول وزن الشعر
أحمد محمود	ألكسندر كوكبرن وجيفرى سانت كلير	٤٤٦-	التحالف الأسود
الطاهر أحمد مكى	تراث شعبى إسبانى	٤٤٧-	ملحمة السيد
محي الدين اللبان ووليم داوود مرقس	الأب عيروط	٤٤٨-	الفلاحون (ميراث الترجمة)
جمال الجزيرى	نخبة	٤٤٩-	أقدم لك: الحركة النسوية
جمال الجزيرى	صوفيا فوكا وريبيكا رايت	٤٥٠-	أقدم لك: ما بعد الحركة النسوية
إمام عبد الفتاح إمام	ريتشارد أوزبورن ويون فان لون	٤٥١-	أقدم لك: الفلسفة الشرقية
محيى الدين مزيد	ريتشارد إيجينانزى وأوسكار زاريت	٤٥٢-	أقدم لك: لينين والثورة الروسية
حليم طوسون وفؤاد الدهان	چان لوك أرنو	٤٥٣-	القاهرة: إقامة مدينة حديثة
سوزان خليل	رينيه بريدال	٤٥٤-	خمسون عاماً من السينما الفرنسية

محمود سيد أحمد	فردريك كويلستون	٤٥٥- تاريخ الفلسفة الحديثة (مج ٥)
هويدا عزت محمد	مريم جعفرى	٤٥٦- لا تنسنى (رواية)
إمام عبدالفتاح إمام	سوزان مولر أوكين	٤٥٧- النساء فى الفكر السياسى الغربى
جمال عبد الرحمن	مرثيديس غارثيا أرينال	٤٥٨- الموريسكيون الأندلسيون
جلال البنا	توم تيتنبرج	٤٥٩- نمو مفهوم لاقتصاديات الموارد الطبيعية
إمام عبدالفتاح إمام	ستوارت هود وليتزا جانستز	٤٦٠- أقدم لك: الفاشية والنازية
إمام عبدالفتاح إمام	داريان ليدر وجودى جروفز	٤٦١- أقدم لك: لكان
عبدالرشيد الصادق محمودى	عبدالرشيد الصادق محمودى	٤٦٢- طه حسين من الأزهر إلى السوربون
كمال السيد	ويليام بلوم	٤٦٣- النولة المارقة
حصه إبراهيم المنيف	مايكل بارنتى	٤٦٤- ديمقراطية للقله
جمال الرفاعى	لويس جنزبيرج	٤٦٥- قصص اليهود
فاطمة عبد الله	فيولين فانويك	٤٦٦- حكايات حب ويطولات فرعونية
ربيع وهبة	ستيفين ديلى	٤٦٧- التفكير السياسى والنظرة السياسية
أحمد الانتصارى	جوزايا رويس	٤٦٨- روح الفلسفة الحديثة
مجدى عبدالرازق	نصوص حبشية قديمة	٤٦٩- جلال الملوك
محمد السيد الننة	جارى م. بيرزنسكى وآخرون	٤٧٠- الأراضى والجودة البيئية
عبد الله عبد الرزاق إبراهيم	ثلاثة من الرحالة	٤٧١- رحلة لاستكشاف أفريقيا (ج ٢)
سليمان العطار	ميجيل دى ثريانتس سايدرا	٤٧٢- نون كيوخوتى (القسم الأول)
سليمان العطار	ميجيل دى ثريانتس سايدرا	٤٧٣- نون كيوخوتى (القسم الثانى)
سهام عبدالسلام	بام موريس	٤٧٤- الأدب والنسوية
عادل هلال عنانى	فرچينيا دانيلسون	٤٧٥- صوت مصر: أم كلثوم
سحر توفيق	ماريلين بوث	٤٧٦- أرض الحبايب بعيدة: بيرم التونسى
أشرف كيلانى	هيلدا هوخام	٤٧٧- تاريخ الصح منذ ما قبل التاريخ حتى القرن العشرين
عبد العزيز حمدى	ليوشيه شنج و لى شى تونج	٤٧٨- الصين والولايات المتحدة
عبد العزيز حمدى	لاو شه	٤٧٩- المقهى (مسرحية)
عبد العزيز حمدى	كو مو روا	٤٨٠- تساي ون جى (مسرحية)
رضوان السيد	روى متحدة	٤٨١- برده النبى
فاطمة عبد الله	روبير چاك تيبو	٤٨٢- موسوعة الأساطير والرموز الفرعونية
أحمد الشامى	سارة چامبل	٤٨٣- النسوية وما بعد النسوية
رشيد بنحو	هانسن روبيرت ياوس	٤٨٤- جمالية التلقى
سمير عبدالحميد إبراهيم	نذير أحمد الدهلوى	٤٨٥- التوبة (رواية)
عبدالحليم عبدالغنى رجب	يان أسمن	٤٨٦- الذاكرة الحضارية
سمير عبدالحميد إبراهيم	رفيع الدين المراد آبادى	٤٨٧- الرحلة الهندية إلى الجزيرة العربية
سمير عبدالحميد إبراهيم	نخبة	٤٨٨- الحب الذى كان وقصائد أخرى
محمود رجب	إدموند هُسرل	٤٨٩- هُسرل: الفلسفة علماً دقيقاً
عبد الوهاب علوب	محمد قادرى	٤٩٠- أسمار البيقاء
سمير عبد ربه	نخبة	٤٩١- نصوص قصصية من روائع الألب الأفرقى
محمد رفعت عواد	چى قارچيت	٤٩٢- محمد على مؤسس مصر الحديثة

محمد صالح الضالع	هارولد بالمر	خطابات إلى طالب الصوتيات	٤٩٣-
شريف الصيفي	نصوص مصرية قديمة	كتاب الموتى: الخروج في النهار	٤٩٤-
حسن عبد ربه المصري	إيوارد تيفان	اللوبي	٤٩٥-
مجموعة من المترجمين	إكوانو بانولي	الحكم والسياسة في أفريقيا (ج١)	٤٩٦-
مصطفى رياض	نادية العلي	العلمانية والتنوع والنوع في الشرق الأوسط	٤٩٧-
أحمد على بدوي	جوديث تاكر ومارجريت مريودز	النساء والتنوع في الشرق الأوسط الحديث	٤٩٨-
فيصل بن خضراء	مجموعة من المؤلفين	تقاطعات: الأمة والمجتمع والتنوع	٤٩٩-
طلعت الشايب	تيتز روكي	في طفولتي: دراسة في السيرة الذاتية العربية	٥٠٠-
سحر قراج	أرثر جولد هامر	تاريخ النساء في الغرب (ج١)	٥٠١-
هالة كمال	مجموعة من المؤلفين	أصوات بديلة	٥٠٢-
محمد نور الدين عبد المنعم	نخبة من الشعراء	مختارات من الشعر الفارسي الحديث	٥٠٣-
إسماعيل المصدق	مارتن هايدجر	كتابات أساسية (ج١)	٥٠٤-
إسماعيل المصدق	مارتن هايدجر	كتابات أساسية (ج٢)	٥٠٥-
عبد الحميد فهمي الجمال	آن تيلر	ريما كان قديساً (رواية)	٥٠٦-
شوقي فهمي	بيتر شيفر	سيدة الماضي الجميل (مسرحية)	٥٠٧-
عبدالله أحمد إبراهيم	عبد الباقي جلبنارلي	المولوية بعد جلال الدين الرومي	٥٠٨-
قاسم عبده قاسم	آدم صبرة	الفقر والإحسان في عصر سلاطين المالك	٥٠٩-
عبدالرازق عيد	كارلو جولونوني	الأرملة الماكرة (مسرحية)	٥١٠-
عبد الحميد فهمي الجمال	آن تيلر	كوكب مرقع (رواية)	٥١١-
جمال عبد الناصر	تيموثي كوريجان	كتابة النقد السينمائي	٥١٢-
مصطفى إبراهيم فهمي	تيد أنتون	العلم الجسور	٥١٣-
مصطفى بيومي عبد السلام	جونثان كولر	مدخل إلى النظرية الأدبية	٥١٤-
فدوى ماطي نوجلاس	فدوى ماطي نوجلاس	من التقليد إلى ما بعد الحداثة	٥١٥-
صبري محمد حسن	أرنولد واشنطن وديونا باوندي	إرادة الإنسان في علاج الإدمان	٥١٦-
سمير عبد الحميد إبراهيم	نخبة	نقش على الماء وقصص أخرى	٥١٧-
هاشم أحمد محمد	إسحق عظيموف	استكشاف الأرض والكون	٥١٨-
أحمد الأنصاري	جوزايا روس	محاضرات في المثالية الحديثة	٥١٩-
أمل الصبان	أحمد يوسف	الولع الفرنسي بمصر من الطم إلى المشروع	٥٢٠-
عبد الوهاب بكر	أرثر جولد سميث	قاموس تراجم مصر الحديثة	٥٢١-
علي إبراهيم منوفي	أميركو كاسترو	إسبانيا في تاريخها	٥٢٢-
علي إبراهيم منوفي	باسيليو بابون مالدونانو	الفن الطليطلي الإسلامي والمدجن	٥٢٣-
محمد مصطفى بدوي	وليم شكسبير	الملك لير (مسرحية)	٥٢٤-
نادية رفعت	دنيس جونسون	موسم صيد في بيروت وقصص أخرى	٥٢٥-
محيي الدين مزيد	ستيغن كرول ووليم رانكين	أقدم لك: السياسة البيئية	٥٢٦-
جمال الجزيري	ديفيد زين ميروفيتس وروبرت كرمب	أقدم لك: كافكا	٥٢٧-
جمال الجزيري	طارق علي وقل إيغانز	أقدم لك: تروتسكي والماركسية	٥٢٨-
حازم محفوظ	محمد إقبال	بدائع العلامة إقبال في شعره الأردى	٥٢٩-
عمر الفاروق عمر	رينيه جينو	مدخل عام إلى فهم النظريات التراثية	٥٣٠-

صفاة فتحي	چاك دريدا	٥٣١- ما الذي حدث في «حدث» ١١ سبتمبر؟
بشير السباعي	هنري لورنس	٥٣٢- المغامر والمستشرق
محمد طارق الشرقاوي	سوزان جاس	٥٣٣- تعلم اللغة الثانية
حمادة إبراهيم	سيڤرين لبا	٥٣٤- الإسلاميون الجزائريون
عبدالعزیز بقوش	نظامي الكنجوي	٥٣٥- مخزن الأسرار (شعر)
شوقي جلال	صمويل منتجتون ولورانس هاريزون	٥٣٦- الثقافات وقيم التقدم
عبدالغفار مكاوي	نخبة	٥٣٧- للحب والحرية (شعر)
محمد الحديدي	كيت دانيلز	٥٣٨- النفس والآخر في قصص يوسف الشاروني
محسن مصيلحي	كاريل تشرشل	٥٣٩- خمس مسرحيات قصيرة
رؤف عباس	السير رونالد ستورس	٥٤٠- توجهات بريطانية - شرقية
مروة رزق	خوان خوسيه مياس	٥٤١- هي تتخيل وهلاوس أخرى
نعيم عطية	نخبة	٥٤٢- قصص مختارة من الأدب اليوناني الحديث
وفاء عبدالقادر	پاتريك بروجان وكريس جرات	٥٤٣- أقدم لك: السياسة الأمريكية
حمدي الجابري	روبرت هنشل وآخرون	٥٤٤- أقدم لك: ميلاني كلارين
عزت عامر	فرانسيس كريك	٥٤٥- يا له من سباق محموم
توفيق علي منصور	ت. ب. وايزمان	٥٤٦- ريموس
جمال الجزيري	فيليب تودي وأن كورس	٥٤٧- أقدم لك: بارت
حمدي الجابري	ريتشارد أوزبرن ويورن فان لون	٥٤٨- أقدم لك: علم الاجتماع
جمال الجزيري	بول كويلي وليتاجانز	٥٤٩- أقدم لك: علم العلامات
حمدي الجابري	نيك جروم وبيرو	٥٥٠- أقدم لك: شكسبير
سمحة الخولي	سايمون ماندي	٥٥١- الموسيقى والعولة
علي عبد الرؤف اليمبي	ميجيل دي ثريانتس	٥٥٢- قصص مثالية
رجاء ياقوت	دانيال لوفرس	٥٥٣- مدخل للشعر الفرنسي الحديث والمعاصر
عبدالسميع عمر زين الدين	عفاف لطفى السيد مارسوه	٥٥٤- مصر في عهد محمد علي
أنور محمد إبراهيم ومحمد نصرالدين الجبالي	أناتولي أوتكين	٥٥٥- الإستراتيجية الأمريكية للقرن العاشر والعشرين
حمدي الجابري	كريس هوروكس وزوران جيفتك	٥٥٦- أقدم لك: جان بودريار
إمام عبدالفتاح إمام	ستوارت هود وجراهام كرولي	٥٥٧- أقدم لك: الماركيز دي ساد
إمام عبدالفتاح إمام	زيوبين ساردارويورين فان لون	٥٥٨- أقدم لك: الدراسات الثقافية
عبدالحى أحمد سالم	تشا تشاجي	٥٥٩- الماس الزائف (رواية)
جلال السعيد الحفناوي	محمد إقبال	٥٦٠- صلصلة الجرس (شعر)
جلال السعيد الحفناوي	محمد إقبال	٥٦١- جناح جبريل (شعر)
عزت عامر	كارل ساجان	٥٦٢- بلايين وبلايين
صبري محمدي التهامي	خايننتو بينابينتي	٥٦٣- ورود الخريف (مسرحية)
صبري محمدي التهامي	خايننتو بينابينتي	٥٦٤- عش الغريب (مسرحية)
أحمد عبدالحميد أحمد	ديورا ج. جيرنر	٥٦٥- الشرق الأوسط المعاصر
علي السيد علي	موريس بيشوب	٥٦٦- تاريخ أوروبا في العصور الوسطى
إبراهيم سلامة إبراهيم	مايكل رايس	٥٦٧- الوطن المغتصب
عبد السلام حيدر	عبد السلام حيدر	٥٦٨- الأصول في الرواية

ثائر نيب	هومي بابا	موقع الثقافة	٥٦٩-
يوسف الشاروني	سير روبرت هاي	دول الخليج الفارسي	٥٧٠-
السيد عبد الظاهر	إيميليا دي ثوليتا	تاريخ النقد الإسباني المعاصر	٥٧١-
كمال السيد	بيرونو أليوا	الطب في زمن الفراغة	٥٧٢-
جمال الجزيري	ريتشارد ايجنانس وأسكار زارتي	أقدم لك: فرويد	٥٧٣-
علاء الدين السباعي	حسن بيرنيا	مصر القديمة في عيون الإيرانيين	٥٧٤-
أحمد محمود	نجير وودز	الاقتصاد السياسي للعولة	٥٧٥-
ناهد العشري محمد	أمريكو كاسترو	فكر ثريانتس	٥٧٦-
محمد قدرى عمارة	كارلو كولودي	مغامرات بينوكيو	٥٧٧-
محمد إبراهيم وعصام عبد الرؤف	أيومي ميزوكوشي	الجماليات عند كيتس وهنت	٥٧٨-
محيى الدين مزيد	جون ماهر وچودي جرونز	أقدم لك: تشومسكي	٥٧٩-
باشراف: محمد فتحى عبدالهادى	جون فيزر وپول سيترجز	دائرة المعارف اللووية (مج ١)	٥٨٠-
سليم عبد الأمير حمدان	ماريو بوزو	الحمقى يموتون (رواية)	٥٨١-
سليم عبد الأمير حمدان	هوشنك كلشيرى	مرايا على الذات (رواية)	٥٨٢-
سليم عبد الأمير حمدان	أحمد محمود	الجيران (رواية)	٥٨٣-
سليم عبد الأمير حمدان	محمود نولت آبادى	سفر (رواية)	٥٨٤-
سليم عبد الأمير حمدان	هوشنك كلشيرى	الأمير احتجاج (رواية)	٥٨٥-
سهام عبد السلام	ليزييث مالكموس وروى أرمز	السينما العربية والأفريقية	٥٨٦-
عبدالعزیز حمدى	مجموعة من المؤلفين	تاريخ تطور الفكر الصينى	٥٨٧-
ماهر جويجاتى	أنيس كابرول	أمنحوتب الثالث	٥٨٨-
عبدالله عبدالرازق إبراهيم	فيلكس دييوا	تمبكت العجبية	٥٨٩-
محمود مهدى عبدالله	نخبة	أساطير من الموروثات الشعبية الفنلندية	٥٩٠-
على عبدالقواب على وصلاح رمضان السيد	هوراتيوس	الشاعر والمفكر	٥٩١-
مجدى عبدالحافظ وعلى كورخان	محمد صبرى السوربونى	الثورة المصرية (ج ١)	٥٩٢-
بكر الطو	پول قاليرى	قصائد ساحرة	٥٩٣-
أمانى فوزى	سوزانا تامارو	القلب السمين (قصة أطفال)	٥٩٤-
مجموعة من المترجمين	إكوانو بانولى	الحكم والسياسة فى أفريقيا (ج ٢)	٥٩٥-
إيهاب عبدالرحيم محمد	روبرت ديجارليه وآخرون	الصحة العقلية فى العالم	٥٩٦-
جمال عبدالرحمن	خوليو كاروياروخا	مسلمو غرناطة	٥٩٧-
بيومى على قنديل	نونالد رينفوردي	مصر وكتعان وإسرائيل	٥٩٨-
محمود علاوى	هرداد مهريز	فلسفة الشرق	٥٩٩-
مدحت طه	برنارد لويس	الإسلام فى التاريخ	٦٠٠-
أيمن بكر وسمر الشيشكى	ريان قوت	النسوية والمواطنة	٦٠١-
إيمان عبدالعزيز	چيمس وليامز	ليوتار: نحو فلسفة ما بعد حداثة	٦٠٢-
وفاء إبراهيم ورمضان بسطاويسى	أرثر أيزابرجر	النقد الثقافى	٦٠٣-
توفيق على منصور	پاتريك ل. أبوت	الكوارث الطبيعية (مج ١)	٦٠٤-
مصطفى إبراهيم فهمى	إرنست زيبروسكى (الصفير)	مخاطر كوكبنا المضطرب	٦٠٥-
محمود إبراهيم السعدنى	ريتشارد هاريس	قصة البردى اليونانى فى مصر	٦٠٦-

صبرى محمد حسن	هارى سينت فيلبى	قلب الجزيرة العربية (ج١)	٦٠٧-
صبرى محمد حسن	هارى سينت فيلبى	قلب الجزيرة العربية (ج٢)	٦٠٨-
شوقى جلال	أجنر فوج	الانتخاب الثقافى	٦٠٩-
على إبراهيم منوقى	رفائيل لويث جوثمان	العمارة المجدنة	٦١٠-
فخرى صالح	تيرى إيجلتون	النقد والأيدولوجية	٦١١-
محمد محمد يونس	فضل الله بن حامد الحسينى	رسالة النفسية	٦١٢-
محمد فريد حجاب	كوان مايكل هول	السياحة والسياسة	٦١٣-
منى قطان	فوزية أسعد	بيت الأقصر الكبير (رواية)	٦١٤-
محمد رفعت عواد	أليس بسيرينى	عرض الأحداث التى وقعت فى بغداد من ١٩١٧ إلى ١٩١٩	٦١٥-
أحمد محمود	روبرت يانج	أساطير بيضاء	٦١٦-
أحمد محمود	هوراس بيك	الفولكلور والبحر	٦١٧-
جلال البنا	تشارلز فيلبس	نحو مفهوم لاقتصاديات الصحة	٦١٨-
عايدة الباجورى	ريمون استانبولى	مفاتيح أورشليم القدس	٦١٩-
بشير السباعى	توماش ماستناك	السلام الصليبي	٦٢٠-
محمد السباعى	عمر الخيام	رباعيات الخيام (ميراث الترجمة)	٦٢١-
أمير نبيه وعبدالرحمن حجازى	أى تشينغ	أشعار من عالم اسمه الصين	٦٢٢-
يوسف عبدالفتاح	سعيد قانعى	نوادير جحا الإيرانية	٦٢٣-
غادة الطوانى	نخبة	شعر المرأة الأفريقية	٦٢٤-
محمد يرادة	چان چينيه	الجرح السرى	٦٢٥-
توفيق على منصور	نخبة	مختارات شعرية مترجمة (ج٢)	٦٢٦-
عبدالوهاب علوب	نخبة	حكايات إيرانية	٦٢٧-
مجدى محمود المليجى	تشارلس داروين	أصل الأنواع	٦٢٨-
عزة الخميسى	نيقولاس جويات	قرن آخر من الهيمنة الأمريكية	٦٢٩-
صبرى محمد حسن	أحمد بللو	سيرتى الذاتية	٦٣٠-
بإشراف: حسن طلب	نخبة	مختارات من الشعر الأفريقى المعاصر	٦٣١-
رانيا محمد	نولورس برامون	المسلمون واليهود فى مملكة فالنسيا	٦٣٢-
حمادة إبراهيم	نخبة	الحب وفنونه (شعر)	٦٣٣-
مصطفى البهنساوى	روى ماكرويد وإسماعيل سراج الدين	مكتبة الإسكندرية	٦٣٤-
سمير كريم	جودة عبد الخالق	التثبيت والتكيف فى مصر	٦٣٥-
سامية محمد جلال	جناب شهاب الدين	حج يواندة	٦٣٦-
بدر الرفاعى	ف. روبرت هنتر	مصر الخديوية	٦٣٧-
فؤاد عبد المطلب	روبرت بن وارين	الديمقراطية والشعر	٦٣٨-
أحمد شافعى	تشارلز سيميك	فندق الأرق (شعر)	٦٣٩-
حسن حبشى	الأميرة أناكومينا	الكسياد	٦٤٠-
محمد قدرى عمارة	برتراند رسل	برتراند رسل (مختارات)	٦٤١-
ممدوح عبد المنعم	چوناثان ميلر ويورين فان لون	أقدم لك: داروين والتطور	٦٤٢-
سمير عبدالحميد إبراهيم	عبد الماجد النريابادى	سفرنامه حجاز (شعر)	٦٤٣-
فتح الله الشيخ	هوارد د. تيرنر	العلوم عند المسلمين	٦٤٤-

عبد الوهاب علوب	تشارلز كجلى ويوجين ويتكوف	السياسة الخارجية الأمريكية ومعارها الداخلية	٦٤٥-
عبد الوهاب علوب	سيهر نبيح	قصة الثورة الإيرانية	٦٤٦-
فتحى العشرى	جون نينيه	رسائل من مصر	٦٤٧-
خليل كلفت	بياتريث سارلو	بورخيس	٦٤٨-
سحر يوسف	چى دى موباسان	الخوف وقصص خرافية أخرى	٦٤٩-
عبد الوهاب علوب	روجر أوين	الدولة والسلطة والسياسة فى الشرق الأوسط	٦٥٠-
أمل الصبان	وثائق قديمة	ديليسيبس الذى لا نعرفه	٦٥١-
حسن نصر الدين	كلود ترونكر	ألها مصر القديمة	٦٥٢-
سمير جريس	إيريش كستنز	مدرسة الطفاة (مسرحية)	٦٥٣-
عبد الرحمن الخميسى	نصوص قديمة	أساطير شعبية من أوزبكستان (ج١)	٦٥٤-
حليم طوسون ومحمود ماهر طه	إيزابيل فرانكو	أساطير وألها	٦٥٥-
ممدوح البستارى	ألفونسو ساسترى	خبز الشعب والأرض الحمراء (مسرحيتان)	٦٥٦-
خالد عباس	مرثيديس غارثيا أرينال	محاكم التفتيش والموريسكيون	٦٥٧-
صبرى التهامى	خوان رامون خيمينيث	حوارات مع خوان رامون خيمينيث	٦٥٨-
عبد اللطيف عبد الحليم	نخبة	قصائد من إسبانيا وأمريكا اللاتينية	٦٥٩-
هاشم أحمد محمد	ريتشارد فايفيلد	نافذة على أحدث العلوم	٦٦٠-
صبرى التهامى	نخبة	روائع أندلسية إسلامية	٦٦١-
صبرى التهامى	داسو سالدبيار	رحلة إلى الجنور	٦٦٢-
أحمد شافعى	ليوسيل كليفتون	امرأة عادية	٦٦٣-
عصام زكريا	ستيفن كوهان وأنا راى هارك	الرجل على الشاشة	٦٦٤-
هاشم أحمد محمد	پول دافيز	عوالم أخرى	٦٦٥-
جمال عبد الناصر ومدحت الجبار وجمال جاد الرب	ولفجانج اتش كليمن	تطور الصورة الشعرية عند شكسبير	٦٦٦-
على ليلة	ألفن جولدر	الأزمة القادمة لعلم الاجتماع الغربى	٦٦٧-
ليلى الجبالى	فريدريك جيمسون وماساو ميوشى	ثقافات العولة	٦٦٨-
نسيم مجلى	وول شوينكا	ثلاث مسرحيات	٦٦٩-
ماهر البطوطى	جوستاف أدولفو بكر	أشعار جوستاف أدولفو	٦٧٠-
على عبدالأمير صالح	جيمس بولدين	قل لى كم مضى على رحيل القطار؟	٦٧١-
إبتهاى سالم	نخبة	مختارات من الشعر الفرنسى للأطفال	٦٧٢-
جلال الحفناوى	محمد إقبال	ضرب الكليم (شعر)	٦٧٣-
محمد علاء الدين منصور	آية الله العظمى الخمينى	ديوان الإمام الخمينى	٦٧٤-
باشراف: محمود إبراهيم السعدنى	مارتن برنال	أثينا السوداء (ج٢، ج١)	٦٧٥-
باشراف: محمود إبراهيم السعدنى	مارتن برنال	أثينا السوداء (ج٢، ج١)	٦٧٦-
أحمد كمال الدين حلمى	إنوارد جرانتيل براون	تاريخ الأدب فى إيران (ج١، ج٢)	٦٧٧-
أحمد كمال الدين حلمى	إنوارد جرانتيل براون	تاريخ الأدب فى إيران (ج١، ج٢)	٦٧٨-
توفيق على منصور	وليام شكسبير	مختارات شعرية مترجمة (ج٢)	٦٧٩-
محمد شفيق غريال	كارل ل. بيكر	المدينة الفاضلة (ميراث الترجمة)	٦٨٠-
أحمد الشيمى	ستانلى فش	هل يوجد نص فى هذا الفصل؟	٦٨١-
صبرى محمد حسن	بن أوكرى	نجوم حطر التجوال الجيد (رواية)	٦٨٢-

صبرى محمد حسن	تى. م. ألوكو	سكين واحد لكل رجل (رواية)	٦٨٢-
رزق أحمد بهنسى	أوراثيو كيروجا	الاعمال القصصية الكاملة (أنا كندا) (ج١)	٦٨٤-
رزق أحمد بهنسى	أوراثيو كيروجا	الاعمال القصصية الكاملة (الصحراء) (ج٢)	٦٨٥-
سحر توفيق	ماكسين هونج كنجستون	امرأة محاربة (رواية)	٦٨٦-
ماجدة العناني	فتانة حاج سيد جوادى	محبوبة (رواية)	٦٨٧-
فتح الله الشيخ وأحمد السماحى	فيليب م. دوير وريتشارد أ. موار	الانفجارات الثلاثة العظمى	٦٨٨-
هناء عبد الفتاح	تالووش روجيفيتش	الملف (مسرحية)	٦٨٩-
رمسيس عوض	(مختارات)	محاكم التفتيش فى فرنسا	٦٩٠-
رمسيس عوض	(مختارات)	ألبرت أينشتين: حياته وغرامياته	٦٩١-
حمدى الجابرى	ريتشارد أيجانسى وأوسكار زاريت	أقدم لك: الوجودية	٦٩٢-
جمال الجزيرى	حانيم برشيت وآخرون	أقدم لك: القتل الجماعى (المحرقة)	٦٩٣-
حمدى الجابرى	جيف كولينز وبيل ماييلين	أقدم لك: بريدا	٦٩٤-
إمام عبدالفتاح إمام	ديف روينسون وچودى جروف	أقدم لك: رسل	٦٩٥-
إمام عبدالفتاح إمام	ديف روينسون وأوسكار زاريت	أقدم لك: روسو	٦٩٦-
إمام عبدالفتاح إمام	روبرت ودفين وچودى جروفس	أقدم لك: أرسطو	٦٩٧-
إمام عبدالفتاح إمام	ليود سبنسر وأنترزيجى كروز	أقدم لك: عصر التنوير	٦٩٨-
جمال الجزيرى	إيفان وارد وأوسكار زاريت	أقدم لك: التحليل النفسى	٦٩٩-
بسمة عبدالرحمن	ماريو بارجاس يوسا	الكاتب وواقعه	٧٠٠-
منى البرنس	وليم رود فيفيان	الذاكرة والحدائة	٧٠١-
عبد العزيز فهمى	جوستينيان	مدونة جوستينيان فى الفقه الرومانى (ميراث الترجمة)	٧٠٢-
أمين الشواربى	إنوارد جرانفيل براون	تاريخ الأدب فى إيران (ج٢)	٧٠٣-
محمد علاء الدين منصور وآخرون	مولانا جلال الدين الرومى	فيه ما فيه	٧٠٤-
عبدالحميد مذكور	الإمام الغزالى	فضل الأنام من رسائل حجة الإسلام	٧٠٥-
عزت عامر	چونسون ف. يان	الشفرة الوراثية وكتاب التحولات	٧٠٦-
وفاء عبدالقادر	هوارد كاليجل وآخرون	أقدم لك: فالتر بنيامين	٧٠٧-
رعوف عباس	دونالد مالكولم ريد	فراعنة من؟	٧٠٨-
عادل نجيب بشرى	ألفريد أدلر	معنى الحياة	٧٠٩-
دعاء محمد الخطيب	إيان هاتشباى وجوموران - إليس	الأطفال والتكنولوجيا والثقافة	٧١٠-
هناء عبد الفتاح	ميرزا محمد هادى رسوا	نرة التاج	٧١١-
سليمان البستانى	هوميروس	الإلياذة (ج١) (ميراث الترجمة)	٧١٢-
سليمان البستانى	هوميروس	الإلياذة (ج٢) (ميراث الترجمة)	٧١٣-
حنا صاوه	لامنيه	حديث القلوب (ميراث الترجمة)	٧١٤-
أحمد فتحى زغلول	إدمون ديمولان	سر تقدم الإنكليز السكسونيين (ميراث الترجمة)	٧١٥-
نخبة من المترجمين	مجموعة من المؤلفين	جامعة كل المعارف (ج٢)	٧١٦-
نخبة من المترجمين	مجموعة من المؤلفين	جامعة كل المعارف (ج٢)	٧١٧-
نخبة من المترجمين	مجموعة من المؤلفين	جامعة كل المعارف (ج٥)	٧١٨-
جميلة كامل	م. جولديبرج	مسرح الأطفال: فلسفة وطريقة	٧١٩-
على شعبان وأحمد الخطيب	نونام چونسون	مداخل إلى البحث فى تعلم اللغة الثانية	٧٢٠-

مصطفى لييب عبد القنى	هـ. أ. ولفسون	٧٢١- فلسفة المتكلمين فى الإسلام (مج ١)
الصفصافى أحمد القطورى	يشار كمال	٧٢٢- الصفيحة وقصص أخرى
أحمد ثابت	إقرايم نيمنى	٧٢٣- تحديات ما بعد الصهيونية
عبد الريس	بول روبنسون	٧٢٤- اليسار الفرويدى
مى مقلد	جون فيتكس	٧٢٥- الاضطراب النفسى
مروة محمد إبراهيم	غيرمو غوثالبيس بوستو	٧٢٦- الموريسكيون فى المغرب
وحيد السعيد	باچين	٧٢٧- حلم البحر (رواية)
أميرة جمعة	موريس آليه	٧٢٨- العولة: تدمير العمالة والنمو
هويدا عزت	صادق زيبا كلام	٧٢٩- الثورة الإسلامية فى إيران
عزت عامر	آن جاتى	٧٣٠- حكايات من السهول الأفريقية
محمد قدرى عمارة	مجموعة من المؤلفين	٧٣١- النوع: الذكر والأنثى بين التميز والاختلاف
سمير جريس	إنجو شولتسه	٧٣٢- قصص بسيطة (رواية)
محمد مصطفى بدوى	وليم شيكسبير	٧٣٣- مأساة عطيل (مسرحية)
أمل الصبان	أحمد يوسف	٧٣٤- بونايرت فى الشرق الإسلامى
محمود محمد مكى	مايكل كوبرسون	٧٣٥- فن السيرة فى العربية
شعبان مكابى	هوارد زن	٧٣٦- التاريخ الشعبى للولايات المتحدة (ج ١)
توفيق على منصور	پاتريك ل. أبوت	٧٣٧- الكوارث الطبيعية (مج ٢)
محمد عواد	جيرار دى جورج	٧٣٨- بحث من عصر ما قبل التاريخ إلى العولة الملوكية
محمد عواد	جيرار دى جورج	٧٣٩- بحث من الإمبراطورية العثمانية حتى الوقت الحاضر
مرفت ياقوت	بارى هندس	٧٤٠- خطابات السلطة
أحمد هيكل	برنارد لويس	٧٤١- الإسلام وأزمة العصر
رزق بهنسى	خوسيه لاكوارا	٧٤٢- أرض حارة
شوقى جلال	روبرت أونجر	٧٤٣- الثقافة: منظور داروينى
سمير عبد الحميد	محمد إقبال	٧٤٤- ديوان الأسرار والرموز (شعر)
محمد أبو زيد	بيك الدنبلى	٧٤٥- المآثر السلطانية
حسن النعمى	جوزيف أ. شومبيتر	٧٤٦- تاريخ التحليل الاقتصادى (مج ١)
إيمان عبد العزيز	تريثور وايتوك	٧٤٧- الاستعارة فى لغة السينما
سمير كريم	فرانسيس بويل	٧٤٨- تدمير النظام العالمى
باتسى جمال الدين	ل.ج. كالفيه	٧٤٩- إيكلوجيا لغات العالم
ياشرف: أحمد عثمان	هوميروس	٧٥٠- الإلياذة
علاء السباعى	نخبة	٧٥١- الإسراء والمعراج فى تراث الشعر الفارسى
نمر عارورى	جمال قارصلى	٧٥٢- ألمانيا بين عقدة الذنب والخوف
محسن يوسف	إسماعيل سراج الدين وآخرون	٧٥٣- التنمية والقيم
عبد السلام حيدر	أنا مارى شيميل	٧٥٤- الشرق والغرب
على إبراهيم منوفى	أندرو ب. نبيكى	٧٥٥- تاريخ الشعر الإسبانى خلال القرن العشرين
خالد محمد عباس	إنريكى خاردييل بونثيلا	٧٥٦- ذات العيون الساحرة
أمال الروبى	پاتريشيا كرون	٧٥٧- تجارة مكة
عاطف عبد الحميد	بروس روبنز	٧٥٨- الإحساس بالعولة

جلال الحفناوى	مولوى سيد محمد	النثر الأردى	٧٥٩-
السيد الأسود	السيد الأسود	الدين والتصور الشعبى للكون	٧٦٠-
فاطمة ناعوت	فيرجينيا وولف	جيوب مثقلة بالحجارة (رواية)	٧٦١-
عبدالعال صالح	ماريا سوليداد	المسلم عدواً و صديقاً	٧٦٢-
نجوى عمر	أنريكو بيا	الحياة فى مصر	٧٦٣-
حازم محفوظ	غالب الدهلوى	ديوان غالب الدهلوى (شعر غزل)	٧٦٤-
حازم محفوظ	خواجه مير درد الدهلوى	ديوان خواجه الدهلوى (شعر تصوف)	٧٦٥-
غازى برو و خليل أحمد خليل	تبيرى هنتش	الشرق المتخيل	٧٦٦-
غازى برو	نسيب سمير الحسينى	الغرب المتخيل	٧٦٧-
محمود فهمى حجازى	محمود فهمى حجازى	حوار الثقافات	٧٦٨-
رندا النشار و ضياء زاهر	فريدريك هتمان	أدباء أحياء	٧٦٩-
صبرى التهامى	بينيتو بيريث جالدوس	السيدة بيرفيكتا	٧٧٠-
صبرى التهامى	ريكاردو جویرالديس	السيد سيجوننو سوميرا	٧٧١-
محسن مصيلحى	إليزابيث رايت	بريخت ما بعد الحداثه	٧٧٢-
بإشراف: محمد فتحى عبدالهادى	جون فيزر و پول ستيرجز	دائرة المعارف النولية (ج٢)	٧٧٣-
حسن عبد ربه المصرى	مجموعة من المؤلفين	الديمقراطية الأمريكية: التاريخ والمرتكزات	٧٧٤-
جلال الحفناوى	نذير أحمد الدهلوى	مرآة العروس	٧٧٥-
محمد محمد يونس	فريد الدين العطار	منظومة مصيبت نامه (مج١)	٧٧٦-
عزت عامر	جيمس إ. ليدسى	الانفجار الأعظم	٧٧٧-
حازم محفوظ	مولانا محمد أحمد و رضا القادرى	صفوة المديح	٧٧٨-
سمير عبد الحميد إبراهيم و سارة تاكاهاشى	نخبة	خيوط العنكبوت وقصص أخرى	٧٧٩-
سمير عبد الحميد إبراهيم	غلام رسول مهر	من أدب الرسائل الهندية حجاز ١٩٢٠	٧٨٠-
نبيلة بدران	هدى بدران	الطريق إلى بكين	٧٨١-
جمال عبد المقصود	مارفن كارلسون	المسرح المسكون	٧٨٢-
طلعت السروجى	فيك جورج و پول ويلدنج	العولة والرعاية الإنسانية	٧٨٣-
جمعة سيد يوسف	ديفيد أ. وولف	الإساءة للطفل	٧٨٤-
سمير حنا صادق	كارل ساجان	تأملات عن تطور ذكاء الإنسان	٧٨٥-
سحر توفيق	مارجريت أتوود	المنذبة (رواية)	٧٨٦-
إيناس صادق	جوزيه بوفيه	العودة من فلسطين	٧٨٧-
خالد أبو اليزيد البلتاجى	ميروسلاف فرنر	سر الأهرامات	٧٨٨-
منى الدروبي	هاچين	الانتظار (رواية)	٧٨٩-
جيهان العيسوى	مونيك بونتو	الفرانكفونية العربية	٧٩٠-
ماهر جويجاتى	محمد الشيمى	العلود ومعامل العلود فى مصر القديمة	٧٩١-
منى إبراهيم	منى ميخائيل	براسات حول القصص القصيرة لإبريس و محفوظ	٧٩٢-
رؤف وصفى	جون جريفيثس	ثلاث رؤى للمستقبل	٧٩٣-
شعبان مكوى	هوارد زن	التاريخ الشعبى للولايات المتحدة (ج٢)	٧٩٤-
على عبد الرؤف البعبى	نخبة	مختارات من الشعر الإسباني (ج١)	٧٩٥-
حمزة المزينى	نعوم تشومسكى	أفاق جديدة فى دراسة اللغة والذهن	٧٩٦-

طلعت شاهين	نخبة	الرؤية فى ليلة معتمة (شعر)	٧٩٧-
سميرة أبو الحسن	كاترين جيلدرود ودافيد جيلدرود	الإرشاد النفسى للأطفال	٧٩٨-
عبد الحميد فهمى الجمال	أن تيلر	سلم السنوات	٧٩٩-
عبد الجواد توفيق	ميشيل ماكارثى	قضايا فى علم اللغة التطبيقي	٨٠٠-
بإشراف: محسن يوسف	تقرير نولى	نحو مستقبل أفضل	٨٠١-
شربين محمود الرفاعى	ماريا سوليداد	مسلمو غرناطة فى الآداب الأوروبية	٨٠٢-
عزة الخميسى	توماس باترسون	التغيير والتنمية فى القرن العشرين	٨٠٣-
درويش الحلوجى	دانيل هيرفيه-ليجيه وچان بول ويلام	سوسيوولوجيا الدين	٨٠٤-
طاهر البربرى	كازو إيشيجورو	من لا عزاء لهم (رواية)	٨٠٥-
محمود ماجد	ماجدة بركة	الطبقة العليا المصرية	٨٠٦-
خيرى نومة	ميريام كوك	يحي حقى: تشريح مفكر مصرى	٨٠٧-
أحمد محمود	ديفيد دابليو ليش	الشرق الأوسط والولايات المتحدة	٨٠٨-
محمود سيد أحمد	ليو شتراوس وچوزيف كرويسى	تاريخ الفلبسفة السياسية (ج١)	٨٠٩-
محمود سيد أحمد	ليو شتراوس وچوزيف كرويسى	تاريخ الفلبسفة السياسية (ج٢)	٨١٠-
حسن النعيمى	جوزيف أ.شومبيتر	تاريخ التحليل الاقتصادى (مج٢)	٨١١-
فريد الزاهى	ميشيل مافيزولى	تأمل العالم: الصورة والأسلوب فى الحياة الاجتماعية	٨١٢-
نورا أمين	أنى إرنو	لم أخرج من ليلى (رواية)	٨١٣-
أمال الروبى	ناقتال لويس	الحياة اليومية فى مصر الرومانية	٨١٤-
مصطفى لبيب عبدالغنى	ه. أ. ولفسون	فلسفة المتكلمين (مج٢)	٨١٥-
بدر الدين عرودى	فيليب روجيه	العدو الأمريكى	٨١٦-
محمد لطفى جمعة	أفلاطون	مائدة أفلاطون: كلام فى الحب	٨١٧-
ناصر أحمد وياتسى جمال الدين	أندريه ريمون	الحرفيون والتجار فى القرن ١٨ (ج١)	٨١٨-
ناصر أحمد وياتسى جمال الدين	أندريه ريمون	الحرفيون والتجار فى القرن ١٨ (ج٢)	٨١٩-
طانيوس أفندى	وليم شكسبير	هملت (مسرحية) (ميراث الترجمة)	٨٢٠-
عبد العزيز بقوش	نور الدين عبد الرحمن الجامى	هفت بيكر (شعر)	٨٢١-
محمد نور الدين عبد المنعم	نخبة	فن الرباعى (شعر)	٨٢٢-
أحمد شافعى	نخبة	وجه أمريكا الأسود (شعر)	٨٢٣-
ربيع مفتاح	دافيد برتش	لغة الدراما	٨٢٤-
عبد العزيز توفيق جاويد	ياكوب يوكهارت	عصر النهضة فى إيطاليا (ج١) (ميراث الترجمة)	٨٢٥-
عبد العزيز توفيق جاويد	ياكوب يوكهارت	عصر النهضة فى إيطاليا (ج١) (ميراث الترجمة)	٨٢٦-
محمد على فرج	نونالد پ.كول وثريا تركى	أهل مطروح: البور والمستوطنون وللمن يقضون العطلات	٨٢٧-
رمسيس شحاتة	ألبرت أينشتين	النظرية النسبية (ميراث الترجمة)	٨٢٨-
مجدى عبد الحافظ	إرنست رينان وجمال الدين الأفغانى	مناظرة حول الإسلام والعلم	٨٢٩-
محمد علاء الدين منصور	حسن كريم بور	رق العشق	٨٣٠-
محمد النادى وعطية عاشور	ألبرت أينشتين وليوپولد إنفلد	تطور علم الطبيعة (ميراث الترجمة)	٨٣١-
حسن النعيمى	جوزيف أ.شومبيتر	تاريخ التحليل الاقتصادى (ج٢)	٨٣٢-
محسن الدمرداش	فرنر شميدرس	الفلسفة الألمانية	٨٣٣-
محمد علاء الدين منصور	نبيح الله صفا	كنز الشعر	٨٣٤-

علاء عزمى	بيتر أوربان	٨٢٥- تشيخوف: حياة فى صور
ممنوح البستاوى	مرثيدس غارثيا	٨٢٦- بين الإسلام والغرب
على فهمى عبدالسلام	ناتاليا فيكو	٨٢٧- عنكب فى المصيدة
ابنى صبرى	نعوم تشومسكى	٨٢٨- فى تفسير مذهب بوش ومقالات أخرى
جمال الجزيرى	ستيوارت سين وبورين فان لون	٨٢٩- أقدم لك: النظرية النقدية
فوزية حسن	جوتهود ليسيبيج	٨٤٠- الخواتم الثلاثة
محمد مصطفى بدوى	وليم شكسبير	٨٤١- هملت: أمير الدانمارك
محمد محمد يونس	فريد الدين العطار	٨٤٢- منظومة مصيبت نامه (مج ٢)
محمد علاء الدين منصور	نخبة	٨٤٣- من روائع القصيد الفارسى
سمير كريم	كريمة كريم	٨٤٤- دراسات فى الفقر والعولة
طلعت الشايب	نيكولاس جويات	٨٤٥- غياب السلام
عادل نجيب بشرى	ألفريد أدلر	٨٤٦- الطبيعة البشرية
أحمد محمود	مايكل ألبرت	٨٤٧- الحياة بعد الرأسعالية
عبد الهادى أبو ريذة	يوليوس فلهاوزن	٨٤٨- تاريخ النولة العربية (ميراث الترجمة)
بدر توفيق	وليم شكسبير	٨٤٩- سونيات شكسبير
جابر عصفور	مقالات مختارة	٨٥٠- الخيال، الأسلوب، الحداث
يوسف مراد	كلود برنار	٨٥١- الطب التجريبي (ميراث الترجمة)
مصطفى إبراهيم فهمى	ريتشارد دوكنز	٨٥٢- العلم والحقيقة
على إبراهيم منوفى	باسيليو بابون مالدونانو	٨٥٣- العارة فى الأتلس: عارة الفن والمصون (مج ١)
على إبراهيم منوفى	باسيليو بابون مالدونانو	٨٥٤- العارة فى الأتلس: عارة الفن والمصون (مج ٢)
محمد أحمد حمد	جيرارد ستييم	٨٥٥- فهم الاستعارة فى الأدب
عائشة سويلم	فرانثيسكو ماركيت يانو بيانويا	٨٥٦- القضية الموريسكية من وجهة نظر أخرى
كامل عويد العامرى	أندريه برنتون	٨٥٧- نادجا (رواية)
بيومى قنديل	ثيو هرمانز	٨٥٨- جوهر الترجمة: عبور الحدود الثقافية
مصطفى ماهر	إيف شيمل	٨٥٩- السياسة فى الشرق القديم
عادل صبجى تكلا	فان بلمن	٨٦٠- مصر وأوروبا
محمد الخولى	چين سميث	٨٦١- الإسلام والمسلمون فى أمريكا
محسن الدمرداش	أرتور شنييتسلر	٨٦٢- بيغاء الكاكابو
محمد علاء الدين منصور	على أكبر دلفى	٨٦٣- لقاء بالشعراء
عبد الرحيم الرفاعى	نورين إنجرامز	٨٦٤- أوراق فلسطينية
شوقى جلال	تيرى إيجلنتون	٨٦٥- فكرة الثقافة
محمد علاء الدين منصور	مجموعة من المؤلفين	٨٦٦- رسائل خمس فى الأفاق والأنفس
صبرى محمد حسن	ديفيد مايلو	٨٦٧- المهمة الاستوائية (رواية)
محمد علاء الدين منصور	ساعد باقرى ومحمد رضا محمدى	٨٦٨- الشعر الفارسى المعاصر
شوقى جلال	روبن نونبار وآخرون	٨٦٩- تطور الثقافة
حمادة إبراهيم	نخبة	٨٧٠- عشر مسرحيات (ج ١)
حمادة إبراهيم	نخبة	٨٧١- عشر مسرحيات (ج ٢)
محسن فرجانى	لاوتسو	٨٧٢- كتاب الطاو

بهاء شاهين	تقرير صادر عن اليونسكو	معلمون لمدارس المستقبل	٨٧٣-
ظهور أحمد	جاويد إقبال	النهر الخالد (مج ١)	٨٧٤-
ظهور أحمد	جاويد إقبال	النهر الخالد (مج ٢)	٨٧٥-
أمانى المنياوى	هنرى جورج فارمر	دراسات فى الموسيقى الشرقية (ج١)	٨٧٦-
صلاح محجوب	موريتس شتينثيدر	أدب الجدل والدفاع فى العربية	٨٧٧-
صبرى محمد حسن	تشارلز نوتى	ترحال فى شعراء الجزيرة العربية (ج١، مج١)	٨٧٨-
صبرى محمد حسن	تشارلز نوتى	ترحال فى شعراء الجزيرة العربية (ج١، مج٢)	٨٧٩-
عبد الرحمن حجازى وأمير نبيه	أحمد حسنين بك	الواحات المفقودة	٨٨٠-
سلوى عباس	جلال آل أحمد	المستيريون : خدمة وخيانة	٨٨١-
إبراهيم الشواربى	حافظ الشيرازى	أغاني شيراز (ج١) (ميراث الترجمة)	٨٨٢-
إبراهيم الشواربى	حافظ الشيرازى	أغاني شيراز (ج٢) (ميراث الترجمة)	٨٨٣-
محمد رشدى سالم	باربرا تيزار ومارتن هيوز	تعلم الأطفال الصغار	٨٨٤-
بدر عرويكى	جان بودريار	روح الإرهاب	٨٨٥-
ثائر ديب	لوجلاس روينسون	الترجمة والإمبراطورية	٨٨٦-
محمد علاء الدين منصور	سعدى الشيرازى	غزليات سعدى (شعر)	٨٨٧-
هويدا عزت	مريم جعفرى	أزهار مسلك الليل (رواية)	٨٨٨-
ميخائيل رومان	وليم فوكنر	سارتورس (ميراث الترجمة)	٨٨٩-
الصفصافى أحمد القطورى	مخومقلى فراغى	منتخبات أشعار فراغى	٨٩٠-
عزة مازن	مارجريت أتوود	مفاوضات مع الموتى	٨٩١-
إسحاق عبيد	عزيز سوريال عطية	تاريخ المسيحية الشرقية	٨٩٢-
محمد قدرى عمارة	برتراند راسل	عبادة الإنسان الحر	٨٩٣-
رفعت السيد على	محمد أسد	الطريق إلى مكة	٨٩٤-
يسرى خميس	فريدريش نورينمات	وادي الفوضى (رواية)	٨٩٥-
زين العابدين فؤاد	نخبة	شعر الضفاف الأخرى	٨٩٦-
صبرى محمد حسن	ديفيد جورج هوجارث	اختراق الجزيرة العربية	٨٩٧-
محمود خيال	برويز أمير على	الإسلام والعلم	٨٩٨-
أحمد مختار الجمال	بيتر مارشال	الدبلوماسية الفاعلة	٨٩٩-
جابر عصفور	مقالات مختارة	تيارات نقدية محدثة	٩٠٠-
عبد العزيز حمدي	لى جاو شينج	مختارات من شعر لى جاو شينج	٩٠١-
مروة الفقى	روبرت أرنولد	آلهة مصر القديمة وأساطيرها	٩٠٢-
حسين بيومى	بيل نيكولز	أفلام ومناهج (مج ١)	٩٠٣-
حسين بيومى	بيل نيكولز	أفلام ومناهج (مج ٢)	٩٠٤-
جلال السعيد الحفناوى	ج. ت. جارات	تراث الهند	٩٠٥-
أحمد هويدى	هيربرت بوسه	أسس الحوار فى القرآن	٩٠٦-
فاطمة خليل	فرانسواز جيبو	أرثر.. متعة الحياة (رواية)	٩٠٧-
خالدة حامد	ديفيد كوزنز هوى	الحلقة النقدية	٩٠٨-
طلعت الشايب	چووست سمايرز	الفنون والآداب تحت ضغط العولة	٩٠٩-
مى رفعت سلطان	دافيد س. ليندس	بروميثيوس بلا قيود	٩١٠-

عزت عامر	جون جريبين	غبار النجوم	-٩١١
يحيى حقي	روايات مختارة	ترجمات يحيى حقي (ج١) (ميراث الترجمة)	-٩١٢
يحيى حقي	مسرحيات مختارة	ترجمات يحيى حقي (ج٢) (ميراث الترجمة)	-٩١٣
يحيى حقي	ديزموند ستيوارت	ترجمات يحيى حقي (ج٣) (ميراث الترجمة)	-٩١٤
منيرة كروان	روجر چست	المرأة في أثينا: الواقع والقانون	-٩١٥
سامية الجندي وعبدالعظيم حماد	أنور عبد الملك	الجدلية الاجتماعية	-٩١٦
إشراف: أحمد عثمان	نخبة	موسوعة كمبريدج (ج١)	-٩١٧
إشراف: فاطمة موسى	نخبة	موسوعة كمبريدج (ج٢)	-٩١٨
إشراف: رضوى عاشور	نخبة	موسوعة كمبريدج (ج٣)	-٩١٩
فاطمة قنديل	جين جبران و خليل جبران	خليل جبران: حياته وعالمه	-٩٢٠
ثرثيا إقبال	أحمدو كوروما	لله الأمر (رواية)	-٩٢١
جمال عبد الرحمن	ميكيل دي إيبالنا	الموريسكيون في إسبانيا وفي المنفى	-٩٢٢
محمد حرب	ناظم حكمت	ملحمة حرب الاستقلال (شعر)	-٩٢٣
فاطمة عبد الله	كريستيان دي روش نوبلكور	حتشيسوت: عظمة وسحر وغموض	-٩٢٤
فاطمة عبد الله	كريستيان دي روش نوبلكور	رمسيس الثاني: فرعون المعجزات	-٩٢٥
صبرى محمد حسن	تشارلز بوتى	ترحل في صحراء الجزيرة العربية (ج١، ج٢، ج٣)	-٩٢٦
صبرى محمد حسن	تشارلز بوتى	ترحل في صحراء الجزيرة العربية (ج٤، ج٥، ج٦)	-٩٢٧
عزت عامر	كيتى فرجسون	سجون الضوء	-٩٢٨
مجدى المليجى	تشارلس داروين	نشأة الإنسان (مج١)	-٩٢٩
مجدى المليجى	تشارلس داروين	نشأة الإنسان (مج٢)	-٩٣٠
مجدى المليجى	تشارلس داروين	نشأة الإنسان (مج٣)	-٩٣١
إبراهيم الشواربى	رشيد الدين العمري	حلق السحر في نطق الشعر (ميراث الترجمة)	-٩٣٢
على منوفى	كارلوس بوسونيو	اللاعقلانية الشعرية	-٩٣٣
طلعت الشايب	تشارلز لارسون	محنة الكاتب الأفريقى	-٩٣٤
علا عادل	فولكر جيبهارت	تاريخ الفن الألماني	-٩٣٥
أحمد فوزى عبد الحميد	إد ريجيس	بيولوجيا الجحيم	-٩٣٦
عبدالحى سالم	أحمد ندالو	هيا نحكى (قصص أطفال)	-٩٣٧
سعيد العليعى	بيير بورديو	الأنطولوجيا السياسية عند مارتن هيجر	-٩٣٨
أحمد مستجير	ستيفن چونسون	سجن العقل	-٩٣٩
علاء على زين العابدين	مجموعة مقالات	اليابان الحديثة: قضايا وآراء	-٩٤٠
صبرى محمد حسن	أى كوينى أرماء	الجماليات لم يولدن بعد	-٩٤١
وجيه سمعان عبد المسيح	إريك هويسبوم	القرن الجديد	-٩٤٢
محمد عبد الواحد	مختارات من القصص الأفريقية	لقاء في الظلام	-٩٤٣
سمير جريس	پاتريك زوسكيند	الكوتراياص	-٩٤٤
ثرثيا توفيق	جان چاك روسو	أحلام يقظة جوال منفرد (ميراث الترجمة)	-٩٤٥
محمد مهدى قنارى	ميشيل ليريس	الزار ومظاهره المسرحية في إثيوبيا	-٩٤٦
محمد قدرى عمارة	بوتراند راسل	ما وراء المعنى والحقيقة	-٩٤٧
فريد چورچ بورى	رونالد أوليفر وأنتونى أتمود	أفريقيا منذ عام ١٨٠٠	-٩٤٨
نافع معلا	أندرية فيش	مقبرة الصدا	-٩٤٩

- ٩٥٠- فى علم الكتابة چاك ديريدا
٩٥١- الاتهام (رواية) فريدريش نورينمات
٩٥٢- العبد ومسرحيات أخرى أميرى بركة
٩٥٣- مختارات من الشعر الإسباني (ج٢) نخبة من الشعراء
٩٥٤- الأصول الاجتماعية للسياسة الترسية فى عهد محمد على فرد لوسون
٩٥٥- الطب والأطباء سيلفيا شيفولو
٩٥٦- نعم، ليست لدينا نيوترونات أ. ك. ديونى
٩٥٧- الحركات الاجتماعية: (١٧٦٨-٢٠٠٤) تشارلز تلى
٩٥٨- أصوات على هامش الحرب مريام كوك
٩٥٩- الموريسكيون فى الفكر التاريخى ميغيل أنخيل بونيس
٩٦٠- محمد على الكبير الأمير عثمان إبراهيم وكارولين وعلى كورخان
٩٦١- شعر الرعاة (ميراث الترجمة) مختارات من الأدب اليونانى
٩٦٢- مدخل إلى الفلسفة وليام جيمس إيرل
٩٦٣- منتخبات شعرية حسن رضا خان الهندى
٩٦٤- أصول التطرف كيمبرلى بليكر
٩٦٥- روح مصر القديمة أنا رويز
٩٦٦- ما وراء الطبيعة فى إيران (ميراث الترجمة) محمد إقبال
٩٦٧- فن الحرب (مج ١) سون تزي
٩٦٨- عالم الخوارق ج. كوبر
٩٦٩- التليفزيون خطر على الديمقراطية كارل بوير وچون كوندري
٩٧٠- ريمما فى حلب ذات يوم وقصص أخرى نخبة
٩٧١- الأدب الفارسى القديم (ميراث الترجمة) پاول هوذن
٩٧٢- الإسهامات الإيطالية فى عهد محمد على باشا مقالات مختارة
- منى طلحة وأنور مفيث
عماد حسن بكر
تعيمة عبد الجواد
على عبد الرؤوف البمبى
عنان الشهاوى
ماجدة أباطة
سمير حنا صادق
ربيع وهبة
صلاح حزين
وسام محمد جزر
هدى كشرود
محمد صقر خفاجة
عادل مصطفى
فاطمة سيد عبد المجيد
هبة روف وتامر عبد الوهاب
إكرام يوسف
حسين مجيب المصرى
هشام المالكى
كمال الدين حسين
مجدى عبد الحافظ
أحمد الشيمى
حسين مجيب المصرى
عماد البغدادى



طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

رقم الإيداع ٢٠٠٥ / ٢٠١٤٩



لا شك في أن الدور الذي لعبه الإيطاليون في تحديد العمل الإصلاحى للبasha
المصرى- منذ اللحظات الأولى لتعزيز سلطة محمد على- يعتبر دورا بارزا. وإذا
أردنا الحديث عن دور الرحالة الإيطاليين وعلماء الآثار أو الباحثين عن الآثار
والباحثين بصفة عامة في مصر منذ الأيام الأولى للقرن التاسع عشر قد لا يكفينا
كتاب بأكمله.

وهذا الكتاب عبارة عن عدد من المقالات التي تتناول بعض الإسهامات
الإيطالية في مصر في عهد محمد على.

الإسهامات الإيطالية في دراسة ياش

Price: 14.00 L.E.

